تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية

مجلة
فصلية علمية
دينية سياسية
تعنى بشؤون حوزتي
النجف الأشرف
وقم المقدسة

الحوزة

مجلة علمية فصلية

تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية

العدد الحادي والثلاثون / السنة السابعة/ ١٤٤٢هـ

المشرف العام

السيد قاسم هاشم مولى

رئيس التحرير

أ. عباس النوري

هيئة التحرير

حيدر النجار

إبراهيم الأسدي

التصميم والإشراف الفني

أحمد الهاشمي

info@markazalhuda.net

www.markazalhuda.net

دعوة للكتّاب

تود هيئة تحرير مجلة الحوزة ان ترحب بالأخوة والأخوات الباحثين والمتخصصين في الدراسات الدينية الحوزوية والذين يرغبون بنشر بحوثهم ودراساتهم العلمية والاكاديمية في مجلة الحوزة وفق المعايير التالية:

- ❖ أن تتناول البحوث والدراسات الشؤون الحوزوية المعاصرة وكل ما له علاقة بتطوير الحوزة والدفاع عنها وعكس صورتها المثلى
- ❖ تعتمد المجلة الأساليب العملية الراهنة في الكتابة والتوثيق والحيادية والموضوعية والدقة والإشارة إلى المصادر حسب القواعد العلمية المتعارف عليها.
- ❖ أن لا تكون البحوث قد نشرت في مجلات أخرى
- ❖ تقدم البحوث إلى المجلة مطبوعة وعلى (CD) مع موجز خالي من الأخطاء الطباعية.
- ❖ تخضع البحوث والدراسات إلى التحكيم العلمي المتعارف عليه أكاديميا ولا تعاد البحوث إلى أصحابها في حالة الاعتذار عن نشرها
- ❖ تنشر البحوث والدراسات وفق خطة هيئة التحرير والنشر

لا تمثل بالضرورة آراء الباحثين والكتاب رأي مجلة الحوزة

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الإمام الخامنئي (دام ظلّه) :

"الانتقام ممّن أمر ونفذ عملية اغتيال الشهيد قاسم سليماني حتمي"

في رحاب الفكر المقاوم

❖ **الشهيدان الحاج سليماني وأبو مهدي ودورهم في ترسيخ القطبية الإسلامية وتفكيك نظرية القطبية الأحادية**

محمد صادق الهاشمي ٩

❖ **الأبعاد السياسية في اغتيال الشهيدين القائدين سليماني والمهندس**

الباحث جمعة العطواني..... ٣٣

دروس حوزوية

❖ **تشخيص العدو والباطل . دراسة تفسيريَّة .**

من دروس التفسير / آية الله السّيد مجتبى الحسيني ٤٩

❖ **التداوي أحكامه وأدلته بحث في فقه الطب**

من بحوث / آية الله الشيخ حسن الجواهري ٥٦

الشيخ المفيد رحمه الله ومكانته العلمية

❖ **الشيخ المفيد رحمه الله حياته وآثاره العلميّة**

العلامة الشيخ إسكندر الطائي ٦٥

❖ **الفكر الموسوعي عند الشيخ المفيد رحمه الله قراءة في التراث الكلامي**

الشيخ صفاء المشهدي ٧٣

❖ **الشيخ المفيد رحمه الله مؤسس المدرسة الأصوليّة الإماميّة**

آية الله الدكتور عبد الهادي الفضلي..... ٩٩

دراسات فكرية متنوعة

❖ **المَثَل في القرآن الكريم ومصاديق لمثَل إخراج الحيِّ من الميِّتِ**

د. فارس علي العامر ١١١

❖ **النقد الاجتماعي وخطاب العنف بين نصوص نهج البلاغة والنظرية الاجتماعية المعاصرة**

الشيخ العلامة غالب النّاصر ١٢٩

الإمام الخامنئي دام ظله:

الانتقام ممّن أمر ونفذ عملية اغتيال الشهيد قاسم سليماني حتمي

على أعتاب الذكرى السنويّة الأولى لاستشهاد قادة النّصر الشهيد قاسم سليماني والشهيد أبومهدي المهندس وعدد من رفاقهما، التقى اليوم الأربعاء ٢٠٢٠/١٢/١٦ القائمين على مراسم الذكرى السنويّة لاستشهاد قادة النصر برفقة عائلة الشهيد سليماني بالإمام الخامنئي. ووصف سماحته خلال اللقاء الشهيد سليماني ببطل الشّعب الإيراني وبطل الأمّة الإسلاميّة ثمّ تابع قائلاً: كانت مليونيّة الشهيدين سليماني وأبومهدي المهندس معاً في إيران والعراق أوّل صفعة قاسية للأمريكيّين، لكنّ الصفعة الأشدّ هي "التفوّق البرمجيّ على هيمنة الاستكبار الخاوية" و"طرد أمريكا من المنطقة"، طبعاً يجب على من أمر ونفّذ اغتيال الفريق سليماني دفع الثمن، وسيكون هذا الانتقام

حتميّاً في أي فرصة متاحة.

التقى قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي صباح اليوم الأربعاء القائمين على مراسم إحياء الذكرى السنويّة الأولى لاستشهاد قادة النصر برفقة عائلة الشهيد قاسم سليماني، واصفاً استشهاد الفريق سليماني بـ"الحدث التاريخي"، والشهيدَ "الذي كرّمته مختلف فئات الشعب بأساليب متنوعة عبّروا فيها عن مشاعرهم تجاهه" بأنه "بطل الأمة الإسلامية". ورأى الإمام الخامنئي أنّ "الشهيد سليماني هو بطل الأمة الإسلامية ورمز النهضة وتعبئة المقاومة في العالم الإسلامي"، قائلاً: "أينما وُجدت مقاومة ضد الهيمنة والاستكبار في العالم الإسلامي، فإن كلمة سرّهم هي الشهيد سليماني، ولذا يجري تكريمه وتعليق صوره في دول مختلفة... لقد درّس (الشهيد) الشعوب برنامج المقاومة ونموذج النضال".

قائد الثورة الإسلامية تحدث عن هزيمة العدو بعد استشهاد الفريق سليماني، قائلاً إن مليونيّة تشييع الشهيدين سليماني وأبي مهدي المهندس في العراق وإيران "لا تُنسى"، بل إن "مراسم تكريم هذين الشهيدين حيّرت ضباط حرب العدو الناعمة وكانت أول صفعة قاسية للأمريكيين". وأشار الإمام الخامنئي إلى الصّفعة الأخرى المتمثّلة في الهجوم الصّاروخي على قاعدة "عين الأسد" الأمريكية، مستدركاً: "الصفعة الأشدّ هي التفوّق البرمجيّ على هيمنة الاستكبار الخاوية، وهذه تستلزم همّة شبابنا الثوريين ونخبنا المؤمنين، وطرد أمريكا من المنطقة، الأمر الذي يتطلّب همّة الشعوب وسياسات المقاومة، ويجب عليهم فعل ذلك".

وتابع سماحته: "هذه الصفعة القوية ليست الانتقام؛ يجب على من أمر ونفّذ اغتيال الفريق سليماني دفع الثمن، وسيكون هذا الانتقام حتميّاً في أي فرصة متاحة... رغم قول ذلك العزيز (في إشارة إلى السيد حسن نصر الله): حذاء سليماني أشرف من رأس قاتله". كذلك، أكّد قائد الثورة الإسلامية أن الشهيد سليماني "هزمَ الاستكبار سواء في حياته واستشهاده"، مستشهداً بتصريح للرئيس الأمريكي قال فيه إن بلاده أنفقت سبعة تريليونات دولار في المنطقة لكنها لم تحصل على شيء، إذْ إن "بطل هذا العمل العظيم هو الفريق سليماني". وأضاف: "اضطر (دونالد ترامب) في نهاية المطاف إلى الذّهاب في ظلام اللّيل إلى قاعدة عسكرية لساعات عدّة. العالم كله يقرّ بأن أمريكا لم تحقّق أهدافها في سوريا، وفي العراق خاصة".

في جزء آخر من حديثه، أشار الإمام الخامنئي إلى ضرورة "تعزيز القدرات" في جميع المجالات، وتابع: "يجب أن نكون أقوياء... في الاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا والدفاع، لأنه إن لم نكن كذلك، فلن يكفّ الأعداء عن أطماعهم وتعدياتهم". كما شدّد على تجنّب الثقة بالعدو في حلّ مشكلات الناس، مضيفاً: "رأيتم ما فعلته معكم أمريكا ترامب وأمريكا أوباما؛ العداوات ليست مختصّة بأمريكا ترامب لتنتهي مع رحيله، فأمريكا أوباما أيضاً أساءت إليكم وإلى الشعب الإيراني".

وبشأن الدول الأوروبية، قال: "الدّول الثّلاث (ألمانيا وفرنسا وبريطانيا) تصرّفت كذلك بمنتهى الإساءة واللّؤم والنّفاق"، لافتاً إلى أنّ "رفع الحظر بيد العدو لكن إجهاض الحظر بأيدينا... فينبغي لنا التركيز على إجهاض الحظر أكثر من التفكير في رفعه". واستطرد في الشّرح: "لا أقول ألّا تسعوا إلى رفع الحظر، لأنه لو كان بالإمكان رفع الحظر، فلا ينبغي التأخير في ذلك حتى لساعة واحدة... مع أنه تأخّر أربعة أعوام حتى الآن، إذْ كان من المفترض رفع كل إجراءات الحظر دفعة واحدة، لكن حتى اليوم لم تُرفع، بل ازدادت".

وخاطب الإمام الخامنئي المسؤولين بالقول: "لو كان بالإمكان إزالة الحظر بأسلوب صحيح وعقلاني وإيراني-إسلامي، أي بعزّة وكرامة، ينبغي فعل ذلك، لكن التّركيز الأساسي يجب أن ينصبّ على إجهاض الحظر وهنا المبادرة بأيديكم"، مختتماً بأنه يدعم المسؤولين "شرط أن يلتزموا أهداف الشعب".

محمد صادق الهاشمي
المشرف العام لمركز الهدى للدراسات الحوزوية

الشهيدان الحاج سليماني وأبو مهدي
ودورهم في ترسيخ القطبية الإسلامية
و تفكيك نظرية القطبية الأحادية

المقدمة

بعد مراجعات عديدة لخطب الحاج الشهيد سلماني والشهيد الحي حسن نصر الله وعلى رأسهم الإمام الخامنئي نجد أن عشرات الخطب، والتي تغطي المرحلة والأحداث، وتتجه إلى ترسيخ مفهوم عميق وهو أن الجهاد والمواقف والدور الذي تقوم به المقاومة الآن حتى لا يتكرر مشروع سحق المسلمين وفرض أجندة خارجية عليهم وهذه الخطب تقوم بتحديد الاخطار المستقبلية التي تهدد مستقبل المسلمين وتفسر هذه الخطب - أيضا - الأحداث التي جرت في العراق والمنطقة بأنها معارك تقف خلفها مشاريع كبيرة لتدمير المسلمين وتقسيم بلادهم وثرواتهم لاحقا.

هذه الخطب والكلمات حددت الأخطار مبكرا من هؤلاء القادة إدراكا منهم لخطورة المرحلة وفهما لعمق الأحداث منذ الحرب العالمية الثانية ومرورا بمتغيرات الحرب البادرة وانتصار القطب

الأمريكي وسعيه للتفرد بالعالم وخصوصا العالم الإسلامي والتلاعب بمصيره حتى يمكن تقسيمه وفق مصالح الدول الكبرى وضرب مصالح المسلمين عرض الحائط.

كلمات الأقطاب الكبيرة في القيادة وخصوصا الشهيد سلماني كانت تركز على أن الحروب التي شنت على المنطقة لها أبعاد كبيرة ومن خلالها ستعيد أمريكا مع الدول الكبرى تقسيم المنطقة بينها كما حصل في الأمس لان المسلمين كانوا همل وهذا الإدراك الاستراتيجي هو الذي دفع بالجمهورية الإسلامية والأبطال والمقاومة والمرجعية أن ترسخ وجودها للدفاع عن مصالحها لتمسك بالأرض كقوة قطبية مهمة تضاهي كل الأقطاب العالمية لأهميتها وموقعها وثرواتها.

ومن هنا يصح القول أن الدور الذي لعبه الشهيدين سليماني وأبو مهدي ومن معهم من الأبطال هو الذي منح المسلمين القدرة الدفاعية ليكونوا قوة قطبية أمام العالم بينما تقف الدول الخليجية العميلة لتعلن أنها أكثر استعدادا من أي وقت مضى لتقبل المشاريع الأمريكية والصهيونية وفتح أبوابها للتطبيع.

هذه الدول العميلة لا يمكنها الدفاع عن المسلمين كيف وهي قد سلمت كل مقاديرها إلى القطب الأمريكي، وقد أثبتت الأحداث أن المدافع الحقيقي هو التجربة الإسلامية التحررية التي قادها الشهيد سليماني عبر عقود من الجهاد وعبر تاريخ من المواقف، وقد استمر خطاب الشهيد بنحو تصاعدي دون ملل أو كلل أو نكوص ونكول، ثم تطور خطاب سليماني، فصار في وعي محبيه الإسلامي الأممي الوحدوي، أركان مهمة في حركته الجهادية كما يقول في مجالسه الخاصة، لا يحيد عنها مهما حصل، وهي الوحدة الإسلامية، التحالف مع الأحرار في العالم المتناقضين مع المشاريع الأمريكية، تحرير فلسطين، واستنهاض المسلمين ضد القطب الأحادي الأمريكي لتثبيت الجغرافيا الإسلامية وموقعها القطبي في العالم الدولي الجديد. ولان هذا المنهج فيه عزة المؤمنين لذا عبر الإمام الخامنئي في بيانه بأنه لن يتوقف منهجه ونهجه وجهادة[1] أي أن منهج الشهيد سليماني في رفع قدر المسلمين وتحديد مساحتهم وتموضعهم الإقليمي والدولي ومواجهة الاستكبار لن يتوقف.

أهمية البحث:

منذ عام ١٩٩١، تم إسدال الستار على المشهد الأخير من العلاقات الدولية المحكومة

بالثنائية القطبية، إذ تم الإعلان عن نهاية الحرب الباردة بتفكك الاتحاد السوفيتي رسميا بنهاية ذلك العام، وولادة المشهد العالمي (الجديد) المحكوم بالرؤى والممارسات الأحادية للنظام الدولي في طوره الأمريكي، وأدى التطور التكنولوجي الأمريكي أيضاً إلى تفرد الولايات المتحدة بالتخطيط الاستراتيجي، واتخاذ القرارات السياسية من دون استشارة كافية من باقي حلفائها الأوربيين، وصاحب ذلك ظهور مصالح جديدة للولايات المتحدة في اتجاهات جديدة، ومنها اتجاهها إلى العمل العسكري منفردة وإن كان ذلك يتم تحت غطاء الشرعية الدولية في أحيان كثيرة.

وقد تم ذلك بالاعتماد على مجموعة من الأفكار والاستراتيجيات والنظريات التي ظهرت بعد الحرب الباردة التي عدت بحق المرجعية الفكرية للقطبية الأحادية الأمريكية، إذ أن لهذه النظريات والأفكار والاستراتيجيات الدور الكبير، فضلا على المفكرين الاستراتيجيين وغير الاستراتيجيين، في هيمنة الولايات المتحدة وتربعها على قمة النظام السياسي الدولي بعد الحرب الباردة، لاسيما أن الولايات المتحدة تتمتع بوجود كثير من المراكز الفكرية التي تنظر لخلق الايديولوجيا والتي يعمل بها هؤلاء المفكرون، فضلا على أنهم قد عملوا في مدة من حياتهم في كثير من مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة، وان هذه المراكز، بما فيها مفكريها الذين ينتمون إليها، هم في الغالب مرتبطين بمراكز صنع القرار، إذ أن ما يتم تكليفهم غالباً من الحكومة الأمريكية لأعداد تقارير إستراتيجية توضح الطريق لدى صانع القرار، فهذا كله يعمل على ديمومة الولايات المتحدة وبقائها وتفردها على قمة الهرم الدولي، فضلا على تغلغل مجموعة المحافظين الجدد في السلطة منذ مجيء الرئيس الأمريكي الأسبق ريغان إلى السلطة ومن ثم سيطرتهم على السلطة بشكل كامل مع استلام الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن للسلطة، إذ تركزت أفكارهم على بقاء الولايات المتحدة منفردة ومهيمنة على النظام الدولي، فضلا على أنها غالبا ما كانت تروج لهيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي، ومنع أية قوة دولية معادية من الصعود إلى قمة النظام الدولي ومن ثم مزاحمة الولايات المتحدة عليها، هذه المجموعة كان لها دور في الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة في أثناء مدة ولايتي الرئيس بوش الابن ولاسيما حربي العراق وأفغانستان.

هذه الأمور كلها كانت تشكل بدورها مرجعية فكرية يعتمدها صانع القرار الأمريكي في سياسته الخارجية على صعيد النظام الدولي، ومن ثم بقاء القطبية الأحادية بصورتها الأمريكية مهيمنة على النظام الدولي.

لم تكن هذه المرجعية الفكرية لتصل إلى هذا الحد من التأثير لولا وجود مجموعة من مقومات القوة المادية التي استندت عليها الولايات المتحدة الأمريكية في فرض قطبيتها على النظام الدولي. هذه المقومات سواء ما كان منها على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الخارجي، التي تمكنت الولايات المتحدة من امتلاكها وساعدت الظروف الدولية على امتلاكها، إذ ساعدت كلها على بقاء النظام الدولي في هيكليته واستقراره على القطبية الأحادية الأمريكية الصهيونية.

مشكلة البحث:

يعالج البحث إشكالية مهمة وهي تعريف القطبية الأحادية وتأثيراتها على المجتمع الدولي والإقليمي في الإطار النظري ثم الإطار التطبيقي، ويحاول أن يركز على الأساليب والآثار التي تركتها القطبية الأحادية والأهداف الساعية إليها وكيف انتهت الأحداث الأخيرة بقيادة خط المقاومة بقيادة الشهيد سليماني والشهيد أبو مهدي وكيف تمكنوا من إشراك عوامل إقليمية ودولية في إيجاد قطبية ثنائية تمنع القطب الأمريكي من التحكم بالعالم، هذه القطبية لم تظهر ولم تبرز بجلاء ووضوح إلا على يد المقاومة التي تمكنت من أن تقوض مساحة القطب الأحادي وتحاصر تفرده بالعالم وخصوصا المنطقة وبقيادة الشهيدين.

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية إمكانية تشكيل علاقات دولية لا يكون النظام الدولي خاضعا إلى سيطرة القطب الأحادي الأمريكي بعد الانتصارات التي حققتها المقاومة الإسلامية في فلسطين وسوريا واليمن والعراق ولبنان، بل توجد إمكانية كبيرة ولها معطيات وتدل عليها عدد من المؤشرات في ظهور قطب جديد إسلامي تقوده المقاومة الإسلامية يقابل القطب الأمريكي وتكون دول الممانعة والمقاومة هي قلب ونواة القطب الجديد.

والبحث هنا يركز على اكتشاف وتحديد ملامح بروز القطب الثنائي الذي رسخ وجوده الشهيدين والذي قلب المعادلات وغير التوازنات الإقليمية والدولية فبعد أن كان العالم الإسلامي

محاصرا بقوة الحديد من البطش الأمريكي لمنع الخط الثوري أن يحتل مساحته الطبيعية ويتموضع في قلب الأحداث سياسيا واقتصاديا وجغرافيا فانه تمكن بعد جهاد طويل أن يحتل مساحته الراسخة كقطب قبال القطب الأمريكي.

ولا يفوتنا أن المنطقة تعاني في كل قرن من تقسيم وتجزئة ابتداء من معاهدة سان ريمو ثم سايكس بيكو وغيرها وربما بل من المؤكد أن الغرب يريد أن يعيد ذات السيناريوهات بما يجعل المنطقة موزعة على الأقطاب الكبيرة (روسيا وأمريكا والصين) إلا أن حضور القطب الإسلامي يفرض وجودة كقطب له معالمه ووجوده وايديولجيته وهويته لا يمكن لأحد أن يعيد خريطة العالم دون أن يكون لهم حضورا فاعلا او بما يهمش دورهم تلك هي الجهود الإستراتيجية للشهيدين ولأبطال المقاومة وكل القامات وعلى رأسها الشهيد الحي حسن نصر الله وآلاف المجاهدين الدور المشرف في ترسيخ وجود القطبية الإسلامية ضد القطبية الأحادية الأمريكية.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على منهج التحليل النظمي لاختبار صدق فرضيته، والوصول إلى نتائجه النهائية.

هيكلية البحث:

تم وضع خطة للبحث تقوم على تقسيمه إلى فصلين ومباحث: الفصل الأول هو: تحديد للإطار النظري للموضوع، فينشغل بماهية القطبية الأحادية من حيث التعريف، والموارد، والأهمية في مطلبين. أما الفصل الثاني، فجرى فيه التركيز على معطيات بروز القطب الثنائي في المنطقة والمحيط الدولي والإقليمي من خلال دراسة واقعها في إيران ودول أخرى مثل العراق وسوريا، ولبنان وتشريك الموقف الدولي والإقليمي وتأثير القطبية الثنائية على التوازنات الدولية حاضرا ومستقبلا.

المشروع الأمريكي منذ الحرب العالمية الثانية

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية انشطر العالم إلى شطرين احدهما تقوده الولايات المتحدة الأمريكية والآخر تقوده روسيا (الاتحاد السوفيتي)، وهذا الانشطار له تداعيات وآثار ومؤسسات وإيديولوجيات وقوى عسكرية وأمنية وسياسية واقتصادية وكانت بمجملها تعني

ترسيخ القطبية الأمريكية على العالم بعد السعي الحثيث لها في إسقاط القطب الثنائي السوفيتي، وهنا تفصيل:

تعريف القطبية الأحادية

وهو نظام تحكمه دولة محورية مهيمنة سياسيا واقتصاديا وعسكريا على العالم وتسير في فلكها مجموعة من الدول تؤيدها في قراراتها وفق مفهوم النظام الدولي الجديد ويتلخص النظام الدولي الجديد الذي شكل ايديولوجية القطب الأحادي هو: القوانين الجديدة التي تُسيّر مصالح الدول والهيئات الدولية تحت سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية والتي استفادت من انهيارالنظام الدولي القطبي الثنائي بانهيار المحور السوفيتي وهذه هي الظروف الجوهرية التي أسهمت في صعود القطبية الأحادية، وقد كان انهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة عام ١٩٩١ أهم تغير طرأ على البيئة الدولية في بداية التسعينات من القرن الماضي، فلقد سبب صدمة عالمية ما لبثت أن أحدثت تغيرات راديكالية في السياسة العالمية، وتقلص تواجدها ونفوذها في العالم الثالث وتوجه اهتمامها إلى تأييد إجراءات التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في حل الخلافات العالمية والإقليمية، ونتيجة لذلك بدا في الأفق نظام عالمي جديد يتسم بالأحادية القطبية الأحادية بدل الثنائية في إدارة العلاقات الدولية التي كانت سائدة في العقود السابقة، وبرزت الولايات المتحدة بمثابة القوة العظمى الوحيدة في العالم، وكانت لهذه القطبية الأحادية تأثيرات على السياسة الدولية إذا شهدت اندفاع أمريكي عسكري في المنطقة ومن نتائجه احتلال العراق عام ٢٠٠٣، ثم أحداث لبنان وبعدها الربيع العربي ثم أحداث سورية والعراق واليمن.

نعم انتهت المنافسة الطويلة على السيطرة العالمية في القرن العشرين، ولم يشر إنزال العلم الأحمر عن برج الكريملين في أواخر ديسمبر ١٩٩١ إلى انحلال الاتحاد السوفيتي فحسب، وإنما إلى أن الإيديولوجية المعاكسة التي سعت كذلك إلى السيطرة العالمية لفظت أنفاسها الأخيرة، وكان هذا التاريخ الفاصل (تتويجا لسلسلة من الأحداث والنكسات والأخطاء والأعمال من داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه أدى تراكمها إلى إزالته من الواجهة، وكانت البيروسترويكا التي تبناها كرباتشوف إعلان عن انتهاء القطبية الثنائية، بعدها تفردت أمريكا بقيادة العالم وكان للأمام الخميني رسالة[٢] إلى

الروس في هذا الصدد قبل انهيار الاتحاد السوفيتي حذرهم من الانهيار واستيلاء الأمريكان على قيادة العالم، وبالإجمال أن من ابرز أسباب بروز القطب الأحادي كثيرة:

منها: انهيار المعسكر الشرقي وتفكك الاتحاد السوفياتي.

مما جعل الساحة السياسية الدولية محكومة لسيطرة جهة واحدة تتحكم فيها بدون منازع وبدون رادع وبدون مؤثر في القرار بل كان اثر القطب الأوحد العالمي حتى على الشرعية الدولية من أمم متحدة وغيرها، فقد همش دورها أو سخرها لصالح قرار القطب الأحادي الأمريكي، مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تحث السير للسيطرة على الشرق الأوسط وتوسع من مساحة الاحتلال العسكري في الشرق الأوسط، وبهذا تمكنت أمريكا أن تتخذ قرارات صارمة وتقسم العالم إلى محاور (محور الشر) و(محور السلام) وفق ما يؤيدها ومن يقف بوجه غطرستها، وقد تضاعف الخطاب الأمريكي في العنف لمواجهة الثورة الإسلامية في إيران ومواجهة الصحوة الإسلامية في عموم العالم الإسلامي، فمكنت صدام حسين من أن يشن عدوانه ضد إيران ومكنت الأنظمة العربية من أن تفرض سيطرتها على الشعوب وتقمع الجماهير وتحاصر الثورة الإسلامية حتى لا يظهر القطب الإسلامي بديلا عن القطب الشرقي سيما وان الإمام رفع شعار (لا شرقية ولا غربية بل جمهورية إسلامية)، وفي الجزء الآخر من العالم سعت أمريكا إلى ضم أجزاء العالم التي خرجت من مظلة الاتحاد السوفيتي بعد التفكك إلى الحلف الأطلسي وهي بعض دول أوربا الشرقية وعقدت اتفاقات ومشاريع نفطية وغازية واقتصادية كبرى لربط الدول في أوربا الشرقية التي تخرجت من المظلة السوفيتية إلى المظلة الأمريكية.

ومنها: هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على المنظمات الدولية والإقليمية وتسخيرها لمصالحها.

فالأمم المتحدة ومجلس الأمن وكل الشرعية الدولية وسائر المنظومة الدولية كانت قد أخضعت قهرا للإرادة القطبية الأحادية وكان هذا الأمر هو احد مظاهر اختفاء القطب الثنائي وتفرد أمريكا بالقرار الدولي وكان من مظاهر التفرد القطبي، وهيمنة أمريكا على الشرعية الدولية، هيمنة عملية على العالم ويمكن حصر

خطوات القطب الأمريكي بعد انهيار القطب السوفيتي وتفردها بالعالم بما يلي:

١ - تأسيس التحالف الدولي على العراق في أزمة الخليج عام ١٩٩٠.

٢ - تحرشات أمريكية كثيرة على كوريا الشمالية وإيران وسوريا واليمن ولبنان فضلا عن احتلال العراق وتأسيس خلايا إرهابية لإدارة أزمات الحروب بالوكالة في سوريا والعراق.

٣ - تغيب دور المنضمات الدولية وإعدام قراراتها من مسرح الأحداث العالمية وحتى القدر الذي تشترك هي فيه فهو يدار من الخلف بما يصب في صالح أمريكا والغرب بما في ذلك موضوع حقوق الإنسان.

٤ - تدخل أمريكا عن طريق حلف الأطلسي في منطقة البلقان لحل مشاكل التطهير العرقي بما يلبي مصالحها ويخضع أجزاء منها لها.

٥ - انضمام أوروبا الشرقية إلى المعسكر الغربي.

٦ - حل المشاكل الدولية وفق المنظور الأمريكي وهكذا القضية الفلسطينية.

٧ - تراجع دور حركة عدم الانحياز

٨ - تطبيق أوسع لسياسة العولمة.

٩ - الحرب على أفغانستان.

١٠ - ضرب إسرائيل إلى لبنان في تموز عام ٢٠٠٦.

١١ - احتلال العراق عام ٢٠٠٣.

١٢ - ظهور داعش عامي ٢٠١٣ وعام ٢٠١٤.

كل هذه الأحداث التي أعقبت ظهور القطبية الأحادية في العالم والتي شجعت اليمين المتطرف الأمريكي أن يوسع مساحة احتلاله للعالم وسيطرته على الاقتصاد العالمي كانت مقدمة لمشروع أمريكي صهيوني كبير يسمى مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي يحاول تقسيم العالم الإسلامي إلى أجزاء متناحرة تهمين عليها أمريكا ودول أخرى وفق نظرية تقاسم النفوذ بين الأقوياء إلا أن القطب الإسلامي بفعل حضوره كقوة منع المشروع الأمريكي أن يتم مخططاته فكان القطب الإسلامي هو اللاعب الأول.

المؤسسات الفاعلة في النظام الدولي الجديد

أدى انهيار القطب السوفيتي وتفرد القطب الأحادي الأمريكي في قيادة العالم إلى جدل واسع في الولايات المتحدة الأمريكية، بين العديد من المفكرين الأمريكيين، وقد تمحور

هـذا النقـاش حـول مـا إذا كـان هـذا التحـول (المفاجئ) على الساحة الدولية هو عامل إيجابي لقوة الولايـات المتحـدة ومكانتهـا علـى السـاحة الدولية أم على العكـس هـو بدايـة لأفـول القـوة الأمريكية فقد رأى فيه البعض علامات الأفـول والانهيار وعلى رأسـهم المـؤرخ البريطـاني بـول كينيـدي فـي كتابـه «صـعود وهبـوط القـوى العظمـى» الـذي ألفـه فـي عـام ١٩٨٧، وبيتـر تارنوف الذي عمل مساعدا لـوزير الخارجيـة فـي إدارة كلينتـون، وكانـت الـردود المضـادة قويـة وسريعة من قبـل الكثيـر مـن المفكـرين أمثـال جوزيف ناي (مستشار الرئيس الأمريكي السابق كلينتون)، وصاحب نظرية القوة الناعمة أو اللينة (**Soft power**) وفرانسـيس فوكوياما الـذي أعلـن عـن نهايـة التـاريخ لصـالح أمريكـا، وفـوز الليبرالية الرأسمالية إلى الأبد، ووليـام كريسـتول (صـاحب مشـروع القـرن الأمريكـي الجديـد)، وهنري كيسـنجر وبيتـر رودهـان وفريـد زكريـاء وتوماس فريدمان وغيـرهم وقـد دفعـت كتـبهم وتنظيـراتهم إلـى الاسـتفادة القصـوى لليمـين المتطـرف الأمريكـي مـن المؤسسـات العالميـة وهذا ما تم تطبيقه لاحقا وهي:

المؤسسات المالية والاقتصادية العالمية

تمكن القطب الأحادي أن يفـرض سـيطرته وحتى إيديولوجيته ويمرر سيطرته على العالم عبر الهيمنـة التامـة علـى المؤسسـات الاقتصـادية الدولية وهي:

صندوق النقد الدولي

صندوق النقد الدولي هو المؤسسة المركزيـة فـــي النظـــام النقـــدي الـــدولي - أي نظـــام المدفوعات الدولية وأسعار صرف العملات الذي يسمح بإجراء المعاملات التجاريـة بـين البلـدان المختلفـة. ويسـتهدف الصـندوق منـع وقـوع الأزمات في النظام عن طريـق تشـجيع البلـدان المختلفـة علـى اعتمـاد سياسـات اقتصـادية سـليمة، كمـا أنـه - كمـا يتضـح مـن اسـمه - صندوق يمكن أن يستفيد مـن مـوارده الأعضـاء الذين يحتاجون إلى التمويل المؤقت لمعالجة ما يتعرضـون لـه مـن مشـكلات فـي ميـزان المدفوعات. تتضمن الأهداف القانونية لصندوق النقد الدولي تيسير التوسع والنمو المتـوازن فـي التجارة الدولية، وتحقيق استقرار أسعار الصـرف، وتجنـب التخفـيض التنافسـي لقـيم العمـلات، وإجـراء تصـحيح مـنظم لاخـتلالات مـوازين المدفوعات التي تتعرض لها البلـدان. ولتحقيـق

هذه الأهداف، إلا انه تم تسخيره لتقسيم العالم وإخضاعه إلى الهيمنة الأمريكية كما في تجربة يوغسلافيا التي تفككت بسبب عوامل عديدة منها القروض الدولية من الصناديق الواقعة تحت تأثيرات اللوبي الأمريكي.

البنك العالمي

البنك الدولي هو أحد الوكالات المتخصصة في الأمم المتحدة التي تعنى بالتنمية. وقد بدأ نشاطه بالمساعدة في إعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية مشروع مارشال) وهي الفكرة التي تبلورت خلال الحرب العالمية الثانية في (بريتون وودز) بولاية نيو هامبشير الأمريكية، ويعد الإعمار في أعقاب النزاعات موضع تركيز عام لنشاط البنك نظرا إلى الكوارث الطبيعية والطوارئ الإنسانية، واحتياجات إعادة التأهيل اللاحقة للنزاعات والتي تؤثر على الاقتصاديات النامية والتي في مرحلة تحول، ولكن البنك اليوم زاد من تركيزه على الضغط الاقتصادي على البلدان الفقيرة كما يحصل في الاقتراض الذي تمارسه الحكومة العراقية.

المنظمة العالمية للتجارة الحرة

وتستخدمها الدول الكبرى التي على رأسها أمريكا كأدوات اقتصادية لفرض هيمنتها على الدول الضعيفة وإرغامها على القبول بالنظام الدولي الجديد من خلال ربط استفادة الدول من خدمات تلك المؤسسات بشروط مجحفة تخدم بالدرجة الأولى مصالح الدول الكبرى داخل الدول الصغرى.

هيئة الأمم المتحدة

تستخدم كأداة سياسية بمنح الشرعية الدولية للتدخلات الأجنبية للدول الكبرى في الشؤون الداخلية للدول الصغرى مثل ضرب العراق حاليا، ومسألة دارفور في السودان.

الحلف الأطلسي

وهو الأداة العسكرية التي تراهن عليها أمريكا لفرض هذا النظام بقوة السلاح، لذلك نجده الحلف الوحيد الذي أبقي عليه حتى بعد نهاية الحرب الباردة والمتمثلة الان بما يسمى قوات التحالف الدولي على اثر دخول داعش الى العراق.

المنظمات غير الحكومية

وهي منظمات غير سياسية تنشط في عدة مجالات مثل حقوق الإنسان والديمقراطية

وشؤون المرأة والطفل والبيئة وتستغل هذه المنظمات هذا النظام باستغلال تقاريرها في التدخل بالشؤون الداخلية. وقد تمثلت في العراق بمنظمات المثلية وجذب قطاعات من الشباب إلى الإيديولوجية العلمانية والليبرالية الأمريكية منها: ايلب وعراق كوير وغيرها العشرات.

الشركات المتعددة الجنسيات

وهي أداة للاستعمار الاقتصادي الذي ظهر بعد الحرب العالمية وبات اليوم يزداد خطورة كون الدول الكبرى تستخدم هذه الشركات في استنزاف مقدرات الدول، وهو مايؤدي إلى إضاعفها وإفقارها، ويسهل فرض الحلول عليها.

وسائل الإعلام

وهي من أهم المؤسسات الفاعلة في هذا النظام ومن أخطر أساليبه في ظل تطور نظم الاتصالات في عالم اليوم وسيطرة الدول الرأسمالية الغربية عليها، إذ أن هنالك ٤ وكالات أنباء فقط تسيطر على ٨٠% من تدفق المعلومات في العالم، وتكرس هذه النسبة لخدمة المصالح الغربية الرأسمالية بنسبة ٩٠% من اجل ترسيخ أفكار الغرب وتمرير رسالته الغربية والحضارية وفرض هيمنته وسلطته، وقد أثرت كثيرا في الرأي العام العراقي وحرفه عن تأييد العملية السياسية في العراق وتمكنت من إحداث الفجوات الكبيرة في عقلية الشعب العراقي. فضلا عن القنوات المحلية التي تستمد برنامجها من الإعلام الغربي هذا كله مضافا إلى الاستعمال الكبير إلى وسائل الفضاء المجازي (سوشيل ميديا).

هذه المنظمات هي التي مكنت أمريكا من احتلال العالم وإسقاط خصمه القطبي السوفيتي ولعبت هذه المؤسسات أدوارا كبيرة في تدمير العالم الإسلامي وسحقه ولها الأثر الكبير في قتل الملايين وتدمير مدن بكاملها واستنزاف ثروات مالية كبيرة كل ذلك لأجل سحق المسلمين وفرض هيمنية القطب الأمريكي عليهم وفق ما اقترحه عليهم اللوبي اليهودي إلا أن القيادات الميدانية البطلة من رجال المقاومة الإسلامية وعلى رأسهم الشهيدين كانوا للمخطط الأمريكي بالمرصاد فكسروا شوكته وصدوا قوته وبالمقابل فرضوا وجودا إسلاميا يعد بحق وبكل المقاسات العلمية ان يقال عنه انه قطب إسلامي متكامل وقادر على أن يلعب دوره في الأحداث العالمية ويقرر ويرسم مستقبل ومصير المنطقة ويحد من دور أمريكا.

ظهور القطبية الإسلامية

وفّرت المبادئ التي طرحتها الثورة الإسلامية والمساحات التي احتلتها والقدرة في استنهاض الوعي المقاوم للمسلمين عموما وشيعة العراق بنحو خاص الظروف لظهور القطب الإسلامي (المقاوم والممانع)، والفرصة الكبيرة لنهضة الشيعة في المنطقة وتغيير خريطتها، وقلب المعادلات السياسية والتوازنات فيها ومن الطبيعي أن تجد الأقطاب الدولية (الصين وروسيا) فرصتها في السعي بان يكون لها تواجد في المنطقة عبر احترام الخصوصيات التي فرضها القطب الإسلامي وعدم تجاوزه وان يكون حوارهم مع القطب الإسلامي أولاً لا مع الأمريكي، وان لا يكون وجود الأقطاب الكبيرة الروس والصين لاغيا للمساحات والانتصارات التي حققها القطب الإسلامي بل يمكنها أن تعمل من خلاله وفق نظرية «تشريك المصالح ضد أمريكا»، وبعدما وجدته فاعلا وموجودا ومسيطرا على الأرض امنيا واقتصاديا خصوصا بعد الهزيمة الكبيرة للمشروع الأمريكي في لبنان والعراق وإيران بقيادة المقاومة ورجالاتها وقادتها وعلى رأسهم القائدين الشهيدين سليماني والمهندس وهنا لابد من الإشارة إلى أن ظهور القطب الشيعي بدوره أدى إلى اضمحلال القطب الأحادي الأمريكي وهنا نشير إلى ما يلي:

انكفاء القطبية وأسبابها

مرحلة عام ٢٠١٠ إلى مرحلة عام ٢٠١٩ كانت مرحلة انكفاء القطبية الأحادية وظهور قطبية ثنائية تمثلت بمحور المقاومة واليسار الدولي (الروس والصين). فمنذ أحداث الصحوة الإسلامية التي هي انعكاس للثورة الإسلامية الإيرانية وتحرك الجماهير الإسلامية للإطاحة بالأنظمة العميلة للولايات المتحدة الأمريكية نجد أن ثمة متغير بارز يمكن تأشيره خصوصا بعد أن تمكن خط الصحوة والمقاومة من حسم الانتصار العسكري لصالحه ضد المحور الأمريكي السعودي الوهابي في حسم المعركة ضد داعش واستعادة سوريا لقوتها والعراق خرج منتصرا، ولبنان حرة سيدة، من هنا نجد أن خط المقاومة (إيران ولبنان والعراق) ودول الممانعة (سوريا) يتجهون مع تشريك العلاقات الإقليمية والدولية مع المحور الدولي الروسي وحضوره الفاعل في المنطقة مع احترام الخصوصيات المحلية للقطب الإسلامي، مما جعل القرار العسكري والسياسي الأمريكي ثانويا وليس أساسيا، وهذا الأمر احد مؤشرات اختفاء القطب

الأحادي ومنع هيمنته على مجريات الأحداث السياسية. كما انه من الجدير بالذكر أن كل هذه العناصر التي أدت إلى تقلص دور القطب الأحادي الأمريكي وتحول القوة القطبية الإسلامية إلى تحديات تعرقل على أمريكا ديمومة قطبيتها، سواء ما كان منها على المستوى الداخلي أو على المستوى الخارجي، أو حتى على مستوى تدخلاتها في العالم والتي بدورها تقوض من قدرتها على البقاء مهيمنة في النظام الدولي، إذ أنها تعاني من داخل مفكك بفعل الأزمة الاقتصادية العالمية والخلافات العرقية في أمريكا وانتشار جائحة كورونا. كل هذه العناصر ما زالت فاعلة وتعمل على سحق أمريكا داخليا ولمن يقيم وضعها الداخلي والخارجي يجد أنها تعاني الانكماش وهذا ما أشار إليه الشهيد سليماني في محاضرة له عام ٢٠٠٧، وكان يتحدث بكل وضوح عن حتمية هزيمتها ويشرح بخبرة عالية الأدلة على ضعفها.

وبالتالي أن ظهور القطبية الإسلامية وما حققته من انتصارات وهي مرحلة ما بعد داعش أعاد خريطة المنطقة والعالم، وجعلت أمريكا منكمشة وتجلت القدرة القطبية الأخرى اشد ظهورا مكونة من الروس والصين والدول المقاومة وإيران وخروج الأتراك عن السيطرة الأمريكية وتفكك الموقف السياسي الأوربي ومحاولة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي (بركزت)، وبالإجمال الذي أن تحديات القطبية الأحادية ومؤشرات ظهور قطبية ثنائية يستفيد منها خط المقومة هي:

ظهور تحالفات أو شبه تحالفات جديدة في المنطقة والمحيط الدولي

فان النتائج التي فرضتها الانتصارات الكبيرة لحزب الله لبنان على إسرائيل في العديد من الحروب والمواقف والتحركات وخصوصا حرب تموز عام ٢٠٠٦، والانتصار الذي حققته المقاومة في العراق بإخراج القوات الأمريكية في عام ٢٠١١ ثم تلتها الانتصارات الكبيرة التي حققتها المقاومة في دحر العناصر الإرهابية الممولة من أمريكا والمال والمخابرات السعودية من (النصرة وداعش وحزب البعث والقاعدة وغيرها من التشكيلات) في لبنان وسورية والعراق كلها أدوات حسم لبروز قطب مقاومة له أثره في المنطقة وفي الخليج والبحر المتوسط والشام، دفع هذا القطب المحوري (خط المقاومة بقيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية) وقيادة الإمام الخامنئي وفتوى المرجع الكبير

السيد السيستاني (الجهاد الكفائي) أن يجعل القوة الجديدة القطبية الإقليمية أن تنحسر مساحة وفاعلية القطب الأمريكي في المنطقة خصوصا أن الدول التي تهمشت اثر القطب الأحادي كروسيا والصين وجدت من المناسب أن تدخل على الخط في المنطقة لحفاظ مصالحها جعل القطب الإقليمي يعزز موقفه بالإسناد الدولي إلا أن مهندس الانجاز الحقيقي على الأرض كان هو الشهيد سليماني والشهيد المهندس والقائد نصر الله وكل القوى والتشكيلات والقيادات المقاومة والقيادات السياسية المخلصة.

ظهور قدرات عسكرية جديدة

فإذا كانت أمريكا تهيمن بقطبيتها الأحادية من خلال التفوق التسليحي المتطور فان جملة من الأسلحة والاستعراضات العسكرية التي قامت بها الجمهورية الإسلامية في البر والبحر الخليجي وفي مضيق هرمز والذي استعرضت فيه قدراتها المتطورة في السلاح والتقنية العالية حتى يتمكن المحور الإقليمي أن يكون القلب والنواة في القطب الدولي الجديد الثنائي ويحتل مساحته ويتمكن من تقليص الدور الأمريكي العسكري والسياسي، هذا فضلا عن قدرات المقاومة في العراق وسوريا وغزة ولبنان هي الأخرى أثبتت للأعداء وجود قدرات عسكرية تقلب المعادلات وتغير التوازنات، وهذا ما تشهد له الصواريخ الباليستيه والتي انطلقت من غزة ضد إسرائيل بتاريخ ٢٢ - ٧ - ٢٠١٩ والصواريخ التي تنطلق من اليمن ضد العدوان السعودي والصواريخ المتطورة التي تمتلكها إيران وعشرات المناورات والمنظومات الصاروخية محلية الصنع والمستورة من الروس وغيرهم.

الانكفاء الكبير عسكريا لمشروع أمريكا في سورية

وقد رصدت لهذه الحرب المخابرات القطرية والتركية والسعودية أموال طائلة وتحدث وسائل الإعلام أن قطر وحدها رصدت أكثر من (٣٠) مليار دولار[٣] لإسقاط إحدى حلقات الممانعة والمقاومة[٤] كما عبر الإمام الخامنئي ومن المؤكد أن الإمام له إشارات كثيرة في هذه المرحلة وهكذا خطب للشهيد سليماني[٥] وخلاصتها تشي بعمق الإدراك والوعي لمشاعر أمريكا والغرب لتقسيم المنطقة لصالح أمريكا والدول الكبرى. وقد بانت ملامح الانتصارات الكبرى لخط المقاومة في سوريا والعراق واليمن وقد وضعت حدا فاصلا بين مرحلتين من عمر

القطب الأحادي مرحلة كان متسيدا ومرحلة أخرى تغيرت المعادلات وبدت فيها الانتكاسات الأمريكية.

ظهور ايدولوجيا سياسية جديدة لمواجهة القطب الأحادي

وهي العقيدة التي رسختها ثورة الإمام الخميني ومنهجها التحرري ورفعت من استعداد الشعوب الإسلامية لمواجهة الخطر الأكبر وقد أدركت الشعوب أن حروب داعش والقاعدة وغيرها بما فيه الحروب التي شنتها السعودية على اليمن إلا أدوات واليات أمريكا والصهيونية لتفتيت المنطقة وخلق الاستعداد لتقسيمها وإعادة صياغتها وفق المنهج الأمريكي وبما يجعل المسلمين خارج المعادلات السياسية هذا فضلا عن الحروب الأمريكية بعد أحداث سبتمبر على أفغانستان والعراق ولبنان ثم حروب الوكالة في سورية والعراق ولبنان.

وقد أدركت أيضا أن اغتيال الشهيدين كان مخطط أمريكي لإدامة الإرهاب ومعاقبة الذي واجه داعش وهذا ما أشار إليه بيان المرجع السيستاني بقوله «أدى الحادث الغاشم إلى استشهاد عدد من أبطال معارك الانتصار على الإرهابيين الدواعش، وأن هذه الوقائع وغيرها تنذر بأن البلد مقبل على أوضاع صعبة جدا، وإذ ندعو الأطراف المعنية إلى ضبط النفس والتصرف بحكمة نرفع أكفنا بالدعاء إلى الله العلي القدير بأن يدفع عن العراق وشعبه شر الأشرار وكيد الفجار[٦]، ثم تلته رسالة الإمام السيستاني شخصيا إلى الإمام الخامنئي[٧].

وبما أن تلك المشاريع الأمريكية لفرض القطبية الأحادية انتهت بالفشل للمخطط الأمريكي ويقابله النصر الكبير الذي حققته إرادة المقاومة وبقيادة ميدانية للشهيد سليماني والشهيد أبو مهدي فلم يكن أمام أمريكا إلا أن تغتال الشهيدين بوهم منها أنها تتمكن من إكمال مشروعها القطبي الأحادي إلا أنها وجدت المقاومة في ذات النهج والقوة والحضور الميداني الفاعل.

وليس هزيمة أمريكا بأمر يحتاج إلى دليل بعد أن خرج المحور منتصرا وبعد تبلور وجود قوة الحشد الشعبي المكملة لدور المقاومة في لبنان وبطبيعة الحال وجدت إسرائيل نفسها محاصرة من السلاح المقاوم والفاعل.

توسع مساحة الروس والصين الإستراتيجية

كلا القطبين الصيني والروسي لديهم سعي

وصولا إلى البحر المتوسط بالنسبة إلى الروس، وهكذا الصين الطامحة بخط الحرير وكل هذا يوجب على الصين والروس أن يمروا من خلال القطب الإسلامي لا أن يهمشوه بتقاسم النفوذ مع أمريكا على غرار (سايكس بيكو)[٨]. خصوصا أنهم أدركوا قوة هذا القطب وفاعلية وجوده في الأرض والأحداث، علما أن روسيا والصين يمكن أن يكون موقفهم وتواجدهم لا يتجاوز القوة القطبية الإسلامية لأنهم أكثر إدراك من أمريكا بطبيعة المنطقة وواقعها لذا لا يكون موقفهم بالنتيجة إلا بالتصالح مع الموقف الإسلامي (القطبي الإسلامي) وبالضد من الموقف الأمريكي[٩].

تفكك العلاقات الأوربية الأمريكية

يتمثل بوجود نزعة الخروج من الاتحاد الأوربي (بركزت) لبعض الدول الأوربية. وتفكك العلاقة بين بعض الدول الأوربية وأمريكا كما في ألمانيا وفرنسا وتباين وجهات النظر وهذا الأمر كانت له تداعيات على الداخل الأمريكي وعلى علاقاتها الخارجية انتهت بهزيمة ترامب انتخابيا وتعيل النهج الأمريكي الى واقعية جديدة مدركة الى الواقع الذي عليه المقاومة وظهور القطب الإسلامي كقوة قادرة على الاحتفاظ بمصالحها وسيادتها. كل هذه النقاط تتداخل لتشكل عوامل ضعف القطبية الأمريكية الأحادية وظهور قطب إسلامي بكل معاني القطبية المحورية والتي ينطبق عليها تعاريف القطبية في علم السياسة الدولية.

ردت الفعل الأمريكي على ظهور القطب الإسلامي

بعد أن شعرت أمريكا وحلفائها بان القطب المقاوم اخذ يحقق انتصارات كبيرة في مختلف المجالات خصوصا في المجال العسكري والذي تمكن من أن يحقق النصر على التشكيلات الإرهابية الأمريكية في لبنان وسورية والعراق وتمكن أن يحقق انتصارات كبيرة في الجبهة الفلسطينية لم يبق أمام أمريكا إلا أن تقوم بردات فعل أشبه بالانتقامية وغير المدروسة ويمكن تلخيصها بما يلي:

١ - إصدار قرارات أمريكية أحادية ضد الحرس الثوري الإسلامي بجعله على لائحة الإرهاب وقد صدرت قرارات ضد النجباء في العراق وصدرت من بريطانيا قرارات ضد حزب الله لبنان، ومازال المخطط الأمريكي مستمر الضرب المقاومة في العراق والمنطقة ومحاربة الخط الثوري والتشديد عليه.

٢ - عقد مؤتمر وارسوا في بولندا ١٣، ١٤ - فبراير ٢٠١٩ وكانت مخرجاته أن تم توحيد الموقف الإسرائيلي الخليجي ضد الجمهورية الإسلامية والتنازل عن القضية الفلسطينية.

٣ - محاولة أمريكا من تشديد الحصار الاقتصادي ضد الجمهورية الإسلامية من خلال سلسلة من القرارات التي اتخذتها الإدارة الأمريكية في زمن ترامب ضد إيران شملت البنوك والعملة والتجارة وتصدير النفط وغيرها[١٠] بما في ذلك تحريك البارجات قرب هرمز والقاذفات الأمريكية[١١].

٤ - محاولة أمريكا والسعودية والدول الأخرى أن تضعف دور الجمهورية الإسلامية في سورية ولبنان والعراق ولكن للعراق خصوصية في الخليج بحكم الموقع الجغرافي لذلك نجد تحرك خليجي أمريكي كبير وواسع ومتعدد الأبعاد بهدف مزاحمة إيران في الأسواق العراقية وفي الاقتصاد العراقي وفي القرار السياسي. ولكن الهدف الأساس هو فصل العراق عن ايران اقتصاديا وسياسيا وحتى امنيا واجتماعيا.

٥ - تنصل أمريكا عن الاتفاق النووي بين إيران و(٥ + ١) بقرار غير مدروس من الرئيس الأمريكي ترامب إلا أن سقوط ترامب وفوز بايدن يعد تحولا يمكن أن يفهم منه الانتصار السياسي الجديد لخط المقاومة ويؤشر على فشل المتبنيات التي رسختها السياسة الترامبية خصوصا أن الدراسات تشير أن احد أسباب سقوط ترامب هو الدور الروسي والصيني والإيراني وان هزيمة ترامب لا تعني هزيمته كشخص بل هزيمة منهجه ومتبنياته.

٦ - إطلاق أمريكا يد السعودية لسحق المقاومة التي تشكل بنظر أمريكا مستقبل احد عوامل قوة المحور القطبي الإقليمي وهي حركة أنصار الله في اليمن وحركة الصحوة والتحرر في البحرين فضلا عما فعلته في العراق ولبنان وسوريا من إرسال الانتحاريين والمفخخات وإدخال المنطقة إلى حروب أهلية.

٧ - دفعت أمريكا السعوديين والإمارات إلى مزيد من شراء السلاح الأمريكي والقبول بتأسيس القواعد العسكرية وقد قدر حجم مبيعات السلاح الأمريكي لهما خلال عام ٢٠١٤ الى عام ٢٠١٨ ب (٢٣٠) مليار دولار ربما لتحريك عجلة الاقتصاد الحربي في أمريكا ولمواجهة القطب الإسلامي في المنطقة والخليج والشام[١٢].

٨ - قيام الحكومة الأمريكية باغتيال الشهيدين وضرب مقرات ومعسكرات الحشد

ومحاولتهم لقلب العملية السياسية من خلال تحريك الشارع الشيعي ضد القيادات ولانتزاع الحكم من الشيعة، مع المحاولات الكثير لتغيير خريطة الواقع السياسي العراقي.

النتائج

١ - من المؤكد أن ظهور قطب جديد في محوره وجوهره الدول المؤمنة بالخط المقاوم والتي ترسمت نهضة ومنهج الصحوة الإسلامية (العراق وإيران ولبنان وسورية) فان هذا المحور سيكون مؤثرا في رسم خريطة العالم الإسلامي العربي ويعيد توازناته السياسية والعسكرية والاقتصادية، وبلا إشكال أن المنطقة الآن ومستقبلا سوف تشهد تواجد دولي كبير بفعل المتغيرات الاقتصادية وظهور الغاز ورغبة إسرائيل في التمدد على العالم الإسلامي والعربي من خلال التطبيع وصفقة القرن يرافق هذا تحرك الصين لإيصال خط الحرير منها إلى أوربا عبر البحر المتوسط وهذه المشاريع الدولية كان يمكن أن تنجح بتقاسم النفوذ بين الدول الكبرى من دون أن يكون للدول الإسلامية أي دور كما حصل في سايكس بيكو إلا أن وجود المقاومة ووعيها وقوتها ومساحة تواجدها فرضت على القوى العظمى أن تدرك أهمية التنسيق واحترام القطب الإسلامي الماسك بالأرض وهذا بلا إشكال بفضل جهود المقاومة والثورة الإسلامية وفتوى الجهاد الكفائي ودور الشهيدين.

٢ - ظهور القطب الإسلامي في المنطقة سيؤدي إلى بناء فكر اجتماعي سياسي جديد يقوم على أساس الإيمان بمبدأ السيادة ومواجهة الغطرسة الأمريكية الإسرائيلية الصهيونية، ويفرض واقع على أمريكا بان تدرك أنها ليس اللاعب الأوحد في الساحة الإسلامية كما كانت هي وأوربا تعتقد في القرن العشرين والذي قبله والذي تلاه.

٣ - أيضا أن ظهور القطب الإسلامي سوف يودي إلى ضعف المحور العميل في المنطقة من الدول التي تربط مصالحها ووجودها بالولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وهم عربان الخليج والتي عقدت صلح دائم في (كامب ديفيد واوسلوا ومؤتمر وارسوا في بولندا).

٤ - وبهذا يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أن المقاومة في الوقت الذي مكنت المجتمع الإسلامي من استعادة هويته وسيادته فإنها ستكون السبيل الأوحد للحفاظ على مصالح المسلمين وإفشال مشروع القوة القطبية الأحادية والتي تريد أن تتحكم بمصائر

المسلمين وتجعل من إسرائيل سيدة الشرق الأوسط أو أن تتقاسم الدول النفوذ في العالم الإسلامي على حساب المنطقة وبهذا فان المقاومة شكلت بقيادة المقاومة والشهيدين وبقية القادة مصدا ضد التهميش وحامي لمصالح المسلمين ورافعة لوجودهم وسبب لقوتهم وعزتهم.

التوصيات

١ - من الضروري بمكان خلق مفاعيل القوة الناعمة بين الدول الإقليمية العراق وإيران وسوريا الواعدة بان تكون قوة إقليمية لها تأثيراتها على المشهد السياسي العالمي وتتمكن من خلال القوة الناعمة والوعي والإعلام ترسيخ وجودها وتحريك الأمة لمناصرتها، وتعميق الوعي ضد المخططات الأمريكية وتعزيز الثقة لدى الشعوب الإسلامية لمواجهة التحديات والدفاع عن الانتصارات وعدم السماح لأي قوة في تهميش الوجود الإسلامي بعد ان حقق وفرض وجوده وعزته والتي ضحى لأجلها الشهيد سليماني وأبو مهدي.

٢ - الاستفادة القصوى من الزيارات السياحية والدينية بين البلدان المحورية وخصوصا الزيارة الأربعينية، ومن ذكرى استشهاد البطلين، وأيضا التأكيد على الانتصارات وعلى الهوية والانتصارات التي حققها المحور المقاوم ويتم من خلال التعريف بمنهج المقاومة وأبعاده المرحلية والإستراتيجية ودور الشهيدين فيه ولابد من تركيز الدراسات في منهج الشهيدين وترسيخه في الوعي والثقافة الإسلامية ومن خلال تحويل استشهاد القائدين إلى منهج فكري شيعي وعليه لابد من تطوير العقيدة القتالية والعمق الفكري للايدولوجيات والتحولات التي تحكم المنطقة.

٣ - ضرورة تقوية الروابط الأمنية لخط المقاومة، مع توحيد الروية والأهداف وخلق ستراتيجيات موحدة ومنع الاجتهادات والتعامل بحكمة عالية كون مستقبل العالم الإسلامي رسمه دم الشهيدين بجعل القطب الإسلامي حاضرا في حسابات الواقع وليس عالم من الافتراض والخيال، ولابد في البين إيصال الرسائل إلى المحيط الدولي والإقليمي المرتبط بالإرادة القطبية الأمريكية أن المقاومة باقية وقوية وعزيزة كما كانت في زمن الشهيدين وتبقي لان قدر المسلمين هو الحفاظ على الانتصار وعلى مكانتهم.

٤ - ضرورة خلق اعتماد اقتصاد ذاتي بين الدول المحورية وتنشيط التبادل التجاري

والصناعي والعمل على تحصين القرار السياسي لخط المقاومة والممانعة بما يجعل دخول الصين والروس وفق مصالح أبناء المنطقة ومن خلالهم وليس بنحو احتلالي ليبقى الخط المقاوم ومسلمي المنطقة أسياد في أرضهم. وهم من يقررون.

المصادر والمراجع

أولا - الكتب

١ – انظر كتاب: الاغتيال الاقتصادي للأمم: اعترافات قرصان اقتصادي لجون بيركنز، ترجمة ومراجعة: مصطفي الطناني وعاطف معتمد، وتقديم الدكتور شريف دلاور، بيروت – ط ٢٠١١ ص٢٩٩. وانظر كتاب: سياسات صندوق النقد الدولي وأثرها على الدول النامية، للدكتور محمد عبد الله شاهين محمد – القاهرة – مكتبة مدبولي – ٢٠١٠ – ص٦٥.

٢ – بافل باييف، الاتحاد الروسي كفاح مناجل التعددية القطبية، في كتاب: القوى العظمى والاستقرار الاستراتيجي في القرن الحادي والعشرين روى متنافسة للنظام الدولي، تحرير، جرايمي هيرد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية. ابو ظبي، ط١، ٢٠١٣.

٣ – جيمس دورتي وروبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، كاظمة للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ١٩٩٠.

٤ – دعد أبو مهلب عطا الله، الثنائية الدولية والعالم المعاصر مابين ١٩٤٥ – ١٩٩٠، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩.

٥ – أندرياس جرن والد وآخرون، تجارب الإعلام المرئي والمسموع في أوروبا، ترجمة: حازم سالم، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠.

٦ – جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، تعريب: محمد توفيق البجيرمي، ط١، الرياض، مطبعة العبيكان، ٢٠٠٣.

٧ – نفس الكاتب، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، تعريب: محمد توفيق البجيرمي، ط١، الرياض مطبعة العبيكان، ٢٠٠٧.

٨ – خليل عثمان، اعتقالات في دمشق بسبب محدودية الإصلاحات السياسية لبشار الاسد، مجموعة مقالات ضمن كتاب: ربيع دمشق: قضايا – اتجاهات – نهايات، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، بلا تاريخ.

٩ – دعد موسى، المرأة السورية والمجتمع المدني، مجموعة مقالات ضمن كتاب التحول الديمقراطي في سوريا والخبرة الإسبانية، ط١. القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، ٢٠٠٩.

١٠ – رضوان زيادة، ربيع دمشق: قضايا – اتجاهات – نهايات، القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، بلا تاريخ.

١١ – رفيق عبد السلام، الولايات المتحدة بين القوة الصلبة والقوة الناعمة، ط١، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠٠٨.

١٢ – ريتشارد هاس، نحو مزيد من الديمقراطية في العالم الاسلامي، القاهرة، دار المستقبل العربي ٢٠٠٤.

١٣ – ستيفن بوشيه وريو مارتن، مراكز الفكر: أدمغة حرب الأفكار، ترجمة ماجد كنج، ط١، بيروت، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ٢٠٠٩.
١٤ – ظمياء حسين الربيعي، الاتجاهات السياسية للصحافة العراقية: دراسة وصفية للاخبار الصحفية بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، ط١. بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠١٢.
١٥ – عدنان عبد الرحمن بو عامر، مراكز البحث العلمي في إسرائيل: السياسات، الأهداف، التمويل. ط١. بيروت، مركز نما للبحوث والدراسات، ٢٠١٣.
١٦ – محمد صادق الهاشمي، الثقافة السياسية للشعب العراقي، بيروت، مطبعة الساقي، ٢٠١٣.
١٧ – مجموعة باحثين، مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط: دور المبادرة في توسيع آفاق الفرص السياسية، مقال ضمن كتاب قضايا حقوق الإنسان – الإصدار التاسع. القاهرة، دار المستقبل العربي، ٢٠٠٤.
١٨ – هوارد ج وياردا، المجتمع المدني: لنموذج الأمريكي والتنمية في العالم الثالث، ترجمة ليلى زيدان. ط١، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ٢٠٠٧.

ثانيا: الرسائل والأطاريح

١ – حامد بن عبد العزيز محمد النوري، أثر القوة في العلاقات الدولية: المتغيرات السياسية المعاصرة في منطقة الشرق الأوسط ١٩٤٥ – ١٩٩٠، الخرطوم جامعة الخرطوم – كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، ٢٠٠٦. رسالة ماجستير منشورة في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني:
khartoumspace. uofk. edu.
٢ – مؤمن طارق صالح، القوة الناعمة والسياسة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس باراك أوباما، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، بغداد، ٢٠١٥.
٣ – مريم براهيمي، التعاون الأمني الأمريكي – الجزائري في الحرب على الإرهاب وتأثيره على المنطقة المغاربية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة محمد خيضر – كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٢.
٤ – وداد غزلاني، العولمة والإرهاب الدولي بين آلية التفكيك والتركيب، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجزائر، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٠.

ثالثا: المجلات

١ – احمد عبد المجيد، الأساليب الاقناعية لتنظيم داعش في تجنيد الأفراد، مجلة الباحث العراقي، العدد٣١، جامعة بغداد، كلية الإعلام، ٢٠١٦.
٢ – يحي اليحياوي، القوة الناعمة او في التمظهرات الجديدة للتسلط القطبي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٦٩، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩.
٣ – يوسف محمد جمعة الصواني، اتجاهات الرأي العام العربي نحو الديمقراطية وبروز الاحداية القطبية: تحليل نتائج الدراسة الميدانية، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٤.

رابعاً: المقالات ومواقع الانترنيت

١ – إسلام حلايقة، دور الإعلام وتأثيراته في مسار الانقلاب الفاشل بتركيا، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني:

https: //goo. gl/kK٢NaJ.

٢ – احمد فاضل جاسم داود، عدم الاستقرار المجتمعي في العراق ما بعد ٢٠٠٣: دراسة تحليلية في التحديات المجتمعية والأفاق المستقبلية، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني
https: //goo. gl/MtcsiO

٣ - Alexander L. Vuving. How soft power works؟. www. apcss. org

٤ – باسم حسين الزيدي، السياسة الخارجية: التحدي الأصعب للحكومة العراقية، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني:
http: //goo. gl/٤XqKOg

Tudit Trunko. whatis soft power capability and how does it impact foreign policy؟. www. culturaldiplomacy. org

٥ – جودت هوشيار، جوزيف ناي ونظرية القوة الناعمة، ٢٠١٣، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني:
http: //goo. gl/KAwRp٨

٦ – جوزيف س. ناي. الربيع العربي والسلطة في القرن الحادي والعشرين، لقاء صحفي مع السيد ناي يوم ٢٨ يوليو ٢٠١١منشورفي الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني:
http: //goo. gl/٦yYpnn

٧ – حسن نافعة، القوة الناعمة ودورها في المجتمع بعد ظهور القطبية الثنائية، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني:
http: //goo. gl/٨١HgBc

٨ – خالد عليوي العرداوي. زيارة الأربعين في ميزان النهوض الحضاري للعراق. مقال نشره مركز الدراسات الإستراتيجية – جامعة كربلاء في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني:
http: //kerbalacss. uokerbala. edu. iq

الهوامش

[١] بسم الله الرحمن الرحيم
الشّعب الإيراني العزيز
ها قد حلّق لواء الإسلام العظيم وشامخ القامة إلى السماوات. لقد عانقت ليلة أمس أرواح الشهداء الطيّبة روح قاسم سليماني الطاهرة. إنّ سنوات من الجهاد الخالص والشّجاع في ساحات مقارعة شياطين وأشرار العالم، وأعوام من تمنّي الشّهادة في سبيل الله بلّغت أخيراً سليماني العزيز هذه المنزلة الرّفيعة إذ سُفكت دماؤه الطاهرة على يد أشقى أفراد البشر على وجه الأرض. إنّني أتقدّم بأسمى آيات التبريك لصاحب العصر والزّمان بقية الله

الأعظم (أرواحنا فداه) ولروحه الطاهرة وأعزّي الشّعب الإيراني. لقد كان نموذجاً بارزاً للناهلين من فيض الإسلام ومدرسة الإمام الخميني، فقد أمضى جُلّ عمره بالجهاد في سبيل الله. الشّهادة كانت جزاء مساعيه الحثيثة طوال كلّ هذه الأعوام. سوف لن يتوقّف عمله ونهجه برحيله بحول وقوّة من الله ولن يبلغ طريقاً مسدوداً، لكنّ الانتقام القاسي سيكون بانتظار المجرمين الذين تلوّثت أيديهم القذرة بدمائه ودماء سائر شهداء حادثة الليلة الماضية. الشهيد سليماني شخصيّة مقاومة دوليّة وإنّ جميع محبّيه يطالبون بالثأر لدمائه. فليعلم جميع الأصدقاء – والأعداء أيضاً – أنّ نهج الجهاد في المقاومة سيستمرّ بدوافع مضاعفة وأنّ النّصر الحاسم سيكون حليف مجاهدي هذا المسار المبارك. فقدان قائدنا المضحّي والعزيز مرير لكنّ استمرار النّضال وتحقيق النّصر النهائي سوف يكون أشدّ مرارة على القتلة والمجرمين.

سوف يُكرّم الشعب الإيراني اسم وذكرى الشهيد رفيع الشأن اللواء قاسم سليماني والشهداء الذين كانوا معه خاصّة مجاهد الإسلام الكبير السيّد أبو مهدي المهندس وإنّني أعلن الحداد في البلاد لثلاثة أيّام وأتقدّم بأسمى آيات التبريك والعزاء لزوجته الكريمة وأبنائه الأعزّاء وسائر أقربائه.

السيّد علي الخامنئي

٢٠٢٠/١/٣

[٢] بتاريخ ٢٢ – جمادي الأول سنة ١٤٠٩ هجري (في يناير ١٩٨٩) أرسل الإمام الخميني رسالة إلى كوربتشوف حضره فيها ونبئه عن حتمية سقوط الاتحاد السوفيني ثم سقوط القطب الأمريكي وحذره من أن ترتمي روسيا أو المعسكر الشرقي في أحضان الغرب.

[٣] كمال ديب. لعنة قائين: حروب الغاز من روسيا وقطر إلى سوريا ولبنان.

[٤] هذا ما ورد في خطبة الإمام الخامنئي بتاريخ ١٢ – ٨ – ٢٠١٣.

[٥] الإمام الخامنئي: صدق الوعد الإلهي بالنصر والثبات الأمم على المقاومة ١٢ – ٩ – ١٣٩٧.

٢ – الإمام الخامنئي: إذا وقف المسلمون فسوف يهزمون القوى الاستبدادية ١٣٩٧ – ٩ – ٧.

٣ – ردّ الإمام الخامنئي على رسالة السيّد إسماعيل هنيّة حول آخر التطوّرات في فلسطين: الجمهورية الإسلامية لن تدّخر جهداً في استعادة حقوق الشعب الفلسطيني ودفع شر الكيان الصهيوني ٠٦/٠٧/٢٠٢٠.

٤ – كلمة الإمام الخامنئي خلال المؤتمر العالمي لعلماء الدين والصحوة الإسلامية ٢٩/٠٤/٢٠١٣

٥ – خطاب الإمام السيد علي الخامنئي بمناسبة اليوم الوطني لمقارعة الاستكبار العالمي ٠٣/١١/٢٠١٣

٦ – خطاب الإمام الخامنئي لدى لقائه مسؤولي الدولة وسفراء الدّول الإسلاميّة ٠٩/٠٨/٢٠١٣

٧ – الإمام الخامنئي لحكام الدول الإسلامية خلال لقائه بضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية: انضووا تحت ولاية الله فولاية أمريكا لن تنفعكم ٢٥/١١/٢٠١٨

٨ – سليماني قائد فيلق القدس الإيراني: نزع سلاح المقاومة هرطقة باطلة ووهم لن يتحقق حتى افشال المشروع الامريكي ٢٠١٤/٧/٣٠

[٦] تاريخ صدور البيان الذي ألقاه الشيخ عبد المهدي الكربلائي بتاريخ ٣ – ١ – ٢٠٢٠.

[٧] قال المرجع السيستاني «لقد موقف الحاج سليماني خلال فترة حربه ضد عناصر داعش كان منقطع النظير ولا يمكن نسيانه ونسيان ما تحمله من زحمات»

[٨] اتفاقية سايكس بيكو في ١٩١٦ هي معاهدة سرية بين فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة من الإمبراطورية الروسية وإيطاليا على اقتسام منطقة الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا، ولتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا وتقسيم الدولة العثمانية التي كانت المسيطرة على تلك المنطقة في الحرب العالمية الأولى. اعتمدت الاتفاقية على فرضية أن الوفاق الثلاثي سينجح في هزيمة الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى ويشكل جزءاً من سلسلة من الاتفاقات السرية التي تأمل في تقسيمها. وقد جرت المفاوضات الأولية التي أدت إلى الاتفاق بين ٢٣ نوفمبر ١٩١٥ و٣ يناير ١٩١٦، وهو التاريخ الذي وقع فيه الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس على وثائق مذكرات تفاهم بين وزارات خارجية فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية آنذاك. وصادقت حكومات تلك البلدان على الاتفاقية في ٩ و١٦ مايو ١٩١٦.

[٩] قالت وزارة الخزانة البريطانية بتاريخ ١٧/يناير –كانون الثاني ٢٠٢٠ إنها صنفت منظمة حزب الله بجميع أجنحتها جماعة إرهابية، بناء على قواعد مكافحة الإرهاب. وكانت الحكومة البريطانية في السابق، بناء على قواعدها، تدرج الجناح العسكري فقط لحزب الله، تحت هذا التصنيف وتخضع أرصدته للتجميد. وقال متحدث باسم الوزارة: "بعد المراجعة السنوية للتصنيف الموجود حاليا للجناح العسكري لحزب الله، اتخذ قرار بإدراج الجماعة برمتها منظمة إرهابية... وهذا يتماشى مع تصنيف وزارة الداخلية للجماعة في عام ٢٠١٩. والتصنيف الموجود حاليا للجناح العسكري للحزب هو تصنيف مطبق على نطاق الاتحاد الأوروبي.

[١٠] جريدة كيهان العربي – ٢٢ – ٦ – ٢٠١٨

[١١] واشنطن بوست – ٦ – ٣ – ٢٠١٩

[١٢] محمد علي غالب: دور أمريكا والخليج في الصراع القطبي والإقليمي، دمشق (دار أطلس)، ط ١ عام ٢٠١٨، ص ٧٨.

الباحث جمعة العطواني
باحث وكاتب من العراق

الأبعاد السياسية في اغتيال الشهيدين القائدين سليماني والمهندس

مقدمة:

يرتكز المشروع الامريكي في غرب اسيا على عناصر ايسية، اهمها: العنصر العسكري والجغرافي والثقافي.

كانت امريكا منذ عقود طويلة تراهن على تقسيم الدول الاسلامية والعربية على اسس طائفية او قومية او عنصرية او حتى قبلية حسب التركيبة السكانية لهذه الدول، وهذا المرتكز الذي على اساسه وضع مشروع الشرق الاوسط الجديد.

بالتاكيد فان هذا التقسيم لا يمكن ان ينفذ بقرار سياسي او عسكري امريكي، على اعتبار ان الشعوب واغلب الدول وحتى الانظمة العربية الحاكمة لا تقبل ولا تستجيب لذلك القرار، لكن الامريكان عندما وضعوا هذا المشروع وضعوا ادوات تنفيذه معه.

ففي كل دولة عربية او اسلامية مكونات اجتماعية مختلفة من الشعوب تنتمي الى هويات دينية او مذهبية او قومية او قبلية، من هنا جاء المرتكز وهو المرتكز الثقافي، فقد عمدت امريكا الى العمل

على تفكيك هذه الشعوب على اساس الانتماءات والهويات المختلفة، مستغلة الاختلافات والخلافات الدينية والمذهبية احيانا او القومية احيانا اخرى وهكذا، فتقوم بتغذيتها وتاجيجها الى حد اشعال الحروب الاهلية بين تلك الشعوب لتتدخل هي بعد ذلك - امريكا - بوصفها (حمامة سلام) لتخلص هذه الشعوب من تلك الحروب، فتقسم الدول على اساس الانتماءات التي تصارعت بسببها وتحت شعار (حق الشعوب في تقرير مصيرها).

وحتى يتم تنفيذ هذا المخطط باشراف امريكي كامل لابد لها من القيام بعمل عسكري مباشر او غير مباشر، فقامت على سبيل المثال بدخول المنطقة واحتلال بعض البلدان بذرائع شتى، فاحتلت افغانستان ومن ثم العراق، وادخلت هذين البلدين في اتون حروب اهلية داخلية، ولا زال شعبا البلدين ينزفان دما لسنوات طوال.

ثم بعد ان سيطرت على مقدرات البلدين والتحكم بالقرار السياسي والامني من خلال بعض ادواتها من صناع القرار السياسي في البلدين، قامت بالخطوة الثانية وهي الحروب غير المباشرة (الحروب بالنيابة) لتضرب عصفورين بحجر واحد، فوفرت على نفسها خسائر بشرية ومعدات عسكرية وامكانات مالية من خلال صناعة جماعات ارهابية من داخل هذه الدول اونقلها من دول اخرى تحمل عقيدة تكفيرية تمارس الحرب الاهلية التي تريدها امريكا وتنشر الفرقة الطائفية والدينية، وبالنتيجة لا تتوقف الى حين تفكيك النسيج الاجتماعي لتلك الشعوب، وتتعبها الى حد تتصور فيه امريكا ان هذه الشعوب ستقبل باي حلول من شانها ان تنهي ذلك الصراع الداخلي حتى لو كان تقسيما طائفيا او قوميا.

فكات تنظيمات داعش الارهابية وجبهة النصرة واحرار الشام، فضلا عن تنظيم القاعدة وغيرها من الجماعات الارهابية.

وبهذا جمعت امريكا بين البعدين العسكري الذي يخرب ويدمر الدول، وبين البعد الثقافي والعقائدي التكفيري الذي يدمر العقول.

لكن الادارات الامريكية المتعاقبة ومن يقف معها من كيان صهيوني وامراء الخليج فشلوا فشلا واضحا رغم ما لحق ببعض الدول العربية وشعوبها من دمار وخراب بسبب تلك الحروب.

امريكا شخصت اسباب هذا الفشل والذي سنمر عليه من خلال البحث بمقدار ما يتطلب المقام، فاننا نذكر بعض العناصر المهمة التي ساهمت بهذا الفشل وهو وجود قيادات اسلامية

ميدانية كان لها دور كبير في مواجهة هذا المشروع السياسي والعسكري والثقافي، استطاعت ان تقوم بدور كبير في المحافظة على وحدة الشعوب وسيادة الدول التي اجتاحها الارهاب الامريكي، ونجحت في توحيد اللحمة الاجتماعية بين مختلف المكونات الاجتماعية.

ومن هذه الشخصيات الكبيرة الشهيدان القائدان الحاج قاسم سليماني والحاج (ابو مهدي المهندس)، وقد شخص العدو ما لهذين القائدين من دور في ادارة المعارك ضد الارهاب في العراق وسوريا ولبنان، ولذلك تحركت المخابرات الامريكية بالتنسيق مع العدو الصعيوني وبعض انظمة الخليج لتنفيذ جريمتهم المروعة فجر ٢٠٢٠/١/٣م.

المواجهة العسكرية

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي (سابقا) اعتقدت الولايات المتحدة الامريكية انها تفردت في قيادة العالم والهمينة عليه، حتى انها لم (تُعِرْ) ادنى اهتمام للمؤسسات الاممية كمجلس الامن الدولي والامم المتحدة، ولا للمنظمات الحقوقية الدولية.

وقبل هذا التوقيت، ومع بزوغ الثورة الاسلامية في ايران[١] وسقوط نظام الشاه - الذي كان يمثل ضمانة امنية وعسكرية وسياسية واقتصادية للولايات المتحدة الامريكية - كانت امريكا تراهن على اسقاط التجربة الاسلامية الفريدة من نوعها منذ قرون من خلال دفع نظام الطاغية صدام لشن حرب ضدها[٢]، وفرض حصار اقتصادي وعسكري خانق، والقيام بعمليات اغتيال القادة السياسين وعلماء الطاقة الذرية[٣].

كانت نتيجة ذلك كله ان خرجت الجمهورية الاسلامية منتصرة من جهة، وقوية ومقتدرة من جهة اخرى، ومن ثمار هذا الانتصار تاسيس الحرس الثوري الذي يمثل عصب الحياة العسكرية ليس للجمهورية الاسلامية فحسب، بل لكل محور المقاومة[٤].

ثم جاءت محاولة العدو الصهيوني في اجتياح لبنان بشكل كامل في ثمانينات القرن الماضي[٥]، وكانت نتيجة هذا الاجتياح هي تاسيس حزب الله في لبنان، والذي بوجوده مُني الكيان الصهيوني بهزائم كبرى في عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٦، وبعدها اصبح حزب الله قوة اقليمية عظمى وعامل توازن او ردع كبيرة على مستوى المنطقة ايضا.

اما في العراق فبعد احتلالتها للعراق عام ٢٠٠٣، وهزيمتها على ايدي المقاومة الاسلامية

وجلاء قواتها اثر تلك الهزيمة في نهاية عام ٢٠١١م، حرَّكتْ تنظيمات داعش الارهابية في عام ٢٠١٤ مما ادى الى احتلال ثلاثة محافظات عراقية، وعلى اثر ذلك صدرت فتوى تاريخية من اية الله العظمى السيد علي السيستاني - دام ظله -[٦]، فكانت نتيجة الفتوى والمواجهة مع الارهاب تاسيس الحشد الشعبي، والذي يعد ضمانة امنية وعسكرية لاي عدوان يتعرض له العراق، وهذا الحشد بما يحمله من عقيدة اسلامية وجهادية بات يمثل مشكلة كبيرة للوجود الامريكي في المنطقة[٧].

اما في اليمن فقد تحركت امريكا وادواتها لايجاد فتنة سياسية واجتماعية، وشكل النظام السعودي بدعم امريكي وغربي تحالفا من مختلف الدول العربية التي تعتاش على الاموال السعودية والدعم السياسس الامريكي لاحتلال اليمن، ولكن كانت النتيجة هذه المرة كسابقاتها من الهزائم، اذ حقق الشعب اليمني انتصارات هي اقرب الى الاعجاز الالهي منه الى النصر العسكري التقليدي، ولا زالت السعودية تنزف اموالا وقدرات بشرية وعسكرية طائلة، وتتعرض بعض محافاظاتها ومخازن نفطها الى صواريخ اليمن لتصل بدقة متناهية الى قلب اهدافها امام عجز منظومات الدفاع الصاروخية التي نصبتها امريكا بمليارات الدولارت[٨].

من الجدير بالذكر ان الجبهة السورية تحركت عليها امريكا بدعم من اغلب الدول والامارات الخليجية، وبخاصة السعودية وقطر والامارات في حرب (كونية) لتفكيك الدولة واسقاط النظام السياسي من خلال نفس الجماعات الارهابية، حصل ذلك بالتزامن مع الجبهة اليمنية، فكانت النتيجة خسائر متتالية وهزائم غير متوقعة دون تحقيق شيء مما يطمحون اليه[٩].

ما نريد ان نخلص اليه من ذلك هو ان الشهيد القائد سليماني كان يمثل المحور الرئيس في ادارة وقيادة والتنسيق مع القيادات العسكرية والسياسية في تلك الجبهات.

فقد اشار سماحة السيد حسن نصر الله في احدى لقاءاته الى الدور الذي لعبه الشهيد القائد في التخطيط والتنسيق والاشراف على المعركة التي دارات بين حزب الله والكيان الصهيوني في حرب تموز من عام ٢٠٠٦م، وحقق فيها حزب الله نصرا تاريخيا تغيرت بعدها موازين القوة وقواعد الاشتباك[١٠].

والكلام نفسه وزيادة عن دور الحاج القائد سليماني في سوريا والعراق وحتى اليمن، فكان يمثل محورية كبيرة في القيادة احيانا والاشراف

واحيانا اخرى والتنسيق ووضع الخطط الاستراتيجية احيانا ثالثة في جبهات محور المقاومة.

اما الشهيد القائد (ابومهدي المهندس) فكان بحق قطب الرحى الميداني في الجبهة العراقية ضد الارهاب، وكانت لطبيعة علاقته النفسية الروحية والعقائدية والاخوية مع الشهيد القائد سليماني دور كبير في فهم بعضهم لبعض وفي تبادل الادوار ووضع الخطط وادارة المعارك.

كان الشهيد المهندس يمثل مشكلة كبيرة للامريكان في العراق على صعيد القرارات العسكرية او اداراة المعارك، وبخاصة بعد انفتاحه على القيادات العسكرية في الجيش والشرطة الاتحادية، وكانوا يكنون له كل الاحترام والتقدير لدماثة خلقه وقدرته وكفاءته في التخطيط واداراة المعارك.

وجود القائدين الشهيدين سليماني والمهندس يمثل محورية في ادارة المعارك التي يخوضها الحشد الشعبي، او يكون فيها الحشد سنام المعركة بسبب تواجدهما الميداني ومشاركتهما مع المقاتلين في السواتر الامامية للمعارك، فهما لا يكتفيان بوضع الخطط العسكرية وادارة المعركة من بعيد، بل انهما يتواجدان في خطوط التماس مع العدو دون خوف او وجل، مما اعطى زخما كبيرا وارتفاعا في معنويات المقاتلين، وحتى كبار قيادات الجيش والشرطة الاتحادية.

كل ذلك يجري امام انظار كبار الجنرلات الامريكان وتحت رصد المخابرات الامريكية المتواجدة في ساحات المعارك او تراقب الاحداث من بعيد، او من خلال رصد الطيران الامريكي الذي يغطي سماء المعركة.

المواجهة الثقافية

المعركة الثقافية او المواجهة العقائدية تمثل اعلى واصعب انواع المواجهات والحروب مع العدو كونها تستهدف القلوب والعقول، بينما المعركة العسكرية تستهدف الابدان والبلدان، ومن ينتصر في المعركة الثقافية سيكون النصر النهائي حليفه حتى لو خسر المعركة العسكرية، فالانتصار العسكري قد يكون انتصارا (آنيا)، بينما الانتصار الثقافي يكون انتصارا (دائميا) كونه يستولي على العقول والقلوب، وعندها لن يحتاج الى حروب عسكرية.

لهذا وجدنا العدو قد اشتغل على المواجهة الثقافية بموازاة المواجهة العسكرية، وربما انفق من الاموال في هذه الجبهة بقدر ان لم يكن

اكثر من الاموال التي انفقها على المعركة العسكرية، فنتظيم داعش الارهابي واخواته (جبهة النصرة والقاعدة) وبقية التنظيمات الارهابية كانت المواجهة معهم مواجهة ثقافية وعقائدية، فضلا عن العسكرية،، فهم يحملون عقيدة تكفيرية راسخة في عقولهم وقلوبهم، وتشبعت عقولهم بالفكر الوهابي التكفيري واعتنقوه على اساس انه دين (حق)، واشتغلت عليه المخابرات الامريكية والماسونية العالمية لتحقيق اهدافها في مشروع الشرق الاوسط، كونه يمثل افضل سلاح لتمزيق وحدة المسلمين وتكفيرهم، وقد وظفت المخابرات السعودية كل امكاناتها المالية والمعنوية لتنجنيد الالاف من هؤلاء لتنفيذ المشروع الامريكي.

فتجنيد الشباب وغسل ادمغتهم والتشكيك بثواتهم الاسلامية ومسخ هويتهم الدينية وتقاليدهم الاجتماعية يوفر لاصحاب المشروع الامريكي الجهد الاكبر لتحقيق اهدافهم، تقول وزيرة الخارجية الامريكية الاسبق (ان الولايات المتحدة الامريكية عملت طوال السنين الماضية على كسب عمالة الحكام، اما الان فنحن نعمل على كسب عمالة الشعوب)[١١].

وهذه حقيقة لمسناها لمس اليد، اذ ان الالاف المؤلفة من التنظيمات الارهابية تعمل لصالح المشروع الامريكي بعمالة معلومة او غير معلومة، كما ان مسخ الهوية الدينية للشباب وتقديم الاغراءات البديلة (الثقافة الغربية) والتحلل الخلقي، واشاعة المثلية الجنسية، وجعل الشباب يتغنون بامريكا والغرب لما توفره من سلوكيات تشبع غرائزهم وشهواتهم، وعندها سيكون هؤلاء عملاء للمشروع الامريكي من حيث يشعرون او لايشعرون.

في العراق على سبيل المثال وجدنا العشرات من هؤلاء قد تحولوا الى مثليين جنسيين بدعم امريكي وغربي، حتى ان مقر الاتحاد الاوروبي في بغداد رفع علم المثليين الجنسيين في المنطقة الخضراء بمناسبة اليوم العالمي للمثليين الجنسيين[١٢]، وقد مارس الشباب (المجندون) من المخابرات الامريكية الرذيلة والانحراف والقتل وانتهاك الحرمات في ساحات التظاهرات التي انطلقت في المحافظات الجنوبية وبخاصة بغداد بعد جهد متواصل من السفارة الامريكية في بغداد والقنصلية الامريكية في البصرة.

فالمواجهة او الحرب الثقافية تعد من الخطورة بمكان الى درجة انها قد تنسف كل الانتصارات العسكرية التي تحققها الدول ضد المحتل، وعندها يسهل تقسيم دول العالم

الاسلامي الى كانتونات طائفية او مذهبية او لادينية، ولهذا يقول برنارد لويس (سكان هذه المنطقة هم شعوب رعاع فاشلون ولا يستطيعون النهوض بانفسهم ولا استغلال مواردهم، فالعرب والمسلمون بشكل عام لا يستطيعون ان يكونوا شعوبا متقدمة ومواكبة الحضارة، وهذه هي النقطة التي يجب ان يستغلها الغرب عن طريق اصلاحهم وتثقيفهم بالثقافة الغربية القائمة على اساس الفردانية والحرية الراسمالية، وتتم هذه العملية عبر تجزئة المنطقة وتقطيعها الى كانتونات تسهل اداراتها والتحكم بها)[١٣].

ولهذا يقول السيد الامام القائد الخامنئي (الغزو الثقافي اخطر على الشعوب من الغزو العسكري)[١٤].

ما نريد ان نخلص اليه من هذه المقدمة، ان المشورع الاسلامي الثقافي كان هو الاخر في مواجهة المشروع الثقافي الغربي الامريكي، بتعبير اخر فان جبهة المقاومة الثقافية كانت بالمرصاد في مواجهة جبهة الاستكبار العالمي وادارة المنطقة.

فتوى الجهاد الكفائي التي صدرت من اية الله العظمى السيد علي السيستاني هي افضل تعبير عن طبيعة المواجهة الثقافية، فقد (لَبّى) الشباب العراقي نداء الفتوى لما يحملونه من روح وثقافة عقائدية راسخة، وكانت الشعارات الاسلامية وهتافات الوحدة (السنة انفسنا)[١٥] تمثل شعارا مدويا في ساحات المواجهة لصد المشروع الثقافي الطائفي التقسيمي الذي تقوده الولايات المتحدة الامريكية، وفتاوى التكفير التي تطلقها اغلب رجالات الدين الوهابية في السعودية.

في خضم هذه المواجهة كان القائدان الشهيدان قاسم سليماني وابو مهدي المهندس يمثلان افضل نموذج عملي وميداني لترجمة هذه الشعارات على ارض الواقع، فكانت الروح العقائدية سمة بارزة في حركتها، وكان لتواصلهما بين المقاتلين لها الاثر البالغ في (وئد) الشعارات الطائفية والعنصرية التي تطلقها حناجر الدواعش وبعض السياسين فضلا عن (نفايات) البعث الاجرامي.

كما ان حضور رجالات الحرس الثوري ورجالات حزب الله في لبنان في خندق واحد مع ابناء الشعب العراقي في مواجهة العدو يمثل افضل ترجمة عملية لمفهوم وحدة الدين والمصير المشترك.

اكثر من ذلك فان البعد الانساني الذي يتحرك به القائدان الشهيدان سليماني

والمهندس مع ابناء المحافظات السنية رسخ روح الوحدة وثقافة التاخي ووحدة المصير، فكان له الاثر العملي في ذلك الانتصار الذي تحقق في الجبهة الثقافية بموازاة الانتصار الذي تحقق في الجبهة العسكرية.

كما ان وجود المقاتلين من المسيحين والايزيدين جنبا الى جنب مع المقاتلين الايرانيين واللبنايين، فضلا عن شيعة وسنة االعراق هو اكبر سلاح استطعنا به هزيمة العدو، ومن خلال هذه الجبهة استطعنا الحفاظ على وحدة العراق، بل وعلى تماسك جبهة المقاومة في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن.

العلاقات الاجتماعية

ربما المشكلة التي تواجه الولايات المتحدة الامريكية في مشروعها التخريبي في المنطقة بصورة عامة والعراق بصورة خاصة على الصعيد الاجتماعي هي تلك الرابطة الاجتماعية المتجذرة بين الشعبين العراقي والايراني على وجه الخصوص.

هذه العلاقة لم تنبع من علاقة دولتين لهما حدود تتجاوز ١٤٠٠كم، وليست نابعة من مصالح مشتركة اقتصادية تعود بالنفع على الشعبين، بقدر ما انها علاقات روحية وعقائدية بالدرجة الاساس.

بالاضافة الى ان الشعبين العراقي والايراني شعبان مسلمان، فهما ينتميان معا الى مدرسة اهل البيت عليهم السلام ايضا، بل وحرارة وعشق الحسين عليه السلام تلهب صدورهم، وتوحد قضيتهم، وتزيد محبتهم والفتهم، وحتى ابناء المذاهب الاسلامية الاخرى التي تعيش في الدولتين هما من محبي العترة الطاهرة، وليس فيهم من هو ناصبي او وهابي تكفيري.

فالشعوب التي ترتبط فيما بينها برابطة الولاء لسيد الشهداء واهل بيته عليهم السلام، لن تستطيع اية قوة ان تفرقهم؟.

نعم حاول الاعداء جاهدين لتفرقتهم في السنوات والعقود الماضية لكن دون جدوى، فحرب الثمان سنوات التي شنها نظام البعث المجرم ربما تكون كافية لتجذير العداء بين اي شعبين في العالم، لكن رغم الخسائر المادية والبشرية التي اكلتها الحرب الظالمة لم تسبب الحساسية المتوقعة او توجد العداء الذي يراهن عليه العدو.

من جهة اخرى فان العدو حاول بعد سقوط نظام البعث المجرم ان يشتغل على الانتماء القومي بين الشعبين، فاخذ يتحدث عن الفرس وتاريخهم مع العرب والعراقيين، واخذ بعض

الكتاب والخطباء المرتبطين بالمحور الامريكي من ادوات ومرتزقة في امارات الخليج، فضلا عن الاعلام الخليجي والبعثي في العمل على هذا الوتر لسنوات طوال، وربما استطاع ولو بنسبة ضئيلة ان يوجد (مستنقع) هنا و(مياه آسنة) هناك، لكن ما ان تاتي زيارة الاربعين لسيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام حتى يجرف ماء المحبة والعقيدة تلك المياه الاسنة والمستنقعات النتنة، ويتحقق مصداق قوله تعالى (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا)[١٦].

من الجدير بالذكر فان خطابات الامام الخامنئي لها اثر كبير في ذلك، فهو يلتقي في كل مناسبة بشرائح مختلفة من ابناء الشعب العراقي، ومن مختلف الاختصاصات والطبقات الاجتماعية، وبخاصة في ايام شهر محرم الحرام ومناسبة زيارة سيد الشهداء في العشرين من صفر ليعبر عن حبه وشكره، وشكر الشعب الايراني لما يقدمه الشعب العراقي المعطاء من بذل واستقبال الزائرين الايرانيين في هذه المناسبة[١٧].

كما يحذر السيد الامام من مشاريع الاعداء التي تستهدف وحدة الشعوب المسلمة وطمس هويتها واستهداف دينها وثوابتها.

بالعودة الى الشهيدين القائدين سليماني والمهندس فقد كان لهما دور كبير في ترسيخ العلاقات الاجتماعية ميدانيا.

فالقائد الشهيد الحاج قاسم سليماني كان في ساحات المواجهة مع الاراهب الداعشي يلتقي بالعوائل العراقية (السنية) المهجرة بسبب ذلك الارهاب الوهابي التكفيري، كما يلتقي بالعشائر وزعماء القبائل ومختلف الشرائح الاجتماعية، وهذه كلها دروس ميدانية واقعية وليس تنظيرات سياسية او دبلوماسية، فالحاج سليماني تحول الى رمز اسلامي عابر لكل الحدود الجغرافية والقومية، فهو في العراق ولبنان وسوريا يقضي اوقاته بين القيادات العسكرية والسياسية، فضلا عن الرموز الاجتماعية اكثر من وقته الذي يستغرقه في الجمهورية الاسلامية وفي بيته وبين اهله. وهذا يمثل عامل انسجام والفة، بل هو افضل سلاح لمواجهة المشروع المعادي الذي يراهن على تمزيق العلاقات الاجتماعية بين شعوب المنطقة.

الشهيد سليماني كان متواصلا مع عوائل الشهداء العراقيين اكثر من اغلب السياسيين العراقيين، وكان متواصلا مع مراجع الدين في النجف الاشرف، وكان متواصلا مع المقاتلين

من ابناء الحشد الشعبي وفصائل المقاومة ميدانيا وحتى عائليا في بعض الاوقات.

وعندما تزور اغلب عوائل الشهداء والمجاهين تجد صور الشهيد سليماني مع اولئك الهداء والمجاهدين تزين جدران بيوتهم.

تلك العلاقة بين الشهيد وتلك العوائل، وذلك الخُلُق الرفيع الذي يحمله الشهيد سليماني، والتدين والولاء للاسلام ولاهل البيت عليهم السلام جعل من الحاج الشهيد سليماني رمزا فريدا تاثر به اغلب المقاتلين والعوائل التي زارها وكبار رؤوساء القبائل وشرائح المجتمع المختلفة.

رغم تلك العلاقة الروحية والاخوية التي انطبعت في اذهان العراقيين عن الشهيد سليماني والتي لا تعبر عن علاقة رجل (ايراني) بالشعب العراقي فرضتها الظروف العسكرية التي عاشها العراق، وانما تعبر عن حالة الانسجام والوحدة بين الشعبين العراقي والايراني، والحاج سليماني يمثل اجلى صورة ومصداق لتلك الوحدة والانسجام، وبخاصة وانه (ممثل) الامام الخامنئي في حركته وتواصله مع المجتمع العراقي.

نقول رغم تلك العلاقة الكبيرة، الا ان تابين المرجع اية الله العظى السيد علي السيستاني (دام ظله) للشهيد سليماني كشف عن مكانة هذا القائد الدينية والاجتماعية في قلوب العراقيين وفي وجدان المرجع السيستاني، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان المرجع السيد علي السيستاني لا يجامل في بياناته على حساب الحق والحقيقة، وقد مات الكثير من القادة السياسسين العراقيين ولم نجد لهم ثناء يذكر على لسان المرجع الاعلى في النجف الاشرف، بينما كانت الكلمات الرفيعة والتعبير عن الحزن الكبير واضحا في تابين الشهيد سليماني، وهذه الكلمات بلا ادنى شك تعبر عن المكانة الاجتماعية للشهيد في ضمير المجتمع العراقي والذي تمثل المرجعية الدينية صوته الحقيقي وتعبر عن مشاعره الحقيقية، ومن يتبدر كلمات اية الله العظمى السيد السيستاني وهو يقول (لقد آلمنا كثيرا خبر استشهاد اللواء العظيم الحاج قاسم سليماني رحمه الله ان الدور الفريد للمرحوم في سنوات الحرب على عناصر داعش في العراق، والاتعاب الكثيرة التي تحملها في هذا المجال لا يمكن ان تنسى)[١٨] تتضح المكانة الاجتماعية والدينية التي يحظى بها الشهيد القائد في نظر المرجعية والمجتمع العراقي.

اما عند الحديث عن الشهيد القائد

المهندس، فالامر لا يختلف كثيرا عن شقيقه بالولاء والشهادة الحاج سليماني، اذا ما اخذنا بنظر الاعتباران الشهيد المهندس كان مجاهدا ومقاتلا وقائدا في الدفاع عن الاسلام وخط الولاية منذ شبابه ومنذ ايام الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية من قبل البعث المجرم وبدعم من الاستكبار العالمي.

هذا التاريخ الجهادي للقائد المهندس بالتاكيد حاضرلدى الشعب الايراني ولدى النخب الفكرية والقيادات العسكرية ومختلف شرائح الشعب الايراني، وهو كذلك لا يعبر عن موقف شخصي للشهيد المهندس، بل يعبر عن الارتباط الروحي والعقائدي للعشب العراقي بالثورة الاسلامية والامام الخميني ﷺ والامام القائد الخامنئي (دام ظله)، إذ ان الالاف من الشباب العراقي المجاهد قد التحق بالثورة الاسلامية في ايران للدفاع عنها بالنفس والاهل سواء في جبهات القتال ضد نظام البعث المجرم او في زنزانات ذلك النظام المقبور.

اكثر من ذلك فبعد الانتفاضة الشعبانية كانت الجمهورية الاسلامية الملاذ الوحيد للشعب العراقي، وتحديدا ابناء الوسط والجنوب لحمايتهم من بطش النظام العفلقي.

بالتيجة كان القائد (ابو مهدي المهندس) في عيون وقلوب وضمائر الشعب الايراني من خلال مواقفه وبطولاته وتاريخه المضمخ بالدم والتضحية، وكيف لا يعبر المهندس عن نموذج كبير وواضح لمدى عمق العلاقة بين الشعبين الايراني والعراقي وهو القائل (انا جندي عند الحاج قاسم سليماني)[١٩].

ومثلما ذكرنا موقف المرجع الاعلى في النجف الاشرف اية الله العظمى السيد علي السيستاني بحق القائد سليماني للتعبير عن حب المرجع الاعلى والشعب العراقي للقائد سليماني، كذلك كانت كلمات الامام القائد الخامنئي بحق القائد الشهيد (ابومهدي المهندس) يمثل وساما ليس للمهندس فحسب، بل هي تعبير عن تكريم للشعب العراقي كذلك، فالامام الخامنئي يخاطب الشهيد المهندس (انا ادعو لك في كل ليلة)[٢٠] ، فاي تكريم اكثر من هذا؟.

من جانب اخر فان تشييع القائدين سليماني والمهندس والصلاة عليهما من قبل الامام الخامنئي يعبر عن وحدة الروح والدم والدين والمعتقد والمصير الواحد للشعبين العراقي والايراني، كما ان البيانات الصادرة من مراجع الدين في قم المقدسة بحق الشهيد المهندس لها الاثر الطيب في نفوس العراقيين، وفوتت الفرصة على اعداء الشعبين.

من ذلك كله يتبين للاستكبار العالمي وادواته في المنطقة قيمة هذين القائدين ومكانتهما السياسية والثقافية والاجتماعية في مواجهة مشروع العدو، بوصفهما قائدان ميدانيان يتحركان على الارض.

لهذا شخص العدو خطورة القائدين على مشروعه، ولابد من القيام بعمل عسكري يسكت هذا الخطر او يقلل منه على اقل تقدير، فكانت جريمة مطار بغداد في فجر ٣/ ١/ ٢٠٢٠م.

الخلاصة: _____

لم تنظر امريكا وادواتهم في المنطقة الى القائدين الشهيدين سليماني والمهندس على انهما شخصيتان عدوتان لهم بصفتهما الشخصية، بقدر تعاملهم معهما على انهما يمثلان احد ركائز محور المقاومة، على الصعيد العسكري والثقافي والاجتماعي.

وبما ان الولايات المتحدة الامريكية واتباعها من دول الخليج والمنطقة فشلوا في تحقيق اي انتصار عسكري او ثقافي او حتى اجتماعي في المواجهة مع محور المقاومة منذ عقود من الزمان، بل وغير قادرين على القيام باي عمل مستقبلا اكثر مما قاموا او يقومون به حاليا، فليس امامهم إلا استخدام اسلوب اضعاف محور المقاومة من عناصر قوته واقتداره، وذلك بالقيام بعمليات الاغتيال ضد رموزه الدينية والعسكرية والثقاية والعلمية ايضا، وبالتالي قد يضعف هذا المحور بسبب فقدان قادته ورموزه، وقد يتراجع في تصورها هذا المحور بسبب فقدان قادته ورموزه، وقد يتراجع عن طموحاته في مواجهة محور الاستكبار الامريكي، او يحيده الى اقل درجة ممكنة، فكانت عمليات الاغتيال تطال كبار رموز المقاومة في هذا المحور، ليس في هذه السنوات فحسب، بل منذ عقود قد خلت، ابتداءا من اختطاف السيد المغيب موسى الصدر ومرورا بالسيد عباس الموسوي وعماد مغنية وراغب حرب وليس انتهاءا بالشهيدين المهندس وسليماني، وسوف يستمر مسلسل الاغتيالات والقتل كوسيلة لاضعاف هذا المحور وتحجيم دوره، عسى ان يحققوا بهذا الاسلوب ما عجزوا عن تحقيقه في المواجهة المباشرة في الجبهات العسكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

بالنتيجة ان استهداف الشهيدين سليماني والمهندس يمثل استهدافا لاحد ركائز محور المقاومة لما يمثلانه من قيمة عسكرية وثقافية واجتماعية وانعكاسات هذه القيمة على المجتمع العراقي والايراني على جميع الصعد

التي يتحرك بها القائدان ميدانيا.

لكن فات العدو ان يدرك حقيقة واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار وهي، ان محور المقاومة ومن خلال تجارب العقود الاربعة الماضية (ولّادة) للقادة، وان الدماء التي تسيل على ارض المعارك مع العدو من شانها ان (تولِدَ) قيادات ميدانية وليس قائدا واحدا، وهذا الكلام ليس من باب العواطف والانفعالات، بل ان التجربة والتاريخ والواقع تؤكد هذه الحقيقة.

فحزب الله في لبنان على سبيل المثال في ثمانينات القرن الماضي لم يكن سيد المقاومة سماحة السيد حسن نصر الله من قيادات الخط الاول في الحزب، وبعد استشهاد القائد السيد عباس الموسوي اثمرت دماؤه الزكية عن بروز قيادة سماحة السيد نصر الله، فكان اكثر فتكا بالعدو الصهيوني عسكريا ومعنويا وسياسيا من مرحلة ما قبل سماحة السيد نصر الله.

هذا مثال واضح عن مدى قدرة محور المقاومة على انتاج وابراز قيادات متجددة تمثل امتدادا حقيقيا للقيادات السابقة وللقادة الشهداء.

انه مشروع الهي ومحور رباني شاء الله تعالى ان يكتب له الديمومة والبقاء والانتصار، ويهيء له عوامل واسباب الانتصار المادية والمعنوية لتحقيق الانتصارات ورفعة الاسلام المحمدي الاصيل.

اكثر من ذلك، مَنْ كان يتصور بعد رحيل امام الامة الامام الخميني ﷺ لايترك رحيله فراغا قياديا وروحيا على مستوى راس هرم محور المقاومة؟.

فالمواصفات الذاتية والموضوعية التي يمتاز بها الامام الخميني ﷺ قلّما تتوافر في شخص غيره، لكننا وجدنا خليفته الامام القائد الخامنئي (دام ظله) كان بحق خير خلف لخير سلف، فقد ملا الفراغ الكبير الذي تركه رحيل الامام الخميني، فكان الامام الخامنئي مرجعا دينيا، وقائدا ربّانيا استطاع ان يقود الامة ومحور المقاومة لاكثر من ثلاثة عقود – رغم تعقيدات الظروف السياسية والثقافية والعسكرية التي عاشتها وتعيشها المنطقة والعالم – بكل حكمة وبصيرة واقتدار وارتباط بالله تعالى وافاضات ربانية هي اقرب الى الاعجاز الغيبي منها الى الحسابات المادية.

الهوامش

[١] بتاريخ ١/١٦ / ١٩٧٩م غادر الشاه الى المنفى وترك مهامه الى (المجلس الملكي)، وعاد الامام الخميني ﷺ مفجر الثورة الاسلامية الى طهران بتاريخ ١/ ٢/ ١٩٧٩م.
واستقبلته الحشود المليونية. وانتهى الحكم الملكي بعد فترة وجيزة (عشرة ايام)، وسميت بعشرة فجر.

[٢] شن نظام البعث الصدامي حربه على الجمهورية الاسلامية في ايلول من عام ١٩٨٠م

[٣] في ٦/٢٨/ ١٩٨١م وقع تفجير في المقر الرئيس للحزب الجمهوري الاسلامي في طهران اثناء انعقاد ادتماع لقادة الحزب، واستشهد ٧٣ مسؤولا بالحزب الجمهوري الاسلامي ومن بينهم اية الله محمد بهستي.
واستمرت الاغتيالات التي استهدفت كبار المسؤولين في الجمهورةي الاسلامية على مدى العامين التاليين من انتصار الثورة الاسلامية، ففي ٣٠/ ٨/ ١٩٨١ اي بعد شهدين من تفجير حزيران وقع تفجير آخر اسفر عن استشهاد رئيس الجمهورةي رجائي ورئيس الوزراء نحمد جواد باهينار.
وفي ٢٧/ ٦/ ١٩٨١ انفجرت قنبلة موضوعة في جهاز تسجيل امام الامام الخامنئي (دام ظله) وكان في حينها يشغل منصب ممثل الامام الخميني ﷺ في المجلس الاعلى للدفاع الوطني، وكذلك امام جمعة طهران.
وفي يوم ٢٤/ ٣/ ١٩٨٥ وقع انفجار في صلاة الجمعة في طهران في حين كان الامام الخامنئي يؤم المصلين في تلك الصلاة وقد استشهد ١٤ شخصا وجرح ٨٨ من المصلين.
– اما علماء الذرة فقد قامت دول الاستكبار العالمي باغتيال اربعة من العلماء النويين الايرانيين وهم (مسعود محمدي، ومجيد شهرباري، وداريوش رضائي، ومصطفى احمد روشن) في طهران خلال عامي ٢٠١٠ – ٢٠١٢م باستخدام القنابل المغناطيسية في اغتيال ثلاثة منهم ـ واطلقوا الرصاص على الرابع امام منزله.

[٤] تاسس الحرس الثوري في الجمهورية الاسلامية بتاريخ ٥/ ٥/ ١٩٧٩م، فقد اصدر الامام الخميني ﷺ مرسوما بهذا التاريخ بضرورة انشاء الحرس الثوري (سباه باسدران انقلاب) لحماية الثورة الاسلامية.

[٥] بدا الغزو الاسرائيلي على لبنان يوم ٦/ ٦/ ١٩٨٢م

[٦] صدرت الفتوى بتاريخ ١٣/ ٦/ ٢٠١٤م

[٧] تم انشاء الحشد الشعبي منذ لحظة اعلان الفتوى بتاريخ ١٣/ ٦/ ٢٠١٤م، وتم تشريع قانون الحشد الشعبي في البرلمان العراقي بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٦م

[٨] تشكل هذا التحالف بقيادة السعودية، وضم مصر والمغرب والاردن والسودان والكويت والبحرين والصومال وقطر (استيعدت من التحالف في يونيو ٢٠١٧م) وقدمت الولايات المتحدة الامريكية الدعم اللوجستي للعمليات وتسارعت ايضا لبيع الاسلحة لهذا التحالف.
ونشرت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا افرادا عسكريين في مركز القيادة والسيطرة المسؤول عن الضربات الجوية بقيادة السعودية.
ودعت السعودية باكستان للانضمام الى التحالف لكن البرلمان الباكستاني صوت ضد المشاركة، لكن باكستان وفرت سفنا حربية لمساعدة التحالف في فرض حظر على الاسلحة من الوصول الى انصار الله.
ونفذت السعودية اول ضرباتها بتاريخ ٢٥/ ٣/ ٢٠١٥م تحت مسمى (عاصفة الحزم).
ولقي التدخل السعودي مع حلفائها تاثيرا على الوضع الانساني وصل الى مستوى (كارثة انسانية)، وقال منسق

الشؤون الانسانية للامم المتحدة في اليمن (ان الغارات التي تشنها قوات التحالف على مدينة صعدة تشكل خرقا للقانون الدولي الانساني).

[٩] انطلقت الاحداث في سوريا منتصف اذار ٢٠١١م.

[١٠] بدات الحرب بتاريخ ١٢/ ٧/ ٢٠٠٦م

[١١] الفوضى الخلاقة، العصف ارمزي لحرائق الشرق الاوسط، ص ٢٢٠

[١٢] ٥/١٧ /٢٠٢٠م تم رفع علم المثليين الجنسيين من قبل بعثة الاتحاد الاوروبي بالاشتراك مع السفارتين البريطانية والكندية في المنطقة الخضراء ببغداد.

[١٣] الفوضى الخلاقة، مصدر سابق

[١٤] شبكة المعارف الاسلامية.

[١٥] موقع اية الله الظمى السيد علي السيستاني (دام ظله).

[١٦] سورة الفرقان، آية ٢٣

[١٧] كلمة الامام الخامنئي (دام ظله) لدى استقباله حشود زوار الاربعين لسيد الشهداء عليه السلام.

[١٨] موقع براثا، وقناة الميادين، وغيرهما.

[١٩] لقاء متلفز مع احدى القنوات الايرانية.

[٢٠] لقاء جمع الشهيد المهندس بالامام الخامنئي (دام ظله).

من دروس التفسير / آية الله السّيد مجتبى الحسينى
ممثل الإمام الخامنئي في العراق ـ أستاذ الدراسات العليا والبحث الخارج

تشخيص العدو والباطل
ـ دراسة تفسيريَّة ـ[1]

﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

أحد الأمور التي اهتم بها القرآن الكريم مسألة معرفة العدو والباطل، فقد ورد في الكافي، بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: «**سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نزل القرآن أثلاثا؛ ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام**».

والآيات المتقدّمة أنموذج لهذا المعنى، وقبل بيان المطلب المستفاد من الآيات لابدَّ من التّطرق لمفرداتها:

أمّا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ فالإعجاب: هو سرور المعجب بما يستحسن، ومنه العجب بالنّفس، أعجبه واستعجب الرجل إذا اشتد تعجّبه، وأعجبه الشيء: أي راقه وسره

وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ: الألدّ: الشديد الخصومة، والخصام: قيل إنّهُ جمعُ الخصم عن الزّجاج، وقيل الخصام مصدر كالمخاصمة عن الخليل.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَالله لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾: التولّي هو الانحراف والزوال عن الشيء إلى خلاف جهته، وقيل التولي هو تملك الولاية والسلطان. و«سَعى» قد يكون بمعنى عَمِلَ وقد يكون بمعنى أَسرَعَ. والإفساد هو إخراج الشيء عن طبيعته بحيث تبطل الفائدة المقصودة منه. والإهلاك العمل الذي ينفي الانتفاع. والحرث: الزرع، والنسل: العقب من الولد، وقيل الحرث: كل نبات، والنسل كل ذات روح، ويقال نسل ينسل نسولا إذا خرج فسقط، ومنه نسل وبر البعير أو ريش الطائر، والناس نسل آدم؛ لخروجهم من ظهره، وأصل باب النسول الخروج.

وعن السدي: في قوله تعالى: ومن الناس من يعجبك الآية، انها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف لبني زهرة، أقبل إلى النبي ﷺ وسلم المدينة وقال: جئت أريد الاسلام ويعلم الله اني لصادق فأعجب النبي ﷺ ذلك منه فذلك قوله تعالى: ويشهد الله على ما في قلبه، ثم خرج من عند النبي فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر فأنزل الله: وإذا تولى سعى في الأرض الآية[٢].

وفي المجمع عن ابن عباس: نزلت الآيات الثلاثة في المرائي لأنه يظهر خلاف ما يبطن، قال: وهو المروي عن الصادق عليه السلام[٣].

و من المفسّرين من نقل عن ابن عباس أنّ الآية المذكورة نزلت في سريّة (الرجيع) حيث بعث رسول الله ﷺ مجموعة من الدعاة إلى القبائل المتوطّنة أطراف المدينة، فدبّرت لهم مؤامرة لئيمة استشهدوا فيها.

ومن الواضح ولثابت أنَّ شأن النزول لا يحدد المعنى، بل أكثر الآيات هي قضايا حقيقية كليه كلما وجد لها مصداق تنطبق عليه، وبعضها قضايا خارجية ولكن الملاكات والمناطات المستنبطة منها تجري مجراها في أمثالها. ولعل الآية المبحوث عنها تتحدث عن قضية حقيقية في طبيعة الناس.

و قوله تعالى يعجبك: ليس الخطاب بالكاف لاختصاص المخاطب به بل المراد من الخطاب هو مطلق الانسان، وكما هو دارج في الكلام كقولنا: (العلم يرفع قدرك والبخل يسقطك عن عيون الناس) او "صديقك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك، وعدوك: عدوك وصديق عدوك وعدو صديقك". ولعل نظير ذلك قول الله

تعالى في سورة المنافقين: ﴿وَ إِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤ ـ ٥].

والتقييد بالحياة الدنيا تعريض على الآخرة التي تبلى السرائر، والخصومة أخص من العداوة فإنَّ العدو يشمل كلَّ من يبغضك سواء أراد إضراراً أم لا؟ ولكن الخصم من هو بصدد الاضرار والايذاء والمنافقين الذين تتحدث عنهم الآية هم: الإعداء الذين يكمنون نية الشر للمسلمين.

وفي قوله ﴿إذا تولّى﴾ احتمالان:

أحدهما: اذا ذهب من عندك وغاب يشتغل بمؤامراته ويخطط عليكم ويتربص بكم الدوائر.

والاحتمال الثاني: اذا تملك الولاية والسلطان"، ورجّح في الميزان هذا الاحتمال بقرينة قوله: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ ولكن ما يبعِّد هذا الاحتمال ظرف نزول الآية حيث كان الاسلام في التقدم والآية بصدد بيان حالة النفاق، والعزة اعم من السلطان فالمنافق بما يرى نفسه أحق، وكذلك يشعر أنَّ له ذكاء يستطيع أنْ يتلاعب بالمسلمين، وأحيانا عنده أموال وعشيرة فيشعر بعزة وغرور.

والحرث: الزّراعة، والنسل الأولاد، وتطلق أيضاً على أولاد الإنسان وغير الإنسان، فعلى هذا يكون إهلاك الحرث والنسل بمعنى إتلاف كلّ الموجودات الحيّة أعمّ من الأحياء النباتيّة والحيوانيّة والإنسانيّة. وقيل: إنّ المراد بالحرث هو النساء بقرينة الآية الشريفة ﴿نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ والمراد بالنسل هم الأولاد. فينحصر الأمر في الفساد في الجامعة الانساني.

قال في الميزان: «و لما كان قوام النوع الإنساني من حيث الحياة والبقاء بالتغذي والتوليد فهما الركنان القويمان اللذان لا غناء عنهما للنوع في حال: أما التوليد فظاهر، وأما التغذي فإنما يركن الإنسان فيه إلى الحيوان والنبات، والحيوان يركن إلى النبات، فالنبات هو الأصل ويستحفظ بالحرث، وهو تربية النبات، فلذلك علق الفساد على الحرث والنسل، فالمعنى أنه يفسد في الأرض بإفناء الإنسان وإبادة هذا النوع بإهلاك الحرث والنسل»[٤].

قوله تعالى: ﴿وَالله لا يُحِبُّ الْفَسادَ﴾ المراد بالفساد ليس ما هو فساد في الكون والوجود (الفساد التكويني) فإنَّ النشأة نشأة الكون والفساد، وعالم التنازع في البقاء ولا كون إلا بفساد، ولا حياة إلا بموت، وهما متعانقان في هذا الوجود الطبيعي في النشأة الطبيعية، وحاشا أنْ يبغض الله سبحانه ما هو مقدره وقاضيه.

و إنما هو الفساد المتعلق بالتشريع؛ فإنَّ الله إنّما شرّع ما شرعه من الدين ليصلح به أعمال

عباده فيصلح أخلاقهم وملكات نفوسهم، فيعتدل بذلك حال الإنسانية والجامعة البشرية، وعند ذلك تسعد حياتهم في الدنيا وحياتهم في الآخرة.

فهذا الذي يخالف ظاهر قوله باطن قلبه إذا سعى في الأرض بالفساد فإنما يفسد بما ظاهره الإصلاح بتحريف الكلمة عن موضعها، وتغيير حكم الله عما هو عليه، والتصرّف في التعاليم الدينية، بما يؤدّي إلى فساد الأخلاق واختلاف الكلمة، وفي ذلك موت الدين، وفناء الإنسانية، وفساد الدنيا، وقد صدّق هذه الآيات ما جرى عليه التاريخ من ولاية رجالٍ وركوبهم أكتاف هذه الأمة الإسلامية، وتصرفهم في أمر الدين والدنيا بما لم يستعقب للدين إلّا وبالاً، وللمسلمين انحطاطا، وللأمة إلا اختلافا، فلم يلبث الدين حتى صار لعبة لكل لاعب، والإنسانية خطفة لكل خاطف، فنتيجة هذا السعي فساد الأرض، وذلك بهلاك الدين أولا، وهلاك الإنسانية ثانيا، ولهذا فسر قوله ويهلك الحرث والنسل في بعض الروايات بهلاك الدين والإنسانية.

وعن الصادق عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿**وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ**﴾: «أن المراد بالحرث هاهنا الدين، والنسل الإنسان».

إنَّ هذه الآيات تطرح حالة نفسانية يعيشها بعض الناس وليس مجرد دراسة أفعالهم، فأولاً: تتحدث عنهم عن حالة الرياء والتزلف والتصنع، اي انهم دائماً في حالة اظهار النفس وعرض الوجود. فبما أنّهم يعيشون ازدواجية في نفوسهم فباطنهم مليء بالحقد والكراهية وسوء السريرة والتخطيط للمؤامرات، وفي ظاهرهم يريدون كسب الثقة وتحبيب القلوب والتزلف، فيعيشون صراعاً شديداً في باطنهم، وقلقاً وارتباكاً كبيراً؛ ونتيجة للصراع القائم في نفوسهم فلا يفكّرون لحظة في فعل الخير والعودة الى الانصاف، فهم ألدُّ الخصام، وخصومتهم ليست في أمور معينة يتوقع ارتفاعها بالحصول عليها، كما أنَّ خطرهم أكبر؛ لأنهم يظهرون الحبَّ، ويبطنون الكراهية والبغض؛ ولذا تصفهم الآية أحدهم ﴿**إِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ**﴾

وقد يبرز تساؤلٌ: ما فائدة قوله في الأرض والتي بالمقابلة يتبادر منها السماء، فهل هناك فساد في السماء يمكن أن يقوموا به؟

والذي يخطر بالبال في فائدة هذا القيد إرادة بيان أنّ الفساد يكون هدفهم الشامل، حتى إذا وصلوا اليه يسكن روعهم، ويهدأ شرَهَهم، فقوله يهلك الحرث والنسل يعني كل الخيرات التي يعيش الناس عليها من دون تحديدٍ بشيء معيّن أو هدف مخصوص، بل الهدف إعدام الخير كّله بكافة أصنافه.

وهنا يذكر أرباب التّاريخ أنّ جنكيز المغولي عند ما أغار على نيسابور ـ وهي مدينة كبيرة يقال أنَّ عدد سكّانها آنذاك مليون نسمة ـ هدّم البيوت، وقتل كثيراً من الناس، وقد صنع له جنوده تلّاً كبيراً من أجساد القتلى، فأمر أنْ يبسطوا عليها فرشاً وطعاماً شهياً ليجلس عليها ويأكل ويتلذذ بالانتصار، وينظر الى عرض عسكري من جيشه الفاتح، وفي أثناء النظر الى المناورة والعرض خاطب جيشه فقال: هل كان أحد منكم رقّ قلبه فيما فعل من قتل الرجال والنساء والاطفال؟ فلم يجبه أحد منهم، الّا أنّ واحد منهم قال: بلى أنا رأيت امرأة آخذة طفلها ترضعه، فجعلت رمحي في صدرها، فوقعت على الأرض، وسقط الطفل من حضنها، فبدأ الطفل يبكي، فوضعت رمحي في فم الطفل، فظنه ثدي أمّه، فأخذ يمصها، فأدخلته في حلقه ورفعته حتى مات على الرمح، وعند ذلك دخلني شيءٌ من الرأفة والرقة عليه، فلما سمع جنكيز بذلك، أمر بقتله؛ لأنَّه لم يكن يرضى أنْ يكون في قلب أحد جنوده رأفة ولو بهذا المقدار.

وما فعله بني أمية بأهل البيت لم يكن مجرد مطالب أرادوا أنْ يصلوا اليها، فهم قتلوا الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، فما هو سبب سحق الأجساد المطهرة تحت سنابك الخيول؟! وما الداعي لحمل الرؤوس الشّريفة؟، وسبي النساء والاطفال؟، لم يكن منهم ذلك الا للحقد الشديد على الاسلام في نفوسهم.

وفي عصر الحضارة!! نرى ألدّ المستكبرين يدّعون الديمقراطية وحقوق الإنسان، وهذه الدول المستكبرة ليس لمطالباتهم حد محدود، ويعتقد بعضٌ أنَّ التفاوض معهم يفي بالغرض لترفع هذه الدّول شرّه عنا، وهم واهمون؛ لأن المستكبرين ينظرون الى غيرهم نظرة استغلالية، لا يتمنون لهم الخير، والله تعالى يصف غرورهم واعجابهم بأنفسهم فيقول: ﴿**وَإِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهادُ**﴾ أي انهم لا ينصفون أحداً بل بالعكس يظلمون من يستسلم لهم ويتنازل أمامهم، اولئك أعداء يتمظهرون بمظهر المحب، والمدافع عن الشّعوب، يبدون زينة القول، ويكاد من لا يدرك كنه ما يرمونه أنْ يُسحر لمقولاتهم، فينجرُّ وراءهم، حتّى يتمكّنوا منه، ويستولوا عليه، فيظهرون ما يبطنون، وتنكشف العداوة الأصيلة، وهذا درس قرآني يدعو إلى البصيرة والتدّبر في العدو والصّديق، ولا يغترَّ أحدٌ بالأفعال والأقوال؛ لأنّها إذا كانت مغايرةً لما في البواطن، فإنّها أوّلاً وأخيراً ستنكشف، ولكن ما يخشى منه أنْ ينساق لهم المؤمنون، ويكتشفون غيّهم بعد فوات الأوان.

الهوامش:

[١] هذه المقالة من دروس سماحة آية الله السيد مجتبى الحسيني في التفسير على جملة من طلبة الدراسات العليا في النّجف الأشرف، وقد قامت إدارة المجلة عبر محرريها وأساتذتها بالعمل على تخريج ما يلزم من نصوص وصياغة الدرس بما يتناسب مع الأسلوب الكتابي، مع المحافظة على المادّة العلمية.

[٢] جامع البيان٢: ٤٢٥.

[٣] تفسير الميزان٢: ٩٩.

[٤] تفسير الميزان٢: ٩٦.

من بحوث / آية الله الشيخ حسن الجواهري
أستاذ البحث الخارج في النّجف الأشرف

التداوي أحكامه وأدلته
بحث في فقه الطب[1]

إنّ الإنسان بفطرته يسعى لازالة آلامه واسقامه، وقد حثّ الإسلام على التداوي، حيث ذكرت كتب الطب النبوي الأحاديث الشريفة المتواترة ـ التي منها الصحيح والحسن والموثّق والضعيف ـ التي تحثّ على التداوي بصورة عامة أو خاصة، حتى استخدام الحجامة والحبة السوداء والكمأة والحنّاء ومداواة المبطون والمطعون والرمد والحمّى، فمن تلك الروايات:

١ ـ عن محمد بن مسلم قال: «سألت الإمام الباقر عليه السلام هل يعالج بالكّي؟ فقال: نعم، إن الله جعل في الدواء بركة وشفاء وخيراً كثيراً و... و...» [2]

٢ ـ عن يونس بن يعقوب قال: «سألت الإمام الصادق عليه السلام عن الرجل يشرب الدواء وربما قتل، وربّما سلم منه، وما يسلم منه أكثر؟ قال: فقال عليه السلام انزل الله الدواء وانزل الشفاء وما خلق الله داءً إلاّ جعل له دواء، فاشرب وسمّ الله تعالى»[3].

٣ ـ وعن جابر قال: «قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله أتتداوى؟ قال: نعم، فتداووا فإنَّ الله لم ينزل داءً إلاّ وقد انزل له دواء، وعليكم بألبان البقر فإنّها ترعى من كل الشجر».

وقد اخرج ابو داود والترمذي والحاكم وصححاه، والنسائي وابن ماجة وابن السني وابو نعيم واحمد

كما حكى عنهم اسامة بن شريك قال: «كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله انتداوى؟ فقال: نعم: يا عباد الله، تداووا فإن الله عزّوجلّ لم يضع داءً إلاّ وضع له شفاء، غير داء واحد، قالوا: ما هو؟ قال: الهرم».

ومن الواضح أنّ التداوي الذي تفزع اليه النفوس البشرية لا ينافي التوكّل على الله سبحانه لأنّه سبحانه قد جعل مباشرة الاسباب مقتضيات لمسبباتها، فإنّ معنى التوكّل هو اعتماد القلب على الله سبحانه في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه، وقد جعل الله سبحانه قانونه الحكيم في الوصول إلى ما ينفع، ودفع ما يضر إلى سلوك الأسباب لذلك، فالتداوي لرفع الداء هو مثل دفع الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، وكرد العدو بالجهاد.

٤ ـ وقد ورد في مسند احمد والسنن، واخرجه الحاكم عن أبي خزامة قال: «قلت يا رسول الله أرأيت رقىً نسترقيها ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل تردّ من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله».

ولهذا نقول إنّ المتوكّل يجب عليه أن يعمل ما ينبغي ويتوكّل على الله في نجاحه، فالفلاّح يحرث ويبذر ثم يتوكّل على الله في نزول المطر والنماء، وقد ورد في القرآن الكريم (خذوا حذركم)، وقال رسول الله ﷺ لصاحب الناقة: «اعقلها وتوكّل».

أقسام التداوي من ناحية الحكم الشرعي

وينقسم التداوي من ناحية الحكم الشرعي إلى الأقسام الخمسة:

أ ـ الجواز.

ب ـ الوجوب.

ج ـ الندب.

د ـ المكروه.

هـ ـ المحرم.

أ. جواز التداوي:

أمّا جواز التداوي فهو مستفاد من الروايات الكثيرة القائلة: «إنّ الذي أنزل الداء هو الذي أنزل الدواء»، ومن الاجماع المنقول في عدم وجوبه كما في مرض الموت أو كان التداوي موهوماً مظنونا أو كان المرض مزمناً، أو لا دواء له حسب قول الطبيب، أو كان له دواء وكان فيه مخاطر كبيرة وفائدته مظنونة أو موهومة، مثل أمراض السرطان أو الأورام الخبيثة التي يخاف انتشارها في الجسم، وكذلك في الأمراض التي

لا تضر إلاّ صاحبها ضرراً يتحمّله مثل حساسية الأنف.

ب.الوجوب:

ووجوب التداوي له موارد متعدّدة، منها:

١ ـ إذا كان بدن الإنسان لا يتحمّل الألم الذي هو فيه، فقد ورد في كتاب «مكارم الأخلاق» قال: «قال عليه السلام: تجنب الدواء ما احتمل بدنك الداء، فإذا لم يحتمل الداء فالدواء»[٤].

٢ ـ الأمراض التي تنتقل إلى الآخرين بالعدوى، مثل مرض السل والجذام، والخناق والكُزاز، والهيضة (الكوليرا) والأمراض الجنسيّة، وأنواع الحميات مثل: الحمى الشوكية والملاريا... الخ. فإنّ هذه الأمراض إن لم يتداوى المصاب بها فإنّها تجر المرض إلى الآخرين، ويحصل التضرر بسبب عدم المعالجة والقضاء عليها، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله عن الضرر والضرار في الإسلام، فكل ما يأتي منه الضرر من أفعال المكلّفين فهو منهي عنه في الإسلام، والنهي يساوق الحرمة، وإذا صار عدم التداوي حراماً فلازمه وجوب التداوي إذا كان للمرض علاجاً، وأمّا إذا لم يكن للمرض علاج ودواء فيمكن استخدام وسائل الوقاية والتطعيم لمنع انتشارها، كما أن عمليات الحجر الصحي وتقييد حرية المصاب على الأقل يؤدّي الى حصر الوباء في مكان معين.

ثم إنّ عدم التداوي في الأمراض التي لها علاج طبّي يؤدّي إلى الهلاك غالباً، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بعدم القاء النفس في التهلكة حين قال: ﴿**ولا تُلقُوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾، وهذا النهي يشمل القاء النفس بالتهلكة مباشرة أو تسبيباً بترك المعالجة أو انتشار المرض المعدي.

ثم إنّ وجوب التداوي ينقسم إلى قسمين:

أولاً: وجوب فردي يتوجّه فيه التكليف إلى الفرد المصاب، وهذا قد تقدّم.

ثانياً: وجوب إلى المجتمع المهدد بالخطر (المرض)، وهذا الوجوب المتوجّه الى المجتمع يحدّده ولي الأمر، كما في حالات ظهور امارات الوباء، فإنّ الولي ـ متمثّلا بوزارة الصحة ـ يصدر أمراً إلى المجتمع بوجوب مباشرة دواء معين أو زرقة من علاج وقائي. وقد تكون الوقاية حجراً صحياً على بلدة كاملة لمنع خروج أفرادها، أو دخول أحد إليهم، وهذا كلّه يدخل في نطاق العلاج الواجب.

ج.الندب:

وهو مستفاد من الروايات الكثيرة المتقدّمة التي تحثّ على التداوي، ولما في التداوي من فضل العافية وعدم التعرّض للبلاء ومقدّماته.

د.المكروه:

وكراهة التداوي إنّما تكون في صورة إمكان إزالة المرض وذهابه بدون مراجعة الطبيب واستعمال الدواء، كالأمراض الناشئة من عوارض البرد، فإنّها تزول بالاستراحة والحمية، وكذا كل مرض يزول بالإمساك عن الغذاء إلاّ فيما يحتاج إليه، فقد وردت الروايات ايضاً بذلك، ففي رواية عثمان الأحول عن الإمام أبي الحسن (الرضا عليه السلام) أو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) قال: «ليس من دواء إلاّ ويهيّج داءً، وليس شيء انفع في البدن من إمساك البدن إلاّ ممّا يحتاج إليه»[٥].

وما ورد في كتاب الخصال (للصدوق) بسند عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «من ظهرت صحته على سقمه فيعالج نفسه بشيء فمات فأنا إلى الله منه بريء»[٦].

بضميمة وضوح عدم حرمة المعالجة لمن ظهرت صحته على سقمه.

وكذا يكره التداوي في الأمراض التي ليس لها دواء أو مرض الموت.

هـ.المحرّم:

وقد يكون التداوي محرّماً على المريض فيما إذا كان الدواء الذي يريد استعماله محرماً وله بديل آخر يمكنه الحصول عليه، وقد يكون الدواء نجساً وله بديل يمكنه الحصول عليه ايضاً. وقد يكون تداوي الإنسان الذي فيه المرض بقتل الجنين الذي في بطن أُمّه مع عدم الخطر الجدي على الأُمّ كما في حالات «الارحام» التي قد تبتلى بها بعض النساء، فإن إزالة هذه الأرحام الشديدة قد يكون بواسطة اجهاض المراة لطفلها، وهو محرم، فالتداوي به محرم ايضاً.

هذه بعض المصاديق للتداوي بالمحرم.

ولا بأس بالتعرض هنا إلى بحث أقسام من التداوي قد يقال بحرمتها، منها:

القسم الأول: هل يجوز التداوي بعين النجس؟

نقول: ممّا لا اشكال فيه أن النجس ـ كالدم والخمر والميتة وما شاكلها ـ يحرم استعماله بالأكل والشرب، وكذا إذا كان الشيء محرماً شربه واكله وان لم يكن نجساً كلحوم السباع المذكّاة والخمر بناءً على القول بطهارته، فإنّ عدم وجود ضرورة إلى الأكل والشرب وعدم

وجود انطباق عنوان آخر عليها يجعلها في حيّز المنع من الاستعمال في الأكل والشرب، وهذا واضح من الأدلّة الصريحة عند كل المسلمين.

ولكنّ الكلام فيما إذا انطبق على هذه المحرمات الأكل والشرب عنوان الدواء، كما إذا استُحضر الدواء من أحد هذه الأُمور أو ركّب من بعضها، أو انطبق عنوان الانقاذ من الموت عليها فهل يجوز استعمالها في الأكل والشرب؟

وللجواب على هذا السؤال نقول:

١ ـ أمّا في حالة توقّف حياة الإنسان على استعمال الميتة أو الدم أو البول فقد أفتى الفقهاء بجواز استعمالها وذلك للتزاحم الموجود بين وجوب حفظ النفس

وحرمة استعمال النجس، وبما أنّ وجوب حفظ النفس أهم من حرمة استعمال النجس فقد جُوِّز استعمال النجس لأجل حفظ النفس من الموت طبقاً لقانون تقديم الأهم على المهم عند التزاحم، أو طبقاً لقانون الضرورات تبيح المحظورات، وليس هناك ضرورة أهمّ من حفظ النفس.

٢ ـ أمّا في حالة انطباق عنوان الدواء على بعض هذه النجاسات، وافترضنا أنَّ المرض الذي فيه هذا الإنسان لا يؤدّي إلى هلاكه فهل يجوز استعمال الدواء المحرم بالأكل والشرب؟

الجواب: هنا صورتان:

الأُولى: أنّ الدواء ليس منحصراً في النجس، بل يوجد فيه وفي غيره.

الثانية: أنّ الدواء منحصر في النجس.

أمّا في الصورة الأُولى فلا يجوز استعمال النجس للشفاء، لعدم التزاحم بين حرمة النجس ووجوب الشفاء من المرض، حيث يمكن الشفاء عن طريق الحلال، وبهذا يجوز استعمال النجس، ومثال ذلك: أنّ مريضاً يرقد في المستشفى بحاجة إلى دواء معين كالدم النجس، ويمكن تهيئة ذلك عن طريق استعمال الدواء المستحضر من مادة طاهرة العين، كالكبد الطاهر، أو المقويات المزيدة للدم، ففي هذه الحالة لا يجوز شرب الدواء الذي فيه نجاسة عينية.

وأمّا الصورة الثانية فقد يقال بعدم جواز استعمال النجس، وذلك لعدم التزاحم بين حرمة استعمال النجس والشفاء من المرض، لأنّ الشفاء من المرض ليس بواجب.

ولكن الصحيح أنّ السعي إلى الشفاء من المرض واجب أيضاً، لما فيه من مصلحة الفرد الكبرى التي يتوقّف عليها سعيه في الأرض وكونه فرداً صالحاً، ولما فيه أيضاً من مصلحة

مجتمعه الذي يعيش فيه فإن المرض الذي يوجد في المجتمعات إن لم يسع إلى التخلّص منه فإنّ البشرية جمعاء تبتلى بالمفاسد الكبرى التي تهلك الجماعات والأفراد، لذا فإن التزاحم الذي ذكر سابقاً يجري هنا بين وجوب السعي للشفاء من المرض وبين حرمة استعمال المحرّم وحينئذ إذا كان وجوب السعي للشفاء من المرض أهم من استعمال المحرم فيجوز حينئذ استعمال المحرّم لأجل الشفاء من المرض إذا كان الشفاء منحصراً في استعمال المحرّم.

ومن الأمثلة على ذلك: أنّ مريضاً يرقد في المستشفى يحتاج إلى دواء ولا طريق إلى ذلك إلاّ استعماله للنجس أكلا أو شرباً قبل أن يطغى مرضه ويستفحل، فإذا كان القضاء على المرض في استعمال الدواء أهم من حرمة استعمال النجس جاز استعمال النجس كما تقدّم، هذا كله بحسب القاعدة الأوليّة.

أمّا بالنسبة للروايات فقد وردت الروايات الظاهرة بل الصريحة في حرمة استعمال النجس أكلا أو شرباً حتى في صورة انحصار الدواء به كالضرورة، واليك بعضها:

١ ـ صحيحة عمر بن اذينة، قال: «كتبت إلى الإمام الصادق عليه السلام أسأله عن الرجل ينعت له الدواء من ريح البواسير، فيشربه بقدر اسكرجة من نبيذ، ليس يريد به اللذة، إنّما يريد به الدواء؟ فقال عليه السلام: لا ولا جرعة، ثم قال: إنّ الله عزّوجلّ لم يجعل في شيء ممّا حرم دواءً ولا شفاءً»[٧]

٢ ـ صحيحة الحلبي قال: «سألت الإمام الصادق عليه السلام عن دواء عجن بالخمر؟ فقال: لا والله ما أُحبّ أن أنظر إليه، فكيف أتداوى به؟ إنّه بمنزلة شحم الخنزير أو لحم الخنزير وترون أُناساً يتداوون به»[٨]

٣ ـ صحيحة علي بن جعفر في كتابه عن أخيه (الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) قال: «سألته عن الدواء هل يصلح بالنبيذ؟ قال: لا... إلى أن قال: وسألته عن الكحل يصلح أن يعجن بالنبيذ؟ قال: لا»[٩]

وهذه الروايات وإن كانت واردةً في الخمر إلاّ أنّ ظاهرها النهي عن التداوي بالحرام، وهي مطلقة لصورة الضرورة وانحصار الدواء بالحرام وعدمها، إلاّ الرواية الأُولى فهي تقنن قاعدة «إنّ الله لم يجعل في شيء ممّا حرّم دواءً ولا شفاءً» فهي تشير إلى عدم وجود انحصار الدواء في المحرم، بل تقرّر أنّ المحرّم لا يمكن أن يجيء منه الشفاء والدواء، وبهذا يبطل الفرض الذي نحن فيه، هو انحصار رفع الداء بالحرام أو ارتفاع الداء بالحرام.

هذا ولكن إذا أثبت العلم بما لا شك فيه ولا ريب أنّ بعض المحرمات والنجاسات يمكن استفادة الدواء منها، وقد ينحصر الدواء فيها في بعض الحالات فحينئذ تطرح هذه الروايات للخلل في متنها الذي يكون مخالفاً للواقع الخارجي، ويعود الفرض ويحكّم قانون التزاحم.

ويمكن أن يقال: إنّ هذه الروايات المانعة من وجود الدواء في الحرام هي ناظرة إلى الواقع الخارجي الذي كان في وقت صدور الروايات فكان الدواء غير موجود فيما هو محرّم، أمّا في زمان آخر كزماننا إذا تمكّن العلم بأدواته الدقيقة وعمقه الكبير أن يوجد دواءً من النجاسات أو المحرّمات، وانحصر الدواء به فنرجع إلى القاعدة، حتى لو لم يكن المتن الروائي مخالفاً للواقع الخارجي وقت صدورها.

بل يمكن أن يقال: إنّ هذه الروايات مختصة بصورة الخمر وشرابه على هيأته الخمرية، بينما كلامنا في صورة استخراج الدواء من المحرم بحيث تزول صفة الخمرية أو صفة الحرام ويتّصف بصفة أُخرى هي صفة الدواء ولكن عيبه هو النجاسة أو الحرمة، فتكون الروايات منصرفة عمّا نحن بصدده من انحصار الدواء في ما يستخرج من المحرّم أو النجس، وهذا سيأتي في القسم الثالث. وبهذا الذي تقدّم يرجع البحث السابق، ونحكّم قانون التزاحم.

ولكن نقول: إنّ هذه الروايات قد تكون معارضةً ـ إذا قلنا بحرمة شرب الأبوال الطاهرة، كما هو الصحيح ـ بالروايات التي خصّت في التداوي فقط بأبوال الأبل والبقر والغنم في صورة الدواء فقط، ومن تلك الروايات:

١ ـ موثّقة عمار بن موسى الساباطي، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «سئل عن بول البقر يشربه الرجل؟ قال عليه السلام: إن كان محتاجاً إليه يتداوى به يشربه، وكذلك أبوال الإبل والغنم»[١٠]

٢ ـ موثّقة المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام «أنّه شكا إليه الربو الشديد، فقال له عليه السلام: اشرب أبوال اللقاح، فشربت ذلك فمسح الله دائي»[١١]

٣ ـ وعن أنس: «أنّ رهطاً من عرينة أتو النبي صلى الله عليه وآله، فقالوا: إنا اجتوينا المدينة وعظمت بطوننا وارتهست اعضاؤنا، فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله: أن يلحقوا برّاً الإبل، فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فلحقوا براعى الابل، فشربوا من أبوالها وألبانها حتى صلحت بطونهم وأبدانهم، ثم قتلوا الراعي وساقوا الابل»[١٢]

وفي القاموس: جوى: كره، وأرض جويه: غير موافقة وفيه، ارتهس الوادي: امتلأ.

٤ ـ وعن ابن عباس قال: قال رسول

الله ﷺ: «إنّ في أبوال الإبل وألبانها شفاء للذربة بطونهم»[١٣].

وفي القاموس: الذربة محركة: فساد المعدة.

والصحيح أنّ هذه الروايات لا تكون معارضة لما تقدّم حيث انها اخص منها فتقيد الحرمة بغير شرب الأبوال الطاهرة للدواء. نعم، هناك روايات تجوِّز شرب أبوال مأكول اللحم على وجه الاطلاق، إلاّ أنّها ضعيفة السند ولابدّ من تقييدها بالتداوي وحتى لو كانت صحيحة السند فلابُدَّ من تقييدها بالتداوي لموثّقة عمار المتقدّمة.

القسم الثاني: التداوي بالنجس أو الحرام بغير الأكل والشرب:

نقول: إنّ لفظ «التداوي بالحرام» يشمل غير الأكل والشرب أيضاً، كالتدهين والتزريق والتكحيل ووضع عضو من جسم الخنزير في جسم الإنسان واشباهها، ولكن الروايات المتقدّمة وان كان مطلقة إلاّ أنّها منصرفة إلى المحرم الذي حرم أكله أو شربه، لكثرة استعمال الحرمة وارادة خصوص الأكل والشرب منها، كما إذا قال شخص لآخر: «حرم الشارع علينا الميتة» فإنّ المنصرف منها هو حرمة الأكل وإن كان اللفظ يشمل حرمة الحمل واللمس والنظر. وكذا كل رواية فيها لفظ «الخمر»، فإنّ المحرم شربه ومقدماته ومؤخرته التي تتعلق بالشرب، وعلى هذا تبقى موارد بقية الاستعمالات مثل التزريق ـ إذا لم يكن فيه ذهاب العقل ـ والتدهين والتكحيل ووضع مادة من جسم حيوان في جسم الإنسان واشباهها غير محرمة، وذلك لعدم التزاحم بين الواجب والحرام.

نعم، نخرج التكحيل الذي فيه خمر عن دائرة الجواز، لوجود روايات تحرمه، مثل الرواية الثالثة المتقدّمة (صحيحة علي بن جعفر) وغيرها، إلاّ أن روايات «ليس شيء ممّا حرمه الله تعالى إلاّ وقد أحله لمن اضطر إليه» تجوِّز ذلك إذا كان ضرورة، ولا يمكن الدواء إلاّ به.

ولا تأتي هنا قاعدة «إنّ الله لم يجعل في شيء ممّا حرم دواءً ولا شفاءً» لأنّها منصرفة إلى خصوص الأكل والشرب.

إذن النتيجة: هو جواز التداوي بعين النجس إذا لم يكن أكلا أو شراباً، ولو لم تكن ضرورة إلى ذلك.

القسم الثالث: هل يجوز التداوي بالنجس إذا استهلك في شيء آخر؟

أقول: هذه هي الصورة الواسعة المنتشرة في الدواء، حيث يوضع النجس مع مواد أُخرى بحيث يستهلك فيها ولا ينعدم، فهل يجوز

استعمال الدواء في هذه الصورة وإن كان هناك دواء غيره، أو يجوز في صورة انحصار الدواء بالنجس المستهلك؟

الجواب: مرةً نتكلّم عن صورة كون الدواء هو عبارة عن الأكل والشرب.

ومرة نتكلّم عن صورة كون الدواء ممّا ينتفع به بغير الأكل والشرب.

أمّا في الصورة الأُولى فإنّ الاستهلاك الذي حصل للنجس في ضمن غيره لا يجعله طاهراً، فيبقى الدواء الذي فيه النجس على حكم عدم جواز اكله أو شربه، سواء كان مائعاً أو لا، وذلك لأنّ الشبهة هي وجود النجس في المادة، ولا يجوز تناول المادة التي فيها النجس، وعلى هذا فإذا كان هذا الدواء غير منحصر لذلك الداء فلا يجوز استعماله، وذلك لعدم التزاحم بين حرمة أكل النجس أو شربه، وبين وجوب السعي في الشفاء من الداء لوجود الدواء الطاهر، أمّا إذا كان هذا الدواء قد انحصر فيه الاستشفاء فهل يجوز شربه أو أكله أم لا؟

الجواب: يقع التزاحم بين حرمة أكله أو شربه ووجوب السعي للاستشفاء، فإن كان الوجوب أهمّ من حرمة استعمال النجس جاز استعماله للاستشفاء، وهنا لا تأتي قاعدة «إنّ الله عزّوجلّ لم يجعل في شيء ممّا حرم دواءً ولا شفاءً» لأنّها واردة في عين النجس، أو منصرفة إليه، أمّا هنا فإنّ عين النجس مستهلكة مع اشياء أُخر، فتأتي قاعدة «ليس شيء ممّا حرمه الله تعالى إلاّ وقد أحله لمن اضطر إليه».

وأمّا الصورة الثانية فهو أمر جائز بلا كلام، كالتدهين والتزريق والتكحيل فإنّ هذه الأمور لا مانع من استعمال النجس فيها فضلا عن استهلاكه مع غيره؛ لأنّها جائزة بالأصل ولا دليل على الحرمة، فلا تزاحم أصلاً بين الوجوب والحرمة.

دفع توهّم: _____

إنّ ما ذهبنا إليه من حرمة استعمال أبوال مأكول اللحم ليس من ناحية الاستدلال بآية (ويحرّم عليهم الخبائث)، فإنّ معنى الخبائث في الآية هو كل ما فيه مفسدة ولو كان من الأفعال، فإنّ لفظ «الخبيث» يطلق على العمل الخبيث كما في قوله تعالى: ﴿**ونجّيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث**﴾ وبما أن أبوال ما يؤكل لحمه فيه مصلحة للمريض فهي ليست من الخبائث وإن تنفّر منها الطبع، وإنّما دليلنا هو الروايات المتقدّمة التي أحلّت شرب البول لأجل الدواء.

الهوامش:

[١] من دروس سماحة الشيخ في الفقه المعاصر ألقي على طلبة البحث الخارج في النّجف الأشرف ١٤٣٢ـ ١٤٣٣هـ.
[٢] وسائل الشيعة: ج ١٧، ب ١٣٤ من الأطعمة المباحة، ح ٨.
[٣] المصدر السابق: ح ٩.
[٤] وسائل الشيعة: ج ٢، ب ٤ من الاحتضار، ح ٥.
[٥] وسائل الشيعة: ج ٢، ب ٤ من الاحتضار، ح ٥.
[٦] وسائل الشيعة: ج ٢، ب ٤ من الاحتضار، ح ٥.
[٧] وسائل الشيعة: ج ١٧، ب ٢٠ من الأشربة المحرّمة، ح ١.
[٨] المصدر السابق: ح ٤.
[٩] المصدر السابق: ح ١٥.
[١٠] وسائل الشيعة: ج ١٧، ب ٥٩ من أبواب الأطعمة المباحة، ح ١.
[١١] وسائل الشيعة: ج ١٧، ب ٥٩ من أبواب الأطعمة المباحة، ح ٨.
[١٢] السنن الكبرى للبيهقي: ج ١٠، ص ٤، ورواه البخاري في الصحيح: ج ١، باب الأبوال ص ٦٧ بأدنى تفاوت.
[١٣] مسند أحمد: ج ١، ص ٢٩٣.

العلامة الشيخ إسكندر الطائي
أستاذ في حوزة النّجف الأشرف

الشيخ المفيد رحمه الله حياته وآثاره العلميّة

إن تاريخ الإمامية حافلٌ برجال ليس من السهل المرور على أسماءهم من دون توقف لما تحمله شخصياتهم من فاعلية وحضور على المسار التاريخي فكانوا الغائبين الحاضرين في ذاكرة التاريخ والأجيال بل أن تكّون التاريخ وحضوره في ذاكرتنا وتشكله في أذهاننا ينسب الكثير منه إلى هؤلاء الرجال فكانوا أحد المساهمين المهمين في تشكيل وعينا المعاصر بالنسبة للفقه والكلام والتاريخ والفلسفة وغيرها ومن أحد عمالقة هؤلاء الرجال الشيخ المفيد (أعلى الله مقامه) ورحمه ورضي عنه.

محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الحارثي، أبو عبد اللّه العكبري، البغدادي، المعروف بابن المعلّم، ثم اشتهر المفيد[1].

ولد في سنة ٣٣٦، وقيل: ٣٣٨ هـ، في قرية «سويقة ابن البصري»، التابعة لعكبرا على مقربة من بغداد، ثم انتقل به أبوه وهو صبي إلى بغداد للتحصيل، فاشتغل بالقراءة على أبي عبد اللّه الحسين بن علي المعروف بالجُعَل، ثم على أبي ياسر غلام أبي الجيش، الذي اقترح عليه أن يحضر درس المتكلم الشهير علي بن عيسى الرّماني المعتزلي، ففعل[2] روى المفيد عن طائفة من كبار المشايخ منهم: القاضي أبو بكر محمد بن عمر الجعابي، وأبو غالب أحمد بن محمد الزراري، وأحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد، وجعفر بن محمد بن قولويه، وأبو الحسن علي بن بلال المهلبي، والشيخ الصدوق

محمد بن علي بن بابويه، ومحمد بن أحمد بن الجنيد الكاتب المعروف بالاسكافي.

و كان شيخ الفقهاء والمحدّثين في عصره، مقدَّماً في علم الكلام، ماهراً في المناظرة والجدل، عارفاً بالاخبار والآثار، كثير الرواية والتصنيف.

وكان له مجلس بداره بدرب رباح يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف[٣]، فتخرّج به جماعة وبرع في المقالة الامامية حتى كان يقال: له على كل إمامي منّة[٤] قال فيه أبو العباس النجاشي: استاذنا وشيخنا، فضله أشهر من أن يوصف، في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم. وقال ابن النديم: كان دقيق الفطنة، ماضي الخاطر، شاهدته فرأيته بارعاً.

و قال اليافعي: البارع في الكلام والجدل والفقه، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية.

التوقيعات بشأنه:

وبعد المترجم له بقرن تقريبا " نقل الشيخ الطوسي في كتابه " الاحتجاج على أهل اللجاج " بحذف الإسناد - لأمر ذكره في أول الكتاب - ثلاثة كتب " رسائل توقيعات " وردت من الناحية المقدسة (الحجة عجل الله فرجه) أولاها في سنه ٤١٠ ه والثانية والثالثة في ٤١٣ قبل وفاته بعشرة أشهر تقريبا.

وردت عليه الأولى في أيام بقيت من صفر سنة عشر وأربعمائة، ذكر موصلها أنه

يحملها إليه من ناحية متصلة بالحجاز، نسختها:

" للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان " أدام الله إعزازه " من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، سلام عليك أيها الولي المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين... أدام الله توفيقك لنصرة الحق، وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق، إنه قد أذن لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك... فقف - أيدك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه - على ما أذكره، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله... ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا... من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حم أجله (أي: قرب) اعتصموا بالتقية من شب نار الجاهلية، يحششها عصب أموية تهول بها فرقة مهدية... إذا حل

جمادى الأولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه... ويحدث في أرض المشرق ما يحزن ويقلق، ويغلب على العراق طوائف عن الإسلام مراق، تضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق... ".

ويظهر من رواية هذه التوقيعات أنها كانت رسائل يمليها الحجة (عجل الله فرجه) ويكتبها بعض ثقاته ثم هو عليه السلام يكتب توقيعه على الجهة العليا من الكتاب، كما ذكر في آخر هذا الكتاب نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام: " هذا كتابنا إليك أيها الأخ الولي، والمخلص في ودنا الصفي، والناصر لنا الوفي، حرسك الله بعينه التي لا تنام، ولا تظهر على خطنا الذي سطرناه... أحدا، وأد ما فيه إلى من تسكن إليه، وأوص جماعتهم بالعمل عليه... ".

وإذا كان الشيخ المفيد قدس سره قد أدى ما في هذا الكتاب إلى من كان يسكن إليه ومنه وصل إلى الشيخ الطبرسي فذكره في كتابه، فقد روى الطبرسي بعد هذا كتابا آخر إليه في غرة شوال من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. ولكنه لم يذكر الكتاب وإنما ذكر نسخة التوقيع باليد العليا (صلوات الله على صاحبها): " هذا كتابنا إليك أيها الولي، الملهم للحق العلي، بإملائنا وخط ثقتنا، فأخفه عن كل أحد واطوه، واجعل له نسخة يطلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا... ".

وقبل هذا التوقيع ذكر كتابا آخر من قبله (صلوات الله عليه) ورد على المفيد يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، نسخته:

" بسم الله الرحمن الرحيم، سلام الله عليك أيها الناصر للحق، الداعي إليه بكلمة الصدق... فلتكن - حرسك الله بعينه التي لا تنام - أن تقابل فتنة تسبل نفوس قوم حرثت باطلا، لاسترهاب المبطلين، يبتهج لدمارها المؤمنون ويحزن لذلك المجرمون... فليطمئن أولياؤنا... وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة تكون حميدة لهم بجميل صنع الله سبحانه... ونحن نعهد إليك - أيها الولي المخلص، المجاهد فينا الظالمين - أيدك الله بنصره الذي أيد به السلف من أوليائنا الصالحين... "

وذكر هذه التوقيعات السيد بحر العلوم في كتابه " الفوائد الرجالية " وذكر الإشكال عليها بوقوعها في الغيبة الكبرى مع جهالة المبلغ، ودعواه المشاهدة، المنفية بعد الغيبة الصغرى، ثم قال في دفع الإشكال: باحتمال حصول العلم بمقتضى القرائن.

والميرزا النوري في خاتمة " مستدرك وسائل

الشيعة " نقل الإشكال والجواب ثم قال: ونحن أوضحنا جواز الرؤية في الغيبة الكبرى بما لا مزيد عليه في رسالتنا " جنة المأوى " وفي كتاب " النجم الثاقب " وذكرنا له شواهد وقرائن لا تبقى معها ريبة. ونقلنا عن السيد المرتضى وشيخ الطائفة وابن طاووس التصريح بذلك. وذكرنا لما ورد من تكذيب مدعي الرؤية ضروبا " من التأويل تستظهر من كلماتهم، فلاحظ هذا.

ثم أضاف: ومن أراد أن يجد - وجدانا - مفاد قول الحجة عليه السلام في حقه: (أيها الولي الملهم) فليمعن النظر في مجالس مناظراته مع أرباب المذاهب المختلفة، وأجوبته الحاضرة المفعمة الملزمة، وكفاك في ذلك كتاب " الفصول " للسيد المرتضى (رضي الله عنه) الذي قد لخصه من كتاب " العيون والمحاسن " للشيخ، ففيه ما قيل في مدح بعض الأشعار: يسكر بلا شراب، ويطرب بلا سماع. وقد عثرنا فيه على بعض الأجوبة المسكتة التي يبعد عادة إعداده قبل المجلس. ثم استطرف بذكر طريفة منه.

من لقبه بالمفيد؟

جاء في الكتاب الأول من الكتابين في خبر الطبرسي عن الناحية المقدسة خطاب المترجم له بلقب: الشيخ المفيد، ولعله لذلك قال ابن شهرآشوب في كتابه " معالم العلماء ": ولقبه بالشيخ المفيد صاحب الزمان (صلوات الله عليه)، ثم قال: وقد ذكرت سبب ذلك في " مناقب آل أبي طالب " ونقل ذلك الميرزا النوري في خاتمة " المستدرك " وعلق يقول: ولا يوجد هذا الموضع من مناقبه. واشتهر أنه لقبه به بعض العامة.

أول من ذكر ذلك من الخاصة الشيخ محمد بن إدريس الحلي (ت ٥٩٨ ه) في " السرائر " قال: كان الشيخ محمد بن النعمان (رضي الله عنه) من أهل عكبرى من موضع يعرف بسويقة ابن البصري. وانحدر مع أبيه إلى بغداد. وبدأ بقراءة العلم على أبي عبد الله المعروف بالجعل بدرب رياح. ثم قرأ من بعده على أبي ياسر غلام أبي الحبيش بباب خراسان، فقال له أبو ياسر: لم لا تقرأ على علي بن عيسى الرماني الكلام وتستفيد منه؟ فقال: ما أعرفه ولا لي به أنس، فأرسل معي من يدلني عليه.

وهنا ينتقل الشيخ ورام إلى نقل القول عن المفيد نفسه بلا ذكر سند عنه قال:

قال: ففعل ذلك، وأرسل معي من أو صلني إليه.

فدخلت عليه ـ والمجلس غاص بأهله ـ وقعدت حيث انتهى بي المجلس، وكلما خف

الناس قربت منه، فدخل إليه داخل فقال: بالباب إنسان يؤثر الحضور بمجلسك وهو من أهل البصرة. فقال: أهو من أهل العلم؟ فقال الغلام: لا أعلم، إلا أنه يؤثر الحضور بمجلسك. فأذن له. فدخل عليه، فأكرمه، وطال الحديث بينهما، فقال الرجل لعلي بن عيسى: ما تقول في يوم الغدير والغار؟ فقال: أما خبر الغار فدراية، وأما خبر الغدير فرواية، والرواية لا توجب ما توجب الدراية. قال: فانصرف البصري ولم يحر جوابا. قال المفيد (رضي الله عنه): فقدمت فقلت: أيها الشيخ مسألة. فقال: هات مسألتك. فقلت: ما تقول فيمن قاتل الإمام العادل؟ فقال: يكون كافرا. ثم استدرك فقال: فاسقا. فقلت: ما تقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: إمام. فقلت: فما تقول في يوم الجمل وطلحة والزبير؟ قال: تابا. قلت: أما خبر الجمل فدراية وأما خبر التوبة فرواية. فقال لي: أكنت حاضرا وقد سألني البصري؟ فقلت: نعم. قال: رواية برواية ودراية بدراية. ثم قال: بمن تعرف؟ وعلى من تقرأ؟ قلت: أعرف بابن المعلم، وأقرأ على الشيخ أبي عبد الله الجعلي. فقال: موضعك. ودخل منزله وخرج ومعه رقعة قد كتبها وألصقها وقال لي: أو صل هذه الرقعة إلى أبي عبد الله فجئت بها إليه، فقرأها ولم يزل يضحك هو ونفسه، ثم قال لي: أي شئ جرى لك في مجلسه، فقد وصاني بك، ولقبك بالمفيد. فذكرت له المجلس بقصته، فتبسم.

فهذان الفقيهان – الشيخ ورام وابن إدريس – اعتمدا في سبب تلقيبه بالمفيد على ما ذكراه، دون ما ذكره معاصرهما ابن شهرآشوب مستندا على ورود لقب " المفيد " فيما رواه شيخه الطبرسي في " الاحتجاج " ويستبعد جدا أن يكونا قد ذهبا إلى ذلك غير عالمين بما قاله عنه ابن شهرآشوب أو برواية الطبرسي للكتابين والتوقيعين، وقد احتج بهما معاصرهما عصرا ومصرا الشيخ ابن بطريق الحلي أيضا في رسالة " نهج العلوم ".

وما نقله الفقيهان الحليان – الشيخ ورام وابن إدريس – متقدم عهدا على تاريخ ورود الكتاب عليه من الناحية المقدسة وورود اللقب في ذلك الكتاب أدل على سبقه من الدلالة على بدء التلقيب، ولم نجد لتحويل ابن شهرآشوب على مناقبه مصداقا آخر سوى ذلك الكتاب، وهو لا يصلح مستندا فلا بد من ترجيح ما نقله الفقيهان الحليان على ما انفرد به ابن شهرآشوب الحلبي، ولعل في عدم ذكر ذلك في فهرسي تلميذيه الطوسي والنجاشي ما يوهن قوله، إذ الدواعي متوفرة على نقل مثله لو كان، اللهم إلا أن يقال بسرية الرسالة إلى هذا الحد البعيد جدا. وقد كان للعلامة الحلي كتاب كبير

في معرفة الرجال باسم " كشف المقال " ذكر فيه حكاية سبب تسمية المترجم له بالمفيد، فقد قال في رجاله الموجود: " وله حكاية في سبب تسميته بالمفيد ذكرناها في كتابنا الكبير وهذا الكتاب الكبير غير موجود اليوم لنرى ما فيه، ولكن الظاهر أن الحكاية هي ما حكاه الفقيهان الحليان قبله، إذ لو كان يرى صحة قول ابن شهرآشوب لما كان يعبر عن ذلك بالحكاية بل كان طبعا ينص عليه ويصرح به ولو إجمالا.

والغالب على رجال العلامة أنه يقتصر فيه على ما في فهرست الشيخ ورجال النجاشي، وقد يزيد عنهما، وهنا أضاف يقول عن المترجم له " من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم، وكل من تأخر عنه استفاد منه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية، أوثق أهل زمانه وأعلمهم " ثم نقل ما في الفهرسين.

وقد برز المفيد من بين أعلام عصره بفن «المناظرة» التي تعتمد الموضوعية والمنهج والدليل المتفق عليه سبيلًا للاقناع، ووضوح النتائج[٥] فخاض ميادين المناظرة في الالهيات والمسائل الفقهية، إلّا أنّ مناظراته كانت تنصب في الدرجة الاولى في المسائل الاعتقادية لِلامامية، فكان له الدور البارز في الذبِّ عنها وترويجها، ولهذا نال منه بعض المنساقين وراء عواطفهم[٦] مع إذعانهم لقدراته وقابلياته الفكرية والعلمية.

و يعدّ المفيد أوَّل مَن ألَّف من الامامية في أُصول الفقه بشكل موسّع، وله في هذا المجال رسالة نقلها تلميذه الكراجكي في كتابه «كنز الفوائد»، فقد كان الطابع العام للكتب التي أُلفت قبل عصره لا يتعدى أن يكون دراسة لبعض المسائل الأُصولية[٧] وصنّف كتباً كثيرة ذكر منها النجاشي أسماء (١٧٤) كتاباً، منها: المقنعة في الفقه، مناسك الحجّ، الفرائض الشرعية، أحكام النساء، جوابات أهل الدينور، جوابات أبي جعفر القمي، جوابات أهل طبرستان، الرسالة الكافية في الفقه، الايضاح في الامامة، الارشاد، العيون والمحاسن، النقض على علي بن عيسى الرماني، النقض على أبي عبد اللّه البصري، الرد على ابن الإخشيد في الامامة، إيمان أبي طالب، الكلام في وجوه إعجاز القرآن، الجمَل.

و تفقّه به، وروى عنه جماعة، منهم: الشريفان الرضي والمرتضى، أبو العباس النجاشي، أبو جعفر الطوسي، أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري وهو صهره، القاضي أبو الفتح الكراجكي، أحمد بن علي بن قدامة، أبو الفرج المظفر بن علي بن الحسين الحمداني، وأبو الحسن علي بن محمد بن عبد

الرحمن الفارسي.

وقد جمع المفيد بالاضافة إلى علمه الجمّ، فضائل نفسية رفيعة، فكان قويّ النفس، كثير البِرّ، عظيم الخشوع عند الصلاة والصوم[٨] ما كان ينام من الليل إلّا هجعة، ثم يقوم يصلي أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن[٩] توفي ببغداد سنة - ثلاث عشرة وأربعمائة، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، ودفن في داره، ثم نقل إلى الكاظمية، فدفن بمقابر قريش، بالقرب من رجلي الامام الجواد عليه السلام.

و رثاه الشعراء بمراث كثيرة، منهم: الشريف المرتضى، ومهيار الديلمي، وعبد المحسن الصوري.

الهوامش:

[١] فهرست ابن النديم ٢٦٦، ٢٩٣، رجال النجاشي ٢- ٣٢٧، فهرست الطوسي ١٨٦ برقم ٧١٠، رجال الطوسي ٥١٤ برقم ١٢٤، تاريخ بغداد ٣- ٢٣١، معالم العلماء ١١٢ برقم ٧٦٥، الاحتجاج للطبرسي ٢- ٥٩٦، المنتظم ١٥- ١٥٧ برقم ٣١١٤، الكامل في التأريخ ٩- ٣٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١- ٤١، رجال ابن داود ٣٣٣ برقم ١٤٦٤، رجال العلامة الحلي ١٤٧ برقم ٤٥، ايضاح الاشتباه ٢٩٤، تاريخ الإسلام (سنة ٤١٣) ٣٣٢ برقم ١١١، ميزان الاعتدال ٤- ٢٦، سير أعلام النبلاء ١٧- ٣٤٤، الوافي بالوفيات ١- ١١٦ برقم ١٧، البداية والنهاية ١٢- ١٧، لسان الميزان ٥- ٣٦٨ برقم ١١٩٦، النجوم الزاهرة ٤- ٢٥٨، أمل الآمل ٢- ٣٠٤، روضات الجنات ٦- ١٥٣ برقم ٥٧٦، هدية العارفين ٢، ٦٢- ٦١، ايضاح المكنون ١، ٧٠٠- ٣٧، بهجة الآمال ٦- ٥٨٦، تنقيح المقال ٣- ١٨٠ برقم ١٣٣٧، تأسيس الشيعة ٣١٢، ٣٣٦، أعيان الشيعة ٩- ٤٢٠، الاعلام ٧- ٢١، معجم المؤلفين ١١- ٣٠٦.

[٢] (و للمترجم مع شيخه الرماني مناظرة، تمكن وهو لا يزال في بداية تلقّيه العلم أن يُفحم فكرة استاذه، مما آثار إعجابه ولذلك لقّبه بالمفيد. انظر القصة في أعيان الشيعة، وغيره.

[٣] المنتظم، والبداية والنهاية.

[٤] لسان الميزان.

[٥] أعيان الشيعة.

[٦] أمثال الخطيب البغدادي والصفدي.

[٧] انظر بحوث في الملل والنحل للعلّامة السبحاني٦: ٦٥٣

[٨] سير أعلام النبلاء، نقلًا عن تاريخ ابن أبي طي.

[٩] أعيان الشيعة.

الشيخ صفاء المشهدي
أستاذ وباحث في حوزة قم المقدسة

الفكر الموسوعي عند الشيخ المفيد رحمه الله
ـ قراءة في التراث الكلامي ـ

تمهيد

تميّز المتقدّمون من علماء الإماميّة بالاهتمام بالبحوث الكلاميّة والعَقَديّة على قدر اهتمامهم بالبحوث الفقهيّة والشرعيّة وغيرها، سيّما في القرنين الرابع والخامس الهجريّين، إذ تكاملت الهويّة العلميّة للمذهب، وتقرّرت أصوله وأسسه بشكلٍ علميٍّ ومنهجيٍّ أكثر ممّا مضى، وكان للشيخ المفيد ومدرسته العملاقة القدح المعلّى في هٰذا المضمار، وهٰذا ما يلمسه الباحث بوضوحٍ في التراث العلميّ للشيخ المفيد، سيّما التراث الكلاميّ، وقد كانت فترة حياته فترة تكوين المذاهب الفكريّة والعَقَديّة وغيرها.

ومن المعلوم أنّ الشيخ المفيد يُعدّ شخصيّةً فذّةً قلّ نظيرها في مصافّ العلماء، وعالمًا كبيرًا برع ففاق أهل زمانه، بل ومن جاء بعدهم، فهو آيةٌ في العلم والنبوغ، وآيةٌ في العمل والعبادة والاجتهاد على حدٍّ سواءٍ. وبذٰلك جمعت شخصيّته الفذّة جميع المزايا العلميّة والعمليّة. لقد صاغت هٰذه الخصائص من شخصيّة الشيخ المفيد كنزًا ثمينًا وشخصيّةً رائعةً لا تدانيها ولا تضاهيها شخصيّةٌ أخرى، فالجميع ينحني أمام هٰذه الشخصيّة إجلالًا وتعظيمًا لما يجدونه من وقعٍ عظيمٍ وهيبةٍ كبيرةٍ لها في النفوس، حتّى قيل: «إنّ له على كلّ إمامٍ منّةً»[1]. والمقال الحاضر يسلّط الضوء على جانبٍ من سيرته الفرديّة والعلميّة في حقل العقيدة والكلام.

١: اسمه وكنيته ولقبه

هو الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير - وهو غير سعيد بن جبيرٍ التابعيّ المفسّر - بن وهيب بن هلال بن أوس بن سعيد بن سنان بن عبد الدار بن الريّان بن قَطَر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عُلَة بن خلد بن مالك بن أُدَدِ بن زيد بن يشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان[٢].

والمعروف أنّ كنيته (أبو عبد الله) بل هو المتبادر عند إطلاقها من بين جماعة يكنّون بذلك وهم: الحسين بن عبيد الله الغضائريّ وأحمد بن عبدون[٣].

لُقِّب بـ (المفيد) لغزارة علمه وكثرة إفاداته، وعرف أيضًا بابن المعلِّم لمهنة أبيه في التعليم[٤]، كما يلقّب أيضًا بالبغداديّ والعُكبريّ نسبةً إلى مسقط رأسه في (عُكبرا)، وبالحارثيّ نسبة إلى الحارث بن كعبٍ.

والمعروف أنّ الّذي لقّبه بالمفيد هو عليّ بن عيسى الرمّانيّ من علماء بغداد ومتكلّميها، وذلك في عنفوان شباب الشيخ وأخذه العلم. والسبب في تسميته ـ كما يرويه ابن إدريس ـ هو أنّ الشيخ المفيد عندما كان يقرأ على شيخه أبي ياسرٍ أشار عليه بأن يقرأ على عليّ بن عيسى الرمّانيّ، وأرسل معه من يدلّه على مجلسه، يقول الشيخ: فلمّا دخلتُ قعدتُ حيث انتهى بي المجلس الّذي كان غاصًّا بأهله ومليئًا بالحاضرين، فلمّا خفّ الناس اقتربت من مجلسه، فدخل عليه في هٰذه الأثناء رجلٌ من أهل البصرة، فأكرمه الرمّانيّ وطال الحديث بينهما، فقال الرجل لعليّ بن عيسى: ما تقول في يوم الغدير والغار؟ فقال: أمّا خبر الغار فدرايةٌ، وأمّا خبر الغدير فروايةٌ، والرواية ما توجب ما توجبه الدراية ـ قال: ـ وانصرف البصريّ ولم يحر خطابًا يورد إليه.

قال المفيد: فقلت: أيّها الشيخ، مسألة! فقال: هات مسألتك. فقلت: ما تقول في من قاتل الإمام العادل؟ قال: يكون كافرًا، ثمّ استدرك فقال: فاسقًا. فقلت: ما تقول في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ ؟ قال: إمامٌ ـ قال: ـ قلت: فما تقول في يوم الجمل وطلحة والزبير؟ فقال: تابا. فقلت: أمّا خبر الجمل فدرايةٌ، وأمّا خبر التوبة فروايةٌ. فقال لي: كنت حاضرًا وقد سألني البصريّ؟ فقلت: نعم، روايةٌ بروايةٍ ودرايةٌ بدرايةٍ! فقال: بمن تُعرف وعلى من تقرأ؟ قلت: أُعرف بابن المعلم، وأقرأ على الشيخ أبي عبد الله

الجُعَل. فقال: موضعك، ودخل منزله وخرج ومعه رقعةٌ قد كتبها وألصقها، فقال لي: أوصل هٰذه الرقعة إلى أبي عبد الله، فجئت بها إليه، فقرأها ولم يزل يضحك بينه وبين نفسه، ثمّ قال: أيش جرى لك في مجلسه؟ فقد وصّاني بك ولقّبك المفيد، فذكرت المجلس بقصته فتبسّم[٥].

ولٰكن ذكر ابن شهرآشوب أنّ الّذي لقّبه بالمفيد هو الإمام الحجّة عجل الله فرجه ثمّ قال: «إنّه قد ذكر سبب ذٰلك في كتابه (مناقب آل أبي طالبٍ)» [٦]. ومقصوده التوقيعان الصادران عن الناحية المقدّسة الوارد فيهما مخاطبته بالمفيد: «للأخ السديد، والوليّ الرشيد، الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان، أدام الله إعزازه»[٧]. إلّا أنّه لم يعثر على ما ذكره ابن شهرآشوب في كتابه (المناقب)[٨].

٢: مولده وشمائله

ولد الشيخ المفيد في «عكبرا» من نواحي الدجيل بالعراق في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦ هـ بحسب ما ذكره تلميذه الشيخ النجاشيّ[٩]، إلّا أنّه نقل قولًا بأنّ سنة ولادته هي ٣٣٨ هـ، وهو قول الشيخ الطوسيّ[١٠] وابن النديم[١١]، وتبعهما عليه ابن شهرآشوب[١٢].

وثمّة قولٌ ثالثٌ لصاحب (الرياض) ذهب فيه إلى أنّ سنة ولادته هي ٣٣٣ هـ[١٣].

وأمّا صفته وشمائله: فقد وصفه المؤرخون بأنّه كان ربعةً، نحيفًا، أسمر، قويّ النفس، كثير البرّ والصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، يلبس الخشن من الثياب، كثير التقشّف والتخشّع والإكباب على طلب العلم[١٤]. وذكر صهره الشريف أبو يعلى الجعفريّ: أنّه «ما كان ينام من الليل إلّا هجعةً، ثمّ يقوم يصلّي أو يطالع أو يتلو القرآن»[١٥].

٣: مشايخه

عُرف الشيخ المفيد بحبّه للعلم منذ صباه، فقد نال إجازة الحديث من شيخه ابن أبي اليابس (م ٣٤١ هـ) وهو في الخامسة من عمره، كما روى بالإجازة عن ابن السمّاك (م ٣٤٤ هـ) وله من العمر حين موته سبع سنين وأربعة أشهرٍ[١٦]، وتحمّل الرواية أيضًا عن جماعة من المحدّثين وهو بعد لم يتجاوز الاثني عشر عامًا[١٧].

وروى أيضًا عن أبي عليٍّ الصوليّ وعليّ بن بلالٍ المهلّبيّ وابن الجعابيّ (م ٣٥٥ هـ) في سنّ السادسة عشرة، وعن الحسن بن حمزة بن عليٍّ المرعشيّ في الثامنة عشرة أو العشرين[١٨].

وسوف نشير إجمالًا إلى أهمّ من تأثّر بهم، ويأتي على رأسهم شيخه ابن قولويه (م ٣٦٨ هـ) الّذي أخذ عنه الفقه[١٩]، وكان آيةً في العلم والفقاهة، يصفه النجاشيّ فيقول: «وكلّ ما يوصَف به الناس من جميلٍ وثقةٍ وفقهٍ فهو فوقه»[٢٠].

ومن أساتذته في الحديث الشيخ الصدوق، لقيه عندما قدم إلى بغداد سنة ٣٥٦ هـ، ومن عيون أساتذته في الكلام عليّ بن عيسى الرمّانيّ، وأبو ياسرٍ غلام أبي الجيش البلخيّ، وأبو عبد الله المعروف بالجُعَل[٢١].

وقد ذكر المحدّث النوريّ خمسين شيخًا من أساتذته، وزاد عليهم العلّامة السيّد الخرسان أحد عشر اسمًا فصاروا ٦١ شخصًا[٢٢]، وزاد عليهم السيّد محمّدجواد الشبيريّ عشرة أسماءٍ فأضحوا ٧١ نفسًا[٢٣].

٤: تلامذته

تخرّج من مدرسة الشيخ المفيد جملةٌ من الجهابذة والعلماء والنوابغ نشير إلى بعضهم بنحو الاختصار[٢٤].

١ ـ السيّد المرتضى علَم الهدى، عليّ بن الحسين بن موسى (م ٤٣٦ هـ). كان أكثر تلامذته علمًا وفضلًا ووجاهةً، يقول عنه النجاشيّ وهو زميله في التتلمذ على يد الشيخ المفيد: «حاز من العلوم ما لم يدانِه فيه أحدٌ في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلّمًا شاعرًا أديبًا عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا»[٢٥].

وكان الشيخ المفيد معجبًا بشخصيّة السيّد المرتضى، ويكنّ له احترامًا خاصًّا، فقد نقل الشهيد الأوّل في ذٰلك أنّه: «حضر المفيد مجلس السيّد يومًا، فقام من موضعه وأجلسه فيه وجلس بين يديه، فأشار المفيد بأن يدرّس في حضوره، وكان يعجبه كلامه إذا تكلّم»[٢٦].

٢ ـ الشريف الرضيّ محمّد بن الحسين بن موسى (م ٤٠٦ هـ). أخو المرتضى، ونقيب العلويّين ببغداد، وكان شاعرًا مبرّزًا.[٢٧]

٣ ـ الشيخ الطوسيّ المعروف بشيخ الطائفة، محمّد بن الحسن (م ٤٦٠ هـ). كان مقدّمًا في العلوم ومؤسسًا فيها، ومصنّفًا بكلّ ما يتعلّق بالمذهب أصولًا وفروعًا، درس على الشيخ المفيد خمس سنوات.

٤ ـ الشيخ أبو الفتح الكراجكيّ محمّد بن عليّ بن عثمان بن عليّ (م ٤٤٩ هـ). كان متضلّعًا في الفقه والكلام والحكمة والرياضيّات والطبّ والنجوم واللغة[٢٨]، قال عنه العماد الحنبليّ: «رأس الشيعة، صاحب التصانيف»[٢٩]. وتبلغ مصنّفاته

زهاء التسعين كتابًا.

٥ ـ الشريف محمّد بن الحسن بن حمزة، أبو يعلى الجعفريّ الطالبيّ (م ٤٦٣ هـ). وهو صهر الشيخ المفيد والجالس مجلسه عند غيابه، وكان من الفقهاء العلماء والمتكلّمين.[٣٠]

٦ ـ سالار بن عبد العزيز الديلميّ (م ٤٤٨ هـ). قال عنه العلّامة: «شيخنا المقدّم في الفقه والأدب وغيرهما، كان ثقةً وجهًا»[٣١]. ووصفه ابن داوود بالفقاهة والجلالة والعظمة.[٣٢]

٧ ـ محمّد بن محمّد بن أحمد البُصْرَويُّ (م ٤٤٣ هـ). قال عنه الشيخ الحرّ: «فقيهٌ، فاضلٌ، نقلوا له أقوالًا في كتب الاستدلال»[٣٣].

٨ ـ أحمد بن عليّ بن أحمد النجاشيّ، المكنّى بأبي العبّاس (م ٣٧٢ ـ ٤٥٠ هـ).

٩ ـ أحمد بن عليّ بن قدامة القاضي، أبو المعالي (م ٤٨٦ هـ).

١٠ ـ إسحاق بن الحسن بن محمّدٍ البغداديّ.[٣٤]

١١ ـ جعفر بن محمّدٍ الدوريستيّ، أبو عبد الله (كان حيًّا عام ٤٧٣ هـ).[٣٥]

١٢ ـ الحسن بن عليٍّ الرقّيّ، أبو محمّد. نقل في الرملة في شوال من سنة ٤٢٣ هـ قصّة منام الشيخ المفيد حول حديث الغار الّتي وردت في (كنز الفوائد) للكراجكيّ.[٣٦]

١٣ ـ الحسن بن عنبس بن مسعود بن سالم بن محمّد شريك الرافقيّ، أبو محمّد.[٣٧]

١٤ ـ الحسين بن أحمد بن محمّد بن القطّان.[٣٨]

١٥ ـ الحسين بن عليٍّ النيشابوريّ، من رواة (أمالي المفيد).

١٦ ـ ذو الفقار بن معبدٍ الحسنيّ، أبو الصمصام.[٣٩]

١٧ ـ عبد الرحمٰن، أبو محمّدٍ شقيق راوي (أمالي المفيد).[٤٠]

١٨ ـ عليّ بن محمّدٍ الدقّاق، أبو الحسن.[٤١]

١٩ ـ المظفّر بن عليّ بن حسينٍ الحمدانيّ، أبو الفرج.[٤٢]

٢٠ ـ يحيى بن الحسين بن هارون الحسنيّ، أبو طالب.[٤٣]

٢١ ـ أبو الفوارس ابن راوي (أمالي المفيد).[٤٤]

٢٢ ـ أبو الوفاء المحمّديّ الموصليّ.

٥: لمحةٌ عامّةٌ عن الجهود الكلاميّة للشيخ المفيد

شكّلت الغيبة الكبرى منعطفًا كبيرًا في تاريخ التشيّع، إذ دبّ الشكّ والتشتّت إلى حدٍّ ما بين صفوف القواعد الشيعيّة، فبين متوقّفٍ على إمامة الإمام العسكريّ عليه السلام، قد أنكر إمامة

الإمام الثاني عشر ـ ولعلّ ذٰلك بسبب طمع بعض وكلاء الإمام العسكريّ بأمواله ـ وبين مغالٍ مدّعٍ للسفارة عن الإمام الحجّة ﷺ كذبًا وزورًا، ولم يكن ذٰلك لولا الفراغ الحاصل ـ ظاهرًا ـ في موقع القيادة والإمامة، ولم يكن يملأ هٰذا الفراغ سوى العلماء الّذين انتقلت في تلك الحقبة مسؤوليّة الدفاع عن المذهب والدين إليهم، وتشكّلت الحواضر العلميّة بقمٍّ والريّ وبغداد وبرز فيها جهابذةٌ كبارٌ كالقديمين والصدوقين والشيخين والسيّدين والنوبختيّين وغيرهم؛ ولذا نلاحظ أنّهم ركّزوا كثيرًا على قضيّة الغيبة لكونها أمرًا مستجدًّا في الواقع الشيعيّ، فكتب النعمانيّ والشيخ الطوسيّ فيها، وكان للشيخ المفيد قصب السبق في ذٰلك، إذ صنّف عدّة مصنّفاتٍ أو رسائل مثل كتب (الغيبة) و(المسائل العشر في الغيبة) و(مسألةٌ في سبب استتار الحجّة) وغيرها.[٤٥]

وفي القرن الرابع تمثّلت الحواضر العلميّة للشيعة بالريّ وقمٍّ وبغداد، ولٰكن لكلّ مدرسةٍ منهجها الخاصّ بها، فمدرستا الريّ وقمٍّ مدرستان للحديث والأثر، سواءٌ في الأصول أو الفروع، بينما مدرسة بغداد هي مدرسة النظر والمنهج العقليّ، إضافةً للمنهج النقليّ بالطبع؛ لذا يقول السيّد المرتضى في هٰذا المجال: «إنّ جماعةً من معتقدي التشيّع عندي غير عارفين في الحقيقة، وإنّما يعتقدون الديانة على ظاهر القول بالتقليد والاسترسال دون النظر في الأدلّة والعمل على الحاجة، ومن كان بهٰذه المنزلة لم يحصل له الثواب الدائم»[٤٦].

ولولا جهود الشيخ المفيد ومدرسته لكانت الصبغة الأخباريّة هي الحاكمة على العقائد لدى الشيعة، إذ كانت مدرسة قمٍّ بزعامة الشيخ الصدوق تنتهج المنهج الأثريّ في التعامل مع العقائد، ولا تسمح للعقل بالنظر فيها سوى في مساحةٍ محدودةٍ جدًّا؛ ولذا بدأ الشيخ بخطوتين أساسيّتين:

الأولى: تأصيل المنهج العقليّ في الأصول والفروع معًا.

الثانية: تصحيح المنهج والمسار المتّبع في بعض الحواضر الشيعيّة كقمٍّ، حيث ردّ على الشيخ الصدوق في (تصحيح الاعتقاد) وناقش الجارودیّة والزيديّة والإسماعليّة الّتي تعدّ فرقًا من الشيعة لها حضورها الفكريّ في تلك الآونة.

ولم ينشغل الشيخ المفيد بالواقع الفكريّ الشيعيّ، بل اهتمّ كثيرًا بالفرق والتيّارات العَقَديّة الأخرى خارج المذهب، وفيما يلي نشير إلى بعض تلك المدارس والتيّارات على وجه الاختصار:

أ: المعتزلة

تُعدّ المعتزلة من أعرف الفرق الّتي اعتمدت العقل مصدرًا رئيسًا لفكرها؛ ولذا اهتمّ الشيخ المفيد بها، وأخذت حيّزًا من كتاباته ونتاجاته العلميّة، سيّما في المسائل المختلف فيها بيننا وبينهم، كمسألة الإمامة والعصمة، واحتياج العقل إلى النقل وعدمه، وقد خالفهم الشيخ المفيد في كتاب (أوائل المقالات) في ثمانيةٍ وسبعين موضعًا[٤٧]، بل يُفهم من مقدّمة الشيخ المفيد لهٰذا الكتاب أنّه صنّفه أساسًا لبيان الفرق بين الشيعة والمعتزلة، وإن اشتمل على بحوثٍ أخرى.

كما أنّه نقض فكرهم من خلال عدّة كتبٍ ردّ فيها عليهم، وهي أكثر من عشرة مصنّفاتٍ مثل الردّ على أبي عليٍّ الجبّائيّ، والكلام على الجبّائيّ في المعدوم، والنقض على عليّ بن عيسى الرمّانيّ، وعمدٌ مختصرةٌ على المعتزلة في الوعيد، وغيرها ممّا ورد في فهرست كتبه.

ب: المرجئة

وهي من أخطر الفرق الكلاميّة على الإسلام، حيث تهدف إلى تفريغ العقيدة من محتواها والحؤول دون تأثيرها.

حيث تدعو هٰذه الفرقة إلى كفاية الإيمان القلبيّ مهما كان السلوك منحرفًا، وقد تصدّى الشيخ المفيد لهٰذه الدعوة في كتابه (أوائل المقالات).

٦: تراثه الكلاميّ والفلسفيّ

لقد تجسّد العطاء العلميّ للشيخ المفيد بثلاثة أمورٍ رئيسة:

الأوّل: تربية جيلٍ من العلماء الأفذاذ الّذين تخرّجوا من مدرسته.

الثاني: كتبه ومؤلّفاته المهمّة من الناحية الكمّيّة والكيفيّة.

الثالث: مناظراته وحواراته.

وقد تقدّم الكلام عن الأمر الأوّل، وسوف نتكلّم عن الأمر الثاني والثالث بالترتيب، فنقول[٤٨]: إنّ مؤلّفات الشيخ المفيد البالغة مئتي مؤلفٍ تعدّ بحقٍّ من مفاخر مدرسته العظيمة، فهي عطاءٌ علميٌّ ثرٌّ جمع بين العمق والتنوّع والمنهجيّة والأصالة.

لقد جاءت مؤلّفات الشيخ المفيد تأسيسيّةً من رجلٍ مؤسّسٍ في قرنٍ عُدّ فاصلًا ومؤسّسًا لما بعده من القرون، وإنّ اعتماد المنهج العلميّ لدى الشيخ في مؤلّفاته قد أدخل عمليّة التصنيف (الإماميّ) في كلّ اتّجاهاته مرحلةً حديثةً من التأليف والتصنيف غير ما عرفته

مدرسة الحديث من عمليّات الجمع والتبويب والعنونة وتجريد الأسانيد الّتي لا تنفذ إلى عمق المادّة العلميّة؛ لتحليلها ودراستها دراسةً علميّةً موضوعيّةً تخضع لأُصول البحث العلميّ وقواعده، وقد كان هٰذا المنهج شاملًا ويغطّي جميع العلوم الّتي تناولها وبحثها الشيخ المفيد.

وتتّسم مؤلّفات الشيخ المفيد بالشموليّة والاستيعاب لكثيرٍ من العلوم الشائعة آنذاك، إلّا أنّ السمة الغالبة فيها التركيز على علمي الفقه والكلام بوصفهما ركنين مهمّين في التكوين المذهبيّ لأيّ مذهبٍ.

إنّ الملاحِظ لمصنّفات الشيخ المفيد يلمس بوضوحٍ الموسوعيّة العلميّة الّتي تتمتّع بها هٰذه الشخصيّة الفذّة، فهو المتكلّم والفقيه والمحدّث والأصوليّ.

يقول الشيخ عبد الله نعمة: «ترك المفيد مؤلّفاتٍ متنوّعةً وفي شتّى المواضيع، كانت طبيعة عصره بحاجةٍ ملحّةٍ إليها، وأكثرها في العقائد والردود أو النقوض الّتي كانت صدًى لروح العصر الّذي عاشه، وانعكاسًا واضحًا لطبيعة تلك الحقبة الصاخبة بالجدل الدينيّ والمناظرات المذهبيّة، ويمثّل أبرز ثورةٍ عقديّةٍ عرفها المسلمون يوم كانت بغداد مسرحًا رحبًا لعقائد وآراءٍ ونزعاتٍ ومذاهب في مختلف أشكالها وألوانها، وهي في نقاشٍ وجدلٍ مستمرّين يحتضن كلّ ذٰلك حرّيّةٌ واسعةٌ تتّسع حتّى للملحدين والزنادقة».

ثمّ يضيف قائلًا: «وكان على المفيد ـ وهو زعيم الشيعة الإماميّة العلميّ والفكريّ ـ أن ينبري لمصارعة زعماء تلك المذاهب والنزعات بما وهبه الله من طاقةٍ علميّةٍ حيّةٍ، وفكرٍ واعٍ رحبٍ، ومن هنا كانت مؤلّفاته ـ على الأكثر ـ ذات طابعٍ متميّزٍ عن مؤلّفات سواه، يظهر عليها روح الجدل والمناظرة، أو روح الدفاع العَقَديّ أو التقرير»[٤٩].

وعلى كلّ حالٍ فقد كان الشيخ المفيد معروفًا بتصانيفه الغزيرة الّتي انتشرت بين الناس، وذاعت بينهم، فكان يُعرف بـ «صاحب التصانيف الكثيرة»[٥٠]. ويُنعت بأنّه: «كثير التصنيف»[٥١]. ويقال إنّ «له أكثر من مئتي مصنّفٍ»[٥٢].

وتنقسم مصنّفات الشيخ المفيد بشكلٍ عامٍّ إلى ثلاثة أقسامٍ رئيسة:

١ ـ قسم المؤلّفات الخاصّة في موضوعٍ خاصٍّ.

٢ ـ قسم الأجوبة عن الأسئلة الواردة عليه من أصقاع العالم الإسلاميّ.

٣ ـ قسم الردود والنقوض على الآراء

الباطلة.

ويبلغ مجموع هٰذه المؤلّفات نحو مئتي مؤلّفٍ كما ذكره مترجموه[٥٣].

والّذي يهمّنا هو التعرّض لمؤلّفاته العَقَديّة والكلاميّة الّتي قد ناهزت التسعين مؤلفًا، وهي تقرب من نصف مجموع مؤلّفاته، والمتصفّح لعناوين كتبه الكلاميّة يقف بوضوحٍ على سعة الأبعاد الكلاميّة في شخصيّته.

٧: مؤلّفاته في الكلام:

١ ـ الإفصاح في الإمامة[٥٤].

ينقسم الكتاب إلى قسمين رئيسين: الأوّل في إمامة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، والثاني في إمامة غيره. وهو في حقيقته بحث علميّ مقارن بين الإمامتين استوفى فيه ما استدل به على الإمامة عند الفريقين سيّما عند الجمهور، ووعد بكتابة بحث مستقل وشامل في إمامة أمير المؤمنين من القرآن والسنّة الشريفة. طبعه المؤتمر الخاصّ به في ذكراه الألفيّة في المجلّد الثامن من الصفحة ٢٥ إلى ٢٤٣.

٢ ـ أقسام المولى في اللسان[٥٥].

وهو دراسةٌ لغويّةٌ وافيةٌ لأقسام كلمة المولى الواردة في حديث النبيّ صلى الله عليه وآله «من كنت مولاه فهٰذا عليٌّ مولاه» في حديث الغدير. وله رسالةٌ أُخرى في معنى المولى سيأتي التعرّض لها إن شاء الله تعالى. وقد طُبعت أقسام المولى في المجلّد الثامن من إصدارات المؤتمر في ١٦ مجلدًا.

٣ ـ أوائل المقالات في المذاهب المختارات[٥٦].

بحثٌ مفصّلٌ في عقائد المذهب الإماميّ مع ذكر من يوافقهم من سائر الفرق، وهو كتابٌ كلاميٌّ قيّمٌ في الكلام المقارن. طُبع في المجلّد الرابع من سلسلة مصنّفات الشيخ المفيد.

٤ ـ آي القرآن المنزلة في أمير المؤمنين عليه السلام[٥٧] ـ مفقود.

قال في أوّله: «وأنا بمشيئة الله وعونه أفرد في ما تعتمده الشيعة في إمامة أمير المؤمنين من آيات القرآن المحكمات والأخبار الصادقة». وقد كان هٰذا الكتاب عند السيّد ابن طاووسٍ في القرن السابع، وينقل عنه في (سعد السعود)[٥٨] باسم: (كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت)، كما نقل عنه في البحار[٥٩] ولٰكن أطلق عليه في (الذريعة) اسم (تيسير آي القرآن المنزّلة في أمير المؤمنين عليه السلام).

٥ ـ الأركان في دعائم الدين[٦٠] ـ مفقود.

٦ ـ أحكام أهل الجمل[٦١] ـ مفقود.

لا يبعد أن يكون المراد الأحكام، من جهةٍ كلاميّةٍ وفقهيةٍ، وهو غير كتاب (الجمل).

٧ ـ الإيضاح في الإمامة[٦٢] ـ مفقود.

٨ ـ الإقناع في وجوب الدعوة[٦٣] ـ مفقود.

يقرب أن يكون موضوعه في الكلام.

٩ ـ الباهر من المعجزات.

ذكره الشيخ المفيد في آخر كتاب (الفصول العشرة) أو (المسائل العشر)[٦٤] وذكر النجاشيّ له: (الزاهر في المعجزات)[٦٥]، ويحتمل اتّحادهما.

١٠ ـ البيان عن وجوه الأحكام[٦٦] ـ مفقود.

يقرب أن يكون موضوعه في الكلام.

١١ ـ تصحيح الاعتقاد.

لم يذكره النجاشيّ ولا الشيخ في كتابيهما. ولٰكن ذكر النجاشيّ له: (الردّ على ابن بابويه)، ويحتمل قويًّا اتّحادهما. وهو شرحٌ لكتاب (الاعتقاد) للشيخ الصدوق، وقد ناقشه في بعض الآراء. وقد ترجم إلى الإنجليزيّة والفارسيّة، وطبعه المؤتمر في المجلّد الخامس.

١٢ ـ تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على سائر الصحابة أو على سائر أصحابه[٦٧]. طُبع في المجلّد التاسع من إصدارات المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد.

١٣ ـ تفضيل الأئمّة عليهم السلام على الملائكة[٦٨] ـ مفقود.

١٤ ـ تقرير الأحكام[٦٩] ـ مفقود.

تعرّض الشيخ المفيد لذكره في (العيون والمحاسن)، كما نقل عنه ذٰلك السيد المرتضى في (الفصول المختارة من العيون والمحاسن)[٧٠] بما يُفهم منه أنّه من الكتب الكلاميّة.

١٥ ـ جوابات أبي جعفرٍ القمّيّ[٧١] ـ مفقود.

ولعلّه نفسه كتاب الردّ على ابن بابويه، ويتردّد موضوعه بين الكلام والفقه.

١٦ ـ جواب أبي جعفرٍ الخراسانيّ[٧٢].

ولعلّ المراد به الشيخ الطوسيّ، كما يتردّد موضوعه بين الكلام والفقه.

١٧ ـ جوابات أبي الحسن سبط المعافى بن زكريّا في إعجاز القرآن[٧٣] ـ مفقودٌ.

١٨ ـ جوابات الكرمانيّ في فضل النبيّ على سائر الأنبياء[٧٤] ـ مفقود.

١٩ ـ جوابات الفارقيّين في الغيبة[٧٥] ـ مفقودٌ.

٢٠ ـ جوابات مسائل اللطيف من الكلام[٧٦] ـ مفقودٌ.

٢١ ـ الحكايات.

جمعها الشريف المرتضى عن شيخه المفيد في الكلام، وجواب الشبهات من أمالي المفيد في مجالسه ومحاضراته، وهي ملحقةٌ في بعض المخطوطات بأوائل المقالات، وفي بعض آخر بالفصول المختارة، والمرجّح أنّها جزءٌ متمّم للأخير، وليست كتابًا مستقلًّا[٧٧].

وقد طُبعت في المجلّد العاشر من إصدارات المؤتمر.

٢٢ ـ الردّ على ابن الأخشيد في الإمامة[٧٨] ـ مفقود.

والمراد به أحمد بن عليّ بن بيغجور ابن الأخشيد البغداديّ المعتزليّ (المتوفّى ٣٢٦ هـ).

٢٣ ـ الردّ على ابن رشيدٍ في الإمامة[٧٩] ـ مفقودٌ.

٢٤ ـ الردّ على ابن عونٍ في المخلوق[٨٠] ـ مفقودٌ.

لعلّه في القول بخلق الأعمال وعقيدة الجبريّة، وابن عونٍ هو محمّد بن جعفر بن عونٍ الكوفيّ ساكن الريّ المتوفّى ٣١٢ هـ، وكان يقول بمذهب الجبريّة[٨١].

٢٥ ـ الرد على ابن كُلَّابٍ في الصفات[٨٢].

٢٦ ـ الردّ على أبي عبد الله البصريّ في تفضيل الملائكة[٨٣] ـ مفقود.

وهو الحسين بن عليٍّ المعتزليّ شيخ المفيد المعروف بالجُعَل، المتوفّى ٣٦٩ هـ.

والظاهر أنّ موضوع الكتاب في إثبات أفضليّة الأئمّة على الملائكة.

٢٧ ـ الردّ على أصحاب الحلّاج[٨٤] ـ مفقود.

وهو الردّ على آراء الصوفيّة.

٢٨ ـ الردّ على عثمانيّة الجاحظ[٨٥] ـ مفقود.

٢٩ ـ الردّ على الخالديّ في الإمامة[٨٦] ـ مفقود.

وهو أبو الطيّب محمّد بن إبراهيم بن شهابٍ الخالديّ؛ المتوفّى ٣٥١ هـ[٨٧] وكان فقيهًا متكلّمًا، وهو بغداديّ المذهب[٨٨].

٣٠ ـ الردّ على العتيقيّ في الشورى[٨٩] ـ مفقودٌ.

٣١ ـ الردّ على الكرابيسيّ في الإمامة[٩٠] ـ مفقودٌ.

استظهر الأُستاذ مارتن مكدرموت أنّ المراد به المحدّث والفقيه السنّيّ أبو

عليٍّ الحسين بن عليّ بن زيدٍ الكرابيسيّ المتوفّى ٢٤٨ هـ، نسب له ابن النديم كتاب (الإمامة)، وقال عنه: إنّه كان يبغض عليًا عليه السلام[٩١].

٣٢ ـ الرسالة إلى الأمير أبي عبد الله وأبي طاهرٍ ابني ناصر الدولة في مجلسٍ جرى في الإمامة[٩٢] ـ مفقود.

وهما ابنا ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان الحمدانيّ ملك الموصل، وناصر الدولة هو الأخ الأكبر لسيف الدولة الحمدانيّ.

٣٣ ـ رسالةٌ في عدم سهو النبيّ صلى الله عليه وآله.

لم يذكرها الشيخ الطوسيّ ولا النجاشيّ. ولٰكن ذكر له ابن شهر آشوب (الردّ على ابن بابويه) فيمكن اتّحادهما. وقد طُبعت هٰذه في المجلّد العاشر من سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد.

٣٤ ـ الرسالة الكافية في إبطال توبة الخاطئة.

٣٥ ـ رسالةٌ في معنى المولى.

انفرد بذكرها المحقّق الطهرانيّ باسم (مناظرة الشيخ المفيد مع الرجل البهشميّ)، طُبعت في المجلّد الثامن من السلسلة من إصدارات المؤتمر.

٣٦ ـ الرسالة المقنعة في وفاق البغداديّين من المعتزلة لما رُوي عن الأئمّة عليهم السلام[٩٣].

٣٧ ـ رسالةٌ إلى أهل التقليد[٩٤] ـ مفقود.

٣٨ ـ الزاهر في المعجزات[٩٥] ـ مفقود.

٣٩ ـ عقود الدين[٩٦] ـ مفقود.

وقد أشار إليه في (تصحيح الاعتقاد)، وأنّه ذكر فيه جملة رواياتٍ في توحيده ـ سبحانه ـ ونفي التشبيه عنه والتنزيه والتقديس[٩٧].

٤٠ ـ العمد في الإمامة[٩٨] ـ مفقود.

٤١ ـ عمدٌ مختصرة على المعتزلة في الوعيد[٩٩] ـ مفقود.

٤٢ ـ العيون والمحاسن[١٠٠] ـ مفقود.

وذكر الشيخ الطوسيّ وابن شهر آشوب كتابًا آخر هو (الفصول من العيون والمحاسن) وهو الآخر مفقود. وإنّما الموجود هو ما اختاره السيّد من (العيون والمحاسن) باسم (الفصول المختارة من العيون والمحاسن).

وقد أشار الشيخ المفيد في كتاب (الإفصاح) إلى ما يكشف عن طبيعة كتاب (العيون والمحاسن) الكلاميّة، وثمّة بحثٌ عند المحققين يدور حول اتّحاد (العيون والمحاسن) مع كتاب (الاختصاص)[١٠١]، وكتاب (العيون والمحاسن) قد وصل إلى السيّد ابن طاووسٍ في القرن السابع الهجريّ.

٤٣ ـ الغيبة.

وهي عبارةٌ عن أربع رسائل في الغيبة. وقد ذكر النجاشيّ للشيخ المفيد الجوابات في خروج الإمام المهديّ عجل الله فرجه، والظاهر أنّها غير هٰذه الرسائل موضوعًا.

وعلى كلّ حال فإنّ الرسالة الأولى مطبوعةٌ في المجلّد السابع من إصدارات المؤتمر. وطُبعت الثانية ثلاث مرّاتٍ، وكذٰلك الثالثة والرابعة.

٤٤ ـ شرح المنام.

لم يُذكر هٰذا في عداد مؤلّفاته. وإنّما هي مناظرةٌ في عالم المنام ناظر فيها حول آية الغار، وقصّها الشيخ المفيد على الشيخ أبي الحسن عليّ بن محمّد بن بنانٍ فرواها عنه ودوّنها. وقد طُبعت في المجلّد الثامن من سلسلة مصنّفات الشيخ المفيد.

٤٥ ـ الفصول من العيون والمحاسن[١٠٢].

ويرى صاحب (الذريعة)[١٠٣] أنّ هٰذا الكتاب غير (الفصول المختارة من العيون والمحاسن) الّذي اختاره السيّد المرتضى، وأنّه من تأليف الشيخ المفيد نفسه.

٤٦ ـ قضيّة العقل على الأفعال[١٠٤] ـ مفقود.

٤٧ ـ المسائل الجارودية.

٤٨ ـ كتاب الكامل في علوم الدين[١٠٥] ـ مفقود.

وقد ذكر الشيخ المفيد في (الفصول) بأنّه ذكر فيه عناوين كتب المتكلّمين الإماميّة الأوائل[١٠٦].

لم يذكره النجاشيّ ولا الشيخ الطوسيّ بهٰذا الاسم، ولٰكن ذكر النجاشيّ كتابين للشيخ المفيد قريبين من موضوعه وهما: (مسائل الزيديّة) و(مسألةٌ على الزيديّة). وقد جزم المحقّق الطهرانيّ باتّحاد الأُولى منهما مع المسائل الجارودية[١٠٧]. فقد جاء في أوّل هٰذه المسائل: «أمّا بعد فقد اتّفقت الشيعة العلويّة من الإماميّة والزيديّة الجارودية على أنّ الإمامة كانت عند وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام» وعناوينه: (قالت الجارودية وقالت الإماميّة)، وقد طُبع هٰذا الكتاب من قِبل المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد في المجلّد السابع من سلسلة إصداراته[١٠٨].

٤٩ ـ المسائل العشر في الغيبة أو الفصول العشرة في الغيبة.

ذكرها ابن شهر آشوب باسم (أجوبة المسائل العشر) وذكرها المحقّق الطهرانيّ بهٰذا الاسم في الميم[١٠٩]، وسُمّيت في مخطوطةٍ كُتبت في القرن السابع الهجريّ: (شرح الأجوبة عن المسائل في العشرة فصولٍ عمّا يتعلّق بمهديّ آل الرسول عليهم السلام).

وهي عشر مسائل حرّرها بعضهم، وسأل فيها الشيخ المفيد. ولمّا كانت هٰذه المسائل منسّقةً في عشرة فصولٍ، وكلّ مسألةٍ معنونة

بفصلٍ؛ فقد طُبعت لأوّل مرّةٍ في النجف باسم (الفصول العشرة في الغيبة). كما طُبعت في المجلّد الثالث من إصدارات المؤتمر[١١٠].

٥٠ ـ المسائل السرويّة[١١١].

وهي إحدى عشرة مسألةً عن:

١ ـ المتعة والرجعة.

٢ ـ الأشباح والذرّ وعالم الأرواح.

٣ ـ ماهيّة الروح.

٤ ـ ماهيّة الإنسان.

٥ ـ عذاب القبر.

٦ ـ حياة الشهداء.

٧ ـ المجبّرة.

٨ ـ اختلاف الروايات.

٩ ـ القرآن أهو ما بين الدفّتين؟

١٠ ـ نكاح عمر وأمّ كلثوم، وتزويج عثمان وزينب ورقيّة.

١١ ـ أصحاب الكبائر.

وقد طُبعت في المجلّد السابع من سلسلة مصنّفات الشيخ المفيد من إصدارات المؤتمر.

٥١ ـ جوابات أبي الليث الأوانيّ[١١٢].

المشتهرة بالمسائل العُكبريّة أو جوابات المسائل العُكبريّة. وتسمّى أيضًا بالمسائل الحاجبيّة. وهي إحدى وخمسون مسألةً كلاميّة. وقد طُبعت ضمن المجلّد السابع من سلسلة مصنّفات الشيخ المفيد.

٥٢ ـ مسألةٌ في النصّ الجليّ[١١٣].

وقد نشرها العلّامة محمّدحسن آل ياسين في سلسلة (نفائس المخطوطات) بهٰذا الاسم. وذكر ابن شهر آشوب من مصنّفات الشيخ المفيد (المسألة المقنعة في إثبات النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام). وذكر له النجاشيّ (المقنعة في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام).

وقد وصلتنا من كتب الشيخ المفيد مسألتان في النصّ على عليٍّ عليه السلام، فهل هما نفس ما ذكرهما النجاشيّ وابن شهر آشوب أو هما شيءٌ آخر غير الواصل إلينا؟

وهاتان الرسالتان هما:

٥٣ ـ مسألةٌ في النصّ على عليٍّ عليه السلام.

وقد صدرت في المجلّد السابع من سلسلة إصدارات المؤتمر.

٥٤ ـ مسألةٌ أخرى في النصّ على عليٍّ عليه السلام[١١٤].

وسُمّيت في مخطوطةٍ في مكتبة آية الله السيّد الحكيم (إبطال الشبهة) وفي أخرى (مناظرة الباقلّانيّ)، إذ كانت عبارةً عن مناظرةٍ

سأل فيها القاضي الباقلّاني الشيخ المفيد عن النصّ على إمامة الإمام عليٍّ عليه السلام، وقد طبعها المؤتمر في المجلّد السابع أيضًا.

٥٥ ـ مسألةٌ في الإرادة[١١٥].

وهي بحثٌ مختصرٌ حول إرادة الله سبحانه، وقد طُبعت في المجلّد العاشر من إصدارات المؤتمر.

٥٦ ـ مسألةٌ في وجوب الجنّة لمن تُنسب ولادته إلى النبيّ صلى الله عليه وآله [١١٦] ـ مفقود.

٥٧ ـ مسألةٌ في الأصلح[١١٧] ـ مفقود.

٥٨ ـ مسألةٌ في أقضى الصحابة[١١٨] ـ مفقود.

ويُحتمل اتّحاد هٰذه الرسالة مع الرسالة الموجودة في مكتبة السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) باسم (مسألةٌ في قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «عليٌّ أقضاكم»)[١١٩].

٥٩ ـ مسألة منع انشقاق القمر وتكليم الذراع[١٢٠] ـ مفقود.

٦٠ ـ مسألةٌ في رجوع الشمس[١٢١] ـ مفقود.

٦١ ـ المسألة على الزيديّة[١٢٢] ـ مفقود.

وقد تقدّم له المسائل الجارودّية أو الزيديّة.

٦٢ ـ مسألةٌ في عصمة الأنبياء عليهم السلام ـ مفقود.

وقد كانت نسخةٌ منه في مكتبة السيّد ابن طاووس (م ٦٦٤ هـ)، ولم يذكرها النجاشيّ والطوسيّ وابن شهر آشوب.

٦٣ ـ المسألة المقنعة في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام[١٢٣] ـ مفقود.

٦٤ ـ مسألةٌ في المعراج[١٢٤] ـ مفقود.

٦٥ ـ مسألةٌ في معنى «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى».

٦٦ ـ مسألةٌ في معنى قوله: «إنّي مخلّفٌ فيكم الثقلين»[١٢٥] ـ مفقود.

٦٧ ـ المجالس المحفوظة في فنون الكلام[١٢٦] ـ مفقود.

٦٨ ـ الكامل في علوم الدين[١٢٧] ـ مفقود.

تعرّض لذكره الشيخ المفيد في (تصحيح الاعتقاد)[١٢٨] ، و(الفصول المختارة)[١٢٩] و(الحكايات)[١٣٠].

٦٩ ـ الكلام في حدوث القرآن[١٣١] ـ مفقود.

٧٠ ـ الكلام في وجوه إعجاز القرآن[١٣٢] ـ مفقود.

٧١ ـ المنير في الإمامة[١٣٣] ـ مفقود.

٧٢ ـ الموضّح في الوعيد[١٣٤] ـ مفقود.

٧٣ ـ النكت الاعتقاديّة.

لم يرد في شيءٍ من المصادر المتقدّمة،

وإنّما نُسب للشيخ المفيد.

٧٤ ـ النكت في مقدّمات الأصول[١٣٥].

وهو غير النكت الاعتقاديّة، وثمّة كلامٌ في نسبته إلى الشيخ المفيد[١٣٦]. وقد طبعه المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد في المجلّد العاشر من سلسلة إصداراته.

٧٥ ـ النصرة لسيّد العترة في أحكام البغاة عليه في البصرة[١٣٧] ـ مفقودٌ.

وقد تناول فيه أحكام البغاة في حرب الجمل من الزاوية الكلاميّة والفقهيّة.

٧٦ ـ نقض الخمس عشرة مسألةً على البلخيّ[١٣٨] ـ مفقودٌ.

٧٧ ـ النقض على ابن قتيبة على الحكاية والمحكيّ[١٣٩] ـ مفقودٌ.

وسمّاه النجاشيّ (الردّ على القتيبيّ في الحكاية والمحكيّ)[١٤٠]. وابن قتيبة هو أبو محمّدٍ ابن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ اللغويّ الأديب.

والمحكيّ هو القرآن وحكايته تلاوته، وهو ما اشتهر في حينه عن جماعة قولهم لفظ القرآن مخلوق[١٤١].

٧٨ ـ نقض الإمامة على جعفر بن حرب[١٤٢] ـ مفقودٌ.

٧٩ ـ النقض على ابن عبّادٍ في الإمامة[١٤٣].

٨٠ ـ النقض على الجاحظ في فضيلة المعتزلة[١٤٤] ـ مفقودٌ.

٨١ ـ النقض على الطلحيّ في الغيبة[١٤٥] ـ مفقودٌ.

٨٢ ـ النقض على عليّ بن عيسى الرمّانيّ[١٤٦] ـ مفقودٌ.

٨٣ ـ النقض على القصيبيّ في الإمامة[١٤٧] ـ مفقودٌ.

وهو إبراهيم بن عليّ بن سعيد بن عليّ بن زوبعة أبو أسحاق القصيبيّ المعتزليّ البغداديّ.

٨٤ ـ النقض على الواسطيّ[١٤٨] ـ مفقودٌ.

ولعلّ المراد به محمّد بن زيدٍ الواسطيّ (م ٣٠٦ هـ) من تلامذة الجبّائيّ.

٨٥ ـ نقض فضيلة المعتزلة[١٤٩] ـ مفقودٌ.

٨٦ ـ نقض كتاب الأصمّ في الإمامة[١٥٠] ـ مفقودٌ.

وهو عبد الرحمٰن بن كيسان الأصمّ البصريّ المعتزليّ (م ٢٠٠ هـ).

٨٧ ـ نقض المروانيّة[١٥١] ـ مفقودٌ.

٨٨ ـ النقض على غلام البحرانيّ (علّام البحرانيّ) في الإمامة[١٥٢] ـ مفقودٌ.

٨٩ ـ نهج البيان عن سبل (سبيل)

الإيمان[١٥٣] ـ مفقودٌ.

٩٠ ـ نهج الحقّ[١٥٤] ـ مفقودٌ.

واحتمل المحقّق الطهرانيّ اتّحاده مع سابقه[١٥٥].

٨: مؤلّفاته الفلسفيّة

١ ـ جوابات الفيلسوف في الاتّحاد[١٥٦].

٢ ـ الكلام في أنّ المكان لا يخلو من متمكّن[١٥٧] ـ مفقودٌ.

٣ ـ الكلام على الجبّائيّ في المعدوم[١٥٨] ـ مفقودٌ.

٤ ـ الكلام في المعدوم[١٥٩] ـ مفقودٌ.

٥ ـ الكلام على الإنسان[١٦٠] ـ مفقودٌ. والظاهر أنّه في تحليل ماهيّة الإنسان.

٦ ـ مسألةٌ في ماهيّة الإنسان (المسألة الرابعة من المسائل السرويّة).

٧ ـ مسألةٌ في ماهيّة الروح (المسألة الثالثة من المسائل السرويّة).

ولا يخفى أنّ مباحث هٰذه الكتب كانت تصنّف في علم الكلام سابقًا، ولٰكنّها تدخل اليوم في الفلسفة، وإن كان البعض منها يشترك البحث فيها في كلا العلمين.

٩: مناظراته

اهتمّ الشيخ المفيد بموضوع المناظرة، وهي من دلائل تفوّقه العلميّ سيّما مع معتزلة بغداد المشهود لهم بدقّة النظر وقوّة الجدل، فقد ناظر مشايخ المعتزلة كأبي عمر الشطويّ والشيخ العرزالة وأبي الحسن الخيّاط وغيرهم[١٦١].

وهناك نحوٌ من أسلوب المناظرات الافتراضيّة سلكه الشيخ المفيد في كتابه (الإفصاح في إمامة عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام) حيث يتقمّص شخصيّة الخصم ويطرح شبهاتهم.

وهٰذا ـ عزيزي القارئ ـ نموذجٌ من مناظراته.

«قال رجلٌ من أصحاب الحديث ـ ممّن يذهب إلى مذهب الكرابيسي ـ للشيخ المفيد: ما رأيت أجسر من الشيعة فيما يدّعونه من المحال، وذٰلك أنّهم زعموا أنّ قول الله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين مع ما في ظاهر الآية من أنّها نزلت في أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله. وذٰلك أنّك إذا تأمّلت الآية من أوّلها إلى آخرها وجدتها منتظمةً لذكر الأزواج خاصّةً، ولم نجد لمن

ادّعوها له ذكرًا. فقال له الشيخ أيّده الله: أجسر الناس على ارتكاب الباطل وأبهتهم وأشدّهم إنكارًا للحقّ وأجهلهم، من قام مقامك في هٰذا الاحتجاج ودفع ما عليه الإجماع والاتّفاق، وذٰلك أنّه لا خلاف بين الأمّة أنّ الآية من القرآن قد يأتي أوّلها في شيءٍ وآخرها في غيره، ووسطها في معنًى وأوّلها في سواه، وليس طريق الاتّفاق في معنى إحاطة وصف الكلام بالآي.

وقد نقل المخالف والموافق أنّ هٰذه الآية نزلت في بيت أمّ سلمة ورسول الله في البيت ومعه عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقد جلّلهم بعباءةٍ خيبريّةٍ وقال: اللّهمّ هٰؤلاء أهلُ بيتي. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، فتلاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له أمّ سلمة: يا رسول الله ألست من أهل بيتك؟ فقال لها: إنّك إلى خيرٍ ولم يقل إنّك من أهل بيتي. حتّى روى أصحاب الحديث أنّ عمر سُئل عن هٰذه الآية فقال: سلوا عنها عائشة. فقالت عائشة: إنّها نزلت في بيت أختي أمّ سلمة فاسألوها عنها فإنّها أعلم بها منّي. فلم يختلف أصحاب الحديث من الناصبة ولا أصحاب الحديث من الشيعة في خصوصها في من عددناه، وحمل القرآن في التأويل على ما جاء به الأثر أولى من حمله على الظنّ والترجيم. مع أنّ الله – سبحانه – قد دلّ على صحّة ذٰلك بمتضمّن الآية، حيث يقول جلّ وعلا: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾، وإذهاب الرجس لا يكون إلّا بالعصمة من الذنوب؛ لأنّ الذنوب من أرجس الرجس، والخبر عن الإرادة هنا إنّما هو خبرٌ عن وقوع الفعل خاصّةً دون الإرادة الّتي يكون بها لفظ الأمر أمرًا، لا سيّما على ما أذهب إليه في وصف القديم بالإرادة، وأفرق بين الخبر عن الإرادة ها هنا والخبر عن الإرادة في قوله: (يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) وقوله: ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾، إذ لو جرت مجرًى واحدًا لم يكن لتخصيص أهل البيت بها معنًى؛ إذ الإرادة الّتي يقتضي الخبر والبيان يعمّ الخلق كلّهم على وجهها في التفسير ومعناها، فلمّا خصّ الله أهل البيت عليهم السلام بإرادة إذهاب الرجس عنهم دلّ على ما وصفناه من وقوع إذهابه عنهم، وذٰلك موجبٌ للعصمة على ما ذكرناه، وفي الاتّفاق على ارتفاع العصمة عن الأزواج دليلٌ على بطلان مقال من زعم أنّها فيهنّ.

مع أنّ من عرف شيئًا من اللسان وأصله، لا يرتكب هٰذا القول ولا توهّم صحّته؛ وذٰلك أنّه لا خلاف بين أهل العربيّة أنّ جمع المذكر بالميم

وجمع المؤنث بالنون، وأنّ الفصل بينهما بهاتين العلامتين، ولا يجوز في لغة القوم وضع علامة المؤنّث على المذكّر، ولا وضع علامة المذكّر على المؤنّث، ولا استعملوا ذٰلك في حقيقةٍ ولا مجازٍ، ولما وجدنا الله - سبحانه - قد بدأ في هٰذه الآية بخطاب النساء فأورد علامة جمعهنّ من النون في خطابهنّ فقال: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾، ثمّ عدل بالكلام عنهنّ بعد هٰذا الفصل إلى جمع المذكر فقال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، فلمّا جاء بالميم وأسقط النون علمنا أنّه لم يتوجّه هٰذا القول إلى المذكور الأوّل بما بيّنّاه من أصل العربية وحقيقتها، ثمّ رجع بعد ذٰلك إلى الأزواج فقال: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾.

فدلّ ذٰلك على إفراد من ذكرناه من آل محمّد ﷺ بما علّقه عليهم من حكم الطهارة الموجبة للعصمة وجليل الفضيلة.

وليس يمكنكم معشر المخالفين أن تدّعوا أنّه كان في الأزواج مذكورًا رجلٌ غير النساء، وذكرٌ ليس برجلٍ فيصحّ التعلّق منكم بتغليب المذكّر على المؤنّث إذا كان في الجمع ذكرٌ، وإذا لم يمكن ادّعاء ذٰلك وبطل أن يتوجّه إلى الأزواج، فلا غير لهنّ توجّهت إليه إلّا من ذكرناه ممّن جاء فيه الأثر على ما بيّناه»[١٦٢].

قائمة المصادر

١. ابن إدريس، محمّد، مستطرفات السرائر، تحقيق محمدمهدي الخرسان، العتبة العلويّة، ١٤٢٩.
٢. ابن العماد الحنبليّ، عبد الحيّ، شذرات الذهب، دار إحياء التراث، بيروت.
٣. ابن النديم، محمّد بن إسحاق، الفهرست، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧.
٤. ابن حجر، أحمد، لسان الميزان، مؤسّسة الأعلميّ، ط ٢، ١٣٩٠، لبنان.
٥. ابن داوود الحلّيّ، أبو محمّدٍ الحسن، رجال ابن داوود، النجف، دار المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٧٥.
٦. ابن شهرآشوب، محمّد بن عليّ، معالم العلماء، النجف، دار المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٨٠.
٧. ابن طاووس، عليّ، سعد السعود، منشورات الرضيّ، قمّ المقدسة، ١٣٦٣ ش.
٨. ابن طاووس، عليّ، نفس [فرج] المهموم، منشورات الرضيّ، قمّ المقدّسة، ١٣٦٣ ش.
٩. الأصفهانيّ، الميرزا عبد الله، رياض العلماء وحياض الفضلاء، قمّ المقدّسة، مطبعة الخيّام، ١٤٠١ هـ.
١٠. آقا بزرگ تهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت، دار الأضواء، ١٩٧٥.
١١. بحر العلوم، مهديّ، تحقيق محمّدصادق بحر العلوم، مكتبة الصادق، ١٣٦٣، طهران.
١٢. الخوئيّ، أبو القاسم، معجم رجال الحديث، قمّ، مركز نشر الثقافة الإسلاميّة في العالم، ١٣٧٢ هـ.

١٣. الذهبيّ، محمّد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تحقيق فؤاد سيّد، دار التراث العربيّ.
١٤. الطوسيّ، محمّد بن الحسن، الفهرست، إيران، مطبعة المكتبة المرتضويّة، ١٣٧٦ هـ
١٥. العلّامة الحلّيّ، حسن بن يوسف، خلاصة الأقوال في معرفة أحوال الرجال، قمّ، مؤسّسة نشر الفقاهة، ١٤١٧ هـ
١٦. القمّيّ، عبّاس، سفينة البحار، إيران، بنياد پژوهش¬هاى اسلامى آستان قدس رضوى، ١٣٧٥ هـ
١٧. المجلسيّ، محمّدباقر، بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٤١٣ هـ
١٨. المرتضى، الفصول المختارة، المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد، بلا تأريخ.
١٩. المرتضى، عليّ بن الحسين بن موسى، ديوان الشريف المرتضى، دار إحياء الكتب العربيّة.
٢٠. المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، تصحيح الاعتقاد، تحقيق حسين درگاهي، دار المفيد، ١٤١٤ هـ
٢١. مؤتمر الشيخ المفيد، مجموعة المقالات والرسالات، المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد.
٢٢. النجاشيّ، أحمد بن عليّ، رجال النجاشيّ، بيروت، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٣٧٥ هـ
٢٣. اليافعيّ، عبد الله، مرآت الجنان، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧.

الهوامش:

[١] ابن حجر، لسان الميزان ٥: ٤١٦
[٢] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٣٩٩
[٣] بحر العلوم، الفوائد الرجاليّة ٤: ١٠٨
[٤] ابن حجر، لسان الميزان ٥: ٣٦٨
[٥] ابن إدريس، السرائر (المستطرفات) ٣: ٦٤٨
[٦] ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ١١٢
[٧] الطبرسيّ، الاحتجاج ٢: ٤٩٥
[٨] الخوئيّ، معجم رجال الحديث ١٧: ٢٠٩
[٩] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٢
[١٠] الطوسيّ، الفهرست: ١٥٨
[١١] ابن النديم، الفهرست: ٢٤٧
[١٢] ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ١١٢
[١٣] الأصفهانيّ، رياض العلماء ٥: ١٧٧
[١٤] الذهبيّ، سِيَر أعلام النبلاء ١٧: ٣٤٤، نقلًا عن ابن أبي طيٍّ في (تاريخ الإماميّة)
[١٥] ابن حجر، لسان الميزان ٥: ٤١٦
[١٦] المفيد، أمالي المفيد: ٣٤٠؛ البغدادي، تاريخ بغداد ١١: ٣٠٢
[١٧] المفيد، أمالي المفيد: ٢، ٣، ١٧؛ البغداديّ، تاريخ بغداد ١٢: ٨١؛ النجاشيّ، رجال النجاشي: الرقم ٧
[١٨] المفيد، الأماليّ: ١٠١؛ البغداديّ، تاريخ بغداد ٣: ٢٦؛ النجاشيّ، رجال النجاشيّ: الأرقام ١٥٠، ١٠٤٩،

١٠٥٥؛ الطوسيّ، الفهرست: رقم ١٨٤ نقلًا عن مجموعة المقالات والرسالات ٩: ٨
[١٩] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ١٢٣. الرقم ٣١٨
[٢٠] المصدر السابق
[٢١] ورّام، الخواطر ونزهة النواظر ١: ٣٠٢
[٢٢] الطبرسيّ، خاتمة المستدرك ٣: ٥١٨؛ وانظر: الخرسان، مقدّمة تهذيب الشيعة
[٢٣] مجموعة المقالات والرسالات (سلسلة إصدارات المؤتمر العالميّ لألفيّة الشيخ المفيد) ٩: ١٠ (إطلالةٌ على حياة الشيخ المفيد). انظر للتفصيل عن أساتذته: الخزرجيّ، صفاء الدين، فقهاء الإماميّة، ج ٢، ص ٣٤٢
[٢٤] انظر للتفصيل عن تلامذته: الخزرجيّ، صفاء الدين، فقهاء الإماميّة، ج ٢، ص ٣٥٠
[٢٥] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٢٧٠، الرقم ٧٠٨
[٢٦] الأصفهانيّ، رياض العلماء ٤: ٢٣
[٢٧] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٣٩٨، الرقم ١٠٦٥
[٢٨] انظر: الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٣٨٦
[٢٩] الحنبليّ، شذرات الذهب ٣: ٢٨٣، في حوادث سنة ٤٩٩
[٣٠] المصدر السابق
[٣١] العلّامة الحلّيّ، الخلاصة: ٨٦
[٣٢] انظر: ابن داوود، رجال ابن داوود: ١٠٤
[٣٣] العامليّ، تذكرة المتبحّرين: ٩٠٣
[٣٤] ابن حجر، لسان الميزان ١: ٣٦، الرقم ١٠٦
[٣٥] الرازيّ، فهرست الشيخ منتجب الدين: ٦٦
[٣٦] الكراجكيّ، كنز الفوائد ٢: ٥٠؛ الطبرسيّ، الاحتجاج: ٤٩٩ ـ ٥٠٢
[٣٧] ابن حجر، لسان الميزان ٢: ٢٤٢، الرقم ١١١٨
[٣٨] المصدر السابق: ٢٦٧، الرقم ١١١٥
[٣٩] المجلسيّ، بحار الأنوار ١٠٧: ١٥٦
[٤٠] المفيد، الأمالي، بداية المجلس ١٧ و٢٠؛ وكذا في مستهلّ المجلس ١٨
[٤١] الطهرانيّ، الذريعة ١: ٢٤٦
[٤٢] الرازيّ، فهرست الشيخ منتجب الدين: ١٥٦
[٤٣] اسفنديار، تاريخ طبرستان: ١٠١
[٤٤] المفيد، الأمالي، مستهلّ المجالس ٤ ـ ٧، ١٧ ـ ٢١، ٢٦ ـ ٣١
[٤٥] النجاشيّ، رجال النجاشيّ، الرقم ١٠٦٧؛ الطهرانيّ، الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٦١ و٣٨٨ و٣٥٥ و٣٩٥
[٤٦] المرتضى، الفصول المختارة، ص ٧٨
[٤٧] المقالات والرسالات الرقم ١٨، الأنصاري الزنجانيّ، ٣٩، ص ٧
[٤٨] انظر: الخزرجيّ، فقهاء الإماميّة، ج ٢، ص ٣٥٣

[٤٩] نعمة، فلاسفة الشيعة.. حياتهم وآراؤهم: ٤٥٤
[٥٠] الذهبيّ، العبر ٣: ١١٤؛ الذهبيّ، دول الإسلام ١: ٢١٦
[٥١] البغداديّ، تاريخ بغداد ٣: ٢٣١؛ الذهبيّ، ميزان الاعتدال ٤: ٢٦
[٥٢] الذهبيّ، سِيَر أعلام النبلاء ١٧: ٣٤٥؛ اليافعيّ، مرآة الجنان ٣: ٢٨
[٥٣] الطوسيّ، الفهرست: ١٥٧
[٥٤] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٣٩٩
[٥٥] المصدر السابق، ٤٠١
[٥٦] المصدر السابق، ٤٠٠
[٥٧] المصدر السابق
[٥٨] ابن طاووس، سعد السعود: ١١ و١١٦
[٥٩] المجلسيّ، بحار الأنوار ٥٣: ٩٣
[٦٠] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٣٩٩
[٦١] الطوسيّ، الفهرست: ١٥٨
[٦٢] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠١
[٦٣] المصدر السابق، ٤٠٠
[٦٤] المرتضى، الفصول العشرة: ١٢٤
[٦٥] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠١
[٦٦] المصدر السابق، ٤٠٠
[٦٧] المصدر السابق، ٤٠١
[٦٨] المصدر السابق
[٦٩] ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ١١٤
[٧٠] المرتضى، الفصول المختارة: ١٥٩ و١٦٧
[٧١] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٠
[٧٢] ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ١١٤
[٧٣] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٠
[٧٤] المصدر السابق، ٤٠٢
[٧٥] المصدر السابق، ٤٠٠
[٧٦] المصدر السابق
[٧٧] انظر: مجموعة المقالات والرسالات ١: ٢٥٠
[٧٨] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٢
[٧٩] المصدر السابق
[٨٠] المصدر السابق، ٢٠١

[٨١] المصدر السابق، رقم ١٠٢٠
[٨٢] المصدر السابق، ٤٠٠
[٨٣] المصدر السابق: ٤٠٢
[٨٤] المصدر السابق: ٤٠١
[٨٥] المصدر السابق: ٣٩٩
[٨٦] المصدر السابق: ٤٠١
[٨٧] ابن النديم، الفهرست: ١٧٤
[٨٨] مارتن، نظريّات علم الكلام عند الشيخ المفيد: ٦٦
[٨٩] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠١
[٩٠] المصدر السابق: ٤٠٠
[٩١] ابن النديم، الفهرس: ١٧٤
[٩٢] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٢
[٩٣] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٠
[٩٤] المصدر السابق
[٩٥] المصدر السابق: ٤٠١
[٩٦] ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ١١٤
[٩٧] المفيد، تصحيح الاعتقاد: ٥٦
[٩٨] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٢
[٩٩] المصدر السابق
[١٠٠] المصدر السابق: ٣٩٩
[١٠١] انظر: مارتن، نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد: ٥٧، ومجموعة المقالات والرسالات ٩: ١٤٢
[١٠٢] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٣٩٩
[١٠٣] الطهراني، الذريعة ١٦: ٢٤٥
[١٠٤] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠١
[١٠٥] ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ١١٤
[١٠٦] المرتضى، الفصول المختارة: ٢٨٤
[١٠٧] الطهرانيّ، الذريعة ٢٠: ٣٤٢ و٣٥١
[١٠٨] انظر: مجموعة المقالات والرسالات ١: ٢٧٤
[١٠٩] الطهراني، الذريعة ٢٠: ٣٥٨
[١١٠] مجموعة المقالات والرسالات ١: ٢٨٠
[١١١] ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ١١٣
[١١٢] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٠

[١١٣] المصدر السابق: ٤٠١
[١١٤] المصدر السابق: ٤٠٠
[١١٥] المصدر السابق: ٣٩٩
[١١٦] المصدر السابق: ٤٠٢
[١١٧] المصدر السابق: ٣٩٩
[١١٨] المصدر السابق: ٤٠١
[١١٩] ابن طاووس، فرج المهموم: ٥٣
[١٢٠] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٢
[١٢١] المصدر السابق: ٤٠٢
[١٢٢] المصدر السابق: ٤٠٠
[١٢٣] المصدر السابق: ٤٠٢
[١٢٤] المصدر السابق: ٤٠٠
[١٢٥] المصدر السابق: ٤٠١
[١٢٦] المصدر السابق: ٤٠٠
[١٢٧] المصدر السابق: ٤٠١
[١٢٨] المفيد، تصحيح الاعتقاد: ٧٢
[١٢٩] المرتضى، الفصول المختارة: ٧٥
[١٣٠] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠١
[١٣١] المصدر السابق
[١٣٢] المصدر السابق: ٤٠٠
[١٣٣] الطوسي، الفهرست: ١٥٨
[١٣٤] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٣٩٩
[١٣٥] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٣٩٩
[١٣٦] المصدر السابق: ٤٠٢
[١٣٧] المصدر السابق
[١٣٨] المصدر السابق: ٤٠٠
[١٣٩] الطوسي، الفهرست: ٢٣٩
[١٤٠] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠١
[١٤١] انظر: مجموعة المقالات والرسالات ١: ٣٠٦
[١٤٢] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٠
[١٤٣] المصدر السابق
[١٤٤] المصدر السابق

[١٤٥] المصدر السابق
[١٤٦] المصدر السابق: ٣٩٩
[١٤٧] المصدر السابق: ٤٠١
[١٤٨] المصدر السابق: ٤٠٠
[١٤٩] المصدر السابق: ٣٩٩
[١٥٠] المصدر السابق: ٤٠٠
[١٥١] المصدر السابق: ٣٩٩
[١٥٢] المصدر السابق: ٤٠١
[١٥٣] المصدر السابق: ٤٠٢
[١٥٤] ابن طاووس، اليقين: ١٧٤ و٤٥٧
[١٥٥] الطهرانيّ، الذريعة ٢٤: ٤١٤
[١٥٦] النجاشيّ، رجال النجاشيّ: ٤٠٠
[١٥٧] المصدر السابق: ٤٠٢
[١٥٨] المصدر السابق: ٤٠٠
[١٥٩] المصدر السابق
[١٦٠] الطهرانيّ، الذريعة ٢: ٣٨٩
[١٦١] المرتضى، العيون والمحاسن، ص ٧ و٤٥ و٤٩ و٧٠ و٧٨ و٨٨ و٩٤ و١٠٣
[١٦٢] المرتضى، الفصول المختارة: ٢٩

آية الله الدكتور عبد الهادي الفضلي رحمه الله
باحث ومفكر إسلامي

الشيخ المفيد رحمه الله
مؤسس المدرسة الأصوليّة الإماميّة(*)

من الطبيعي أن لا يختلف علم الفقه الإسلامي عن سواه من العلوم الأخري، فيتطور كما تطورت، وتتكون فيه مدارس كما تكونت فيها.

و لعل الفارق بينه وبين الكثير منها تعدد المدارس في كل من الطائفتين الشهيرتين: الشيعة، وأهل السنّة والجماعة.

فقد كانت هاتان الطائفتان في بدء انبثاقهما في القرن الأول الهجري بمثابة مدرستين، ثم وبفعل عوامل مختلفة تحولتا إلي طائفتين، وكان لكل طائفة منهما مدارسها.

و الفارق بين مدارس الطائفة منهما والأخري أنّها عند أهل السنّة بدأت بمدرسة الرأي، وكان رائدها ورئيسها الخليفة عمر بن الخطاب، وبعد وفاته وتبريز ابنه عبد اللّه فقيها من فقهاء المسلمين المشار إليهم تركزت علي يديه مدرسة الحديث، وسارت المدرستان جنبا إلي جنب، واتخذت مدرسة الرأي الكوفة مركزا لها عن طريق عبد اللّه بن مسعود الذي كان يعد أبرز تلامذة عمر بن الخطاب، وأبرز من تبنّي منهج وفكر مدرسة الرأي.

و من أشهر أعلام هذه المدرسة في الكوفة ابن أبي ليلي، وابن شبرمة.

و أخذت طابعها الواضح، وراحت تضع بصماتها علي الكثير من مراكز الدراسات الفقهية الإسلامية

علي يد إمام المذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي.

أمّا مدرسة الحديث فاتخذت من المدينة المنوّرة مركزاً لها، واشتهر من أعلامها الفقهاء السبعة:

١ـ سعيد بن المسيب.

٢ ـ عروة بن الزبير.

٣ ـ أبو بكر بن عبد الرحمان المخزومي.

٤ ـ عبيد الله بن عبد اللّه.

٦ ـ خارجة بن زيد بن ثابت.

٧ ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر.

٨ ـ سليمان بن يسار.

و قد قيل في منهجهم وتعداد أسمائهم:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر روايتهم
عن العلم ليست خارجه فقل: هم عبيد اللّه،
عروة، قاسم سعيد، أبو بكر، سليمان، خارجه

و انتهت رئاسة هذه المدرسة إلي امام المذهب مالك بن أنس، وعن طريقه انتشرت في البلدان الإسلامية.

و كما رأينا، منذ البدء، وعلي عهد الصحابة، كانت المدرستان معا في زمن واحد، وسارتا تمونان الفقه السنّي في هدي منهجيهما بالفكر الفقهي الإسلامي من الحديث، أو منه ومن الرأي.

بينما كان التطور عند الشيعة، أو قل: في مذهب أهل البيت تطورا طوليا أو امتداديا، وكالتالي:

١ ـ فأوّل ما كان من مدارسه مدرسة النص التي تزعمها ورادها الامام علي عليه السلام، وكانت تعد المقابل لمدرسة الرأي، حيث كان المصدر فيها الكتاب والسنّة فقط، والاجتهاد الفقهي فيها محوره نصوصهما، ويتحرك في إطار فهمها لاستفادة الحكم.

في الوقت الذي كان مصدر مدرسة الرأي: الكتاب والسنّة، مضافا اليهما الرأي، وكان الاجتهاد الفقهي فيها يتحرك داخل إطار النصوص للقرآن والسنّة وخارجه في هدي ما يقدّره رأي المجتهد من المصلحة والمفسدة.

٢ – وفي عهود الأئمة أبناء علي عليهم السلام حيث انتشر التشيع، وكثر عدد الشيعة، وتوزع الرواة عن الأئمة في مختلف البلدان الإسلامية، نشأ ما أسميته بمدرسة الفقهاء الرواة، تلكم المدرسة التي كان علماؤها من أمثال: زرارة بن أعين، وأبي حمزة الثمالي، وأبان بن تغلب، ومحمد بن مسلم، ويونس بن عبد الرحمان، يجتهدون في فهم دلالة الحديث، وفي تطبيق الأحاديث التي هي بمثابة قواعد عامة

علي مواردها.

و قد أغنت هذه المدرسة الفكر الفقهي الشيعي بالحديث الفقهي، حيث خلفت أربعمائه أصل، وأكثر من هذا الكم من الكتب الأخري.

٣ - وامتدت هذه المدرسة حتي نهاية القرن الثالث الهجري، وفي القرن الرابع الهجري تمثلت في ما أسميته بمدرسة الفقهاء المحدّثين.

و يمكننا أن نطلق علي فكرها الفقهي اسم الفقه المأثور، لأنّ أعلامها كانوا يفتون بالمأثور، أي يتخذون من عبارة ومتن الحديث فتوي يلقون بها الي مقلديهم.

و كان زعيما هذه المدرسة في نهاية الغيبة الصغري، وبداية الغيبة الكبري المحدّثين الصدوقين اللذين أصدقا وصدّقا المنهج المشار اليه في الرسالة المسماة ب (الشرائع) للصدوق الأب علي بن الحسين بن بابويه القمي، وكتاب (من لا يحضره الفقيه) للصدوق الابن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.

و تركزت هذه المدرسة في (قم)، وعرف أصحابها في الفقه الإمامي بلقب (القميين)، ونسبت إليهم فتاوي تفرّدوا بها.

٤ - وفي هذه الفترة، فترة الانتقال للإمامية من عهد الحضور الي عهد الغيبة، كان بدء استقلال الفقهاء الاماميين بمهمة الزعامة للشيعة نيابة عن الإمام المهدي عليه السلام، وبوظيفة الافتاء دون أن يكون هناك لقاء بالإمام المهدي لأخذ الحكم الشرعي منه.

إنّ هذا الاستقلال فرض عليهم أخذ الأهبة الكافية والاستعداد الوافي للقيام الكامل بالمسؤولية المناطة بهم، فانتهي مركز قم العلمي الي ما أشرت اليه من الفقه المأثور، وهو قد يقابل ما عرف عند أهل السنّة بمدرسة الحديث، وانبثق في مركز بغداد العلمي، وعلي يدي القديمين ابن أبي عقيل، وابن الجنيد، شيء من استخدام الرأي، وربما كان للأجواء العلمية في بغداد آنذاك، حيث كانت الامتداد الطبيعي لمركز الكوفة العلمي، تأثير عليهما، بغية الإعداد لهذا الاستقلال الذي أشرت اليه، فجاء منهما في الفكر والمنهج ما يشبه الموجود في مدرسة الرأي عند أهل السنّة، فقد عرف عن ابن الجنيد استخدامه القياس، ذلك الاستخدام الذي دفع غير واحد من علمائنا للافتاء بالمنع من الرجوع الي مؤلّفاته لما فيها من نتائج أملاها عليه قياسه، واستناده إلي طريقة الرأي.

فأصبح في هذه الآونة القصيرة من الزمن عند الإمامية ما يماثل أو يقارب ما عند أهل السنّة من وجود مدرستين: مدرسة الحديث ومدرسة الرأي، الأولي مركزها في قم، والثانية في بغداد.

٥ - ولعل من وفاء وسخاء المناسبة أن يزور الشيخ الصدوق بغداد في عصر الشيخ ابن الجنيد، ويقوم بالتدريس والتحديث، ويحضر حلقة درسه، وتحت منبره شيخنا المعظم المحتفي بذكراه الألفية الشيخ المفيد، فتصب مدرسة الفقهاء المحدّثين في حوزته.

و في الوقت نفسه كان الشيخ المفيد قد تتلمذ علي يدي اليخ ابن الجنيد، فهضم وتمثل منهج وفكر مدرسة القديمين.

و لأن الشيخ المفيد كان حديد الذهن، شديد الذكاء، عقلاني التفكير، نزّاعا - وبقوة - الي أن يترسم فقه أهل البيت طريقه في وضوح ونقاء، مزج بين المدرستين، واستخلص الزبد من مخيضهما، فخرج من بينهما بما أطلقت عليه اسم (المدرسة الأصولية)، حيث وضع - رضوان اللّه عليه - الأصول التي جمعت بين النقل والعقل، فأخذ من هذه وتلك، في ضوء ما استهداه من معطيات الشرع الحنيف.

و تمثل عمله لارساء قواعد المدرسة الأصولية بالتالي:

١ - تأليفه في أصول الفقه:

فقد ألّف في أصول الفقه الذي هو بمثابة المنهج العلمي للبحث الفقهي والاجتهاد الشرعي، ألّف كتابه المعروف بـ (التذكرة) والذي اختصره تلميذه الشيخ أبو الفتح الكراجكي، وأودعه كتابه الموسوم بـ (كنز الفوائد)، المطبوع أكثر من مرة، ثم نشر مستقلا من قبل مركز الدراسات والبحوث العلمية العالية ببيروت سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

و هو - في حدود ما وقفت عليه في فهارس الكتب المطبوعة - أوّل كتاب في أصول الفقه يضم بين دفتيه جميع مباحث أصول الفقه المعروفة آنذاك، ولكن بشكل مختصر، فقد ذكر من المؤلّفات في أصول الفقه قبل الشيخ المفيد أمثال كتاب (الألفاظ) لهشام ابن الحكم، وهذا الكتاب فيما إخال أنّه ليس في أصول الفقه لعدم وصول شيء من محتوياته يشير الي هذا، ولأنّ عنوان (الألفاظ) من العناوين المستعملة قديما في علم المنطق، وفي الفلسفة، ويراد به المصطلحات المنطقية أو الفلسفية، ولأنّ هشاما عرف بتخصصه بالحكمة، فمن المظنون قويا أنّه في مصطلحات الحكمة.

يضاف إليه أنّ الشيعة في عهد هشام لم يكونوا بحاجة ماسة لأصول الفقه لوجود الأئمة بين ظهرانيهم، ويسر الرجوع اليهم، وكل الذي كانوا بحاجة إليه بعض القواعد العامة، وبخاصة ما يرتبط بتقييم الراوي وتعارض الروايتين، وأمثال هذه، فلا إخال أنّ هشاما وهو يعلم هذا يقوم بوضع شيء في الأصول، ودون أن يضمنه أحاديث عن الأئمة تعرب عن القواعد الأصولية، ولو اشير فيه إلي ذلك لنقل عنه لأهمية الموضوع.

و ذكرت أيضا كتب أخري في بعض موضوعات من أصول الفقه أمثال كتب أبي سهل اسماعيل بن علي النوبختي من القرن الثالث الهجري، وهي:

- الخصوص والعموم.
- ابطال القياس.
- نقص اجتهاد الرأي.

و كتب الحسن بن موسي النوبختي، وهي:

- خبر الواحد والعمل به.
- الخصوص والعموم[1].

و هذا - كما تري - يعني أنّ الشيخ المفيد أوّل من قام بتدوين كامل لعلم أصول الفقه.

و لمسؤوليته في تكوين المدرسة الأصولية التي تحمّلها أثر واضح في هذا.

٢ - تأليفه في المتن الفقهي:

فقد ألّف فيه رسالته المسمّاة بـ (المقنعة)، وهي مجموعة فتاواه لمقلديه، ولم يلتزم فيها بمتون وعبارات ونصوص الأحاديث، وإنّما كانت من تعبيره وباسلوبه الخاص.

و هو يهدف بهذا الي إنهاء ما التزمت به مدرسة الفقهاء المحدّثين من الفقه المأثور أو الافتاء بالمأثور.

و هي أوّل رسالة - في حدود اطلاعي - تؤلّف بهذا الطريقة التي لم تلتزم الافتاء بالمأثور.

٣ - تأليفه في نقد الحديث:

حيث ألّف فيه كتابه المذكور اسمه في قائمة مؤلّفاته، وهو (الكلام في فنون الخبر المختلف بغير أثر).

و من عنوان الكتاب يفهم أنّه يريد أن يلمس أهل الحديث أنّ في المرويات مختلقات، فلا بد من تلمس الطريق الي نقد الحديث، والتوقف عن التطرف في الافراط بالعمل به دونما تأكد من صدوره عن المعصوم.

و ألّف فيه أيضا كتابه الآخر، والمذكور عنوانه في قائمة مؤلّفاته أيضا، وهو (مقابس الأنوار في الرد علي أهل الأخبار).

و عنوانه صريح في تحديد موقفه من الافراط في الأخذ بالحديث.

٤ - تأليفه في نقد اجتهاد الرأي والقياس:

فقد ذكر في قائمة مؤلّفاته الاسمان التاليان:

- كتاب النقض علي ابن الجنيد في اجتهاد الرأي.

- مسألة القياس.

٥ - تدريسه الفقه وأصوله:

و كما رأينا أنّ المؤلّفات المذكورة أسماؤها في أعلاه كان لها الدور الكبير في التخفيف من ثقل مدرسة المحدّثين، ومن ثقل مدرسة القديمين، لئلاّ يكون في البين منهجان وخطان متعارضان أو متوازيان.

و قد استطاعت أن تحقق أهدافها بتدعيمه لها من خلال تدريسه للفقه وأصوله.

٦ - تربيته لتلامذته علي الالتزام بخط مدرسته:

و من أبرز هؤلاء الذين أكد وركز علي تربيتهم: الشريف المرتضي والشيخ الطوسي.

و قد رأينا أثر تربيته في كتابيهما الكبيرين في أصول الفقه (الذريعة) و(العدّة)، فقد بنيا علي ما أسس أستاذهما المفيد في أصول الفقه تأليفا وتدريسا.

و بهما - أعني الذريعة والعدّة - تركز أصول الفقه، وهيمن علي الجو العلمي الشرعي، واستقطب حلقات الدرس الفقهي.

و صارا المصدرين الأساسيين اللذين رجع اليهما كل من ألّف في أصول الفقه من العلماء من تلامذة السيد والشيخ، ومن جاء بعدهم.

٧ - تكيون بغداد مركزا علميا للإمامية:

و بفضل جهود الشيخ المفيد، وعلاقته بالحكام من آل بويه استطاع أن يكوّن من بغداد مركزا علميا للفقه الامامي استقطب وجلب الطلاب من كل بلاد المسلمين، وازدهر بما تفوّق به علي ما سواه من مراكز بالنتاج الفكري الجديد في الفقه وأصوله، والحديث ورجاله، والعقيدة ومقالاتها، وما الي هذه.

٨ - فتح الفروع العلمية:

فقد ذكر تاريخيا أنّ الشيخ المفيد وتلامذته،

وبخاصة الشريف المرتضي والشيخ الطوسي، عملوا علي فتح فروع علمية لمركز بغداد.

و من أهم هذه الفروع مركز حلب العلمي الذي أدرا الحركة العلمية فيه القاضيان ابن البراج والديلمي، وكان من أعلامه بنو زهرة، فقد أسهم هذا المركز اسهاما ملحوظا في تركيز المدرسة الأصولية[٢].

٩ - توسيع نطاق المرجعية:

و لأجل أن يرسّخ الشيخ المفيد أسس مدرسته الأصولية عمل علي توسيع مسؤوليات المرجعية بما يشمل الافتاء والتدريس وادارة شؤون التعليم الفقهي باقامة منشآته والصرف علي طلابه ومختلف احتياجاته واحتياجاتهم، وتعيين الوكلاء في المناطق وايفاد المبلغين، ونصب القضاة في البلدان، وجباية الأموال الشرعية، وتعهد شؤون الشيعة بخاصة والمسلمين بعامة في اطار التوجيه الي الصالح، والدفاع عن حقوقهم أمام الحكام والموظفين من قبلهم.

و هو عامل مهم في نشر الفكرة وتوطيد المبدأ.

و بتأثير هذه الأعمال حقق الشيخ المفيد النجاح لمدرسته، واستطاع أن يجعلها الوريث السليم السوي لمدرسة المحدّثين ومدرسة القديمين في الهيمنة علي مراكزهما أيضا.

و أهم وأبرز معالم مدرسة الشيخ المفيد الأصولية هي:

١ - تربيع مصادر الفقه

فقد ذكر الشيخ المفيد في كتابه (أصول الفقه) منها:

- الكتاب.
- السنّة.
- حديث الأئمّة.

و أشار فيه إلي أهمية العقل، وإلي مصدريته ومصدرية الاجماع في كتب أخري له - كما سيأتي.

و ذكر تلميذاه المرتضي والطوسي في (الذريعة) و(العدّة):

- الكتاب.
- السنّة.
- الإجماع.

و أشار الشريف المرتضي إلي مصدرية العقل في احدي رسائله[٣].

٢ - توثيق السنّة

و ذلك بلزوم دراسة السند، كما هو واضح في عدّة الشيخ الطوسي في مبحث خبر الواحد.

٣ - استخدام القواعد الأصولية

في دراسة دلالات الألفاظ لاستفادة الحكم الشرعي من نصوص القرآن والحديث، وفي بيان وظيفة المكلّف عند الشك في الحكم.

تري هذا مجموعا ومتفرقا في مؤلّفات المدرسة في تلكم الحقبة من الزمن.

٤ - اعتماد دراسة رجال الحديث

و تمثل هذا في مؤلّفات الشيخ الطوسي: الاختيار والأبواب والفهرست، وفي كتاب معاصره في الزمن ومزامله في الدرس الشيخ أبي العباس النجاشي.

٥ - اعتماد طريقة الاستدلال الفقهي

و بدأ هذا في كتاب (المبسوط في فقه الإمامية) للشيخ الطوسي.

و بعد هذا التعريف الموجز لعمل الشيخ المفيد في تأسيس المدرسة الأصولية، والتي عليها مدارس الدرس والاجتهاد منذ عهده حتي الآن، من المفيد أن أذكر بعض النقول من كتبه التي تشير الي شيء مما تقدم - وهو مما زودتني به مشكورة ومقدرة لجنة هذه الذكري الألفية الكريمة - وهي:

١ - نص منقول من رسالته (جوابات المسائل السروية) من ص (٢٢٢) إلي ص (٢٢٤) ينقد فيه طريقة شيخه أبي جعفر الصدوق وأتباعه من أصحاب الحديث، وطريقة شيخه ابن الجنيد، ثم يبين طريقته التي شرعها مستفيدا إياها من واقع الموروث الشرعي وخطوات التعامل معه، وهو:

«لا يجوز لأحد من الخلق أن يحكم علي الحق، فما وقع فيه الاختلاف من معني كتاب أو سنة أو مدلول دليل عقلي لا يعمل به إلاّ بعد احاطة العلم بذلك، والتمكن من النظر المؤدي إلي المعرفة، فمتي كان مقصرا عن علم طريق ذلك فليرجع إلي من يعلمه، ولا يقول برأيه وظنّه، فإن عوّل علي ذلك فأصاب الاتفاق لم يكن مأجورا، وإن أخطأ الحق فيه كان مأزورا.

و الذي رواه ابو جعفر ﷺ فليس يجب العمل بجميعه إذا لم يكن ثابتا من الطرق التي تعلّق بها قول الأئمّة عليهم السلام إذ هي أخبار آحاد لا توجب علما ولا عملا،

و روايتها عمّن يجوز عليه السهو والغلط.

و انّما روي أبو جعفر ﷺ ما سمع، ونقل ما حفظ، ولم يحسن العدة في ذلك.

و أصحاب الحديث ينقلون الغث والسمين، ولا يقتصرون في النقل علي المعلوم، وليسوا

بأصحاب نظر وتـفتيش، ولا فـكر فيمـا يروونـه وتميز، فأخبارهم مختلفة لا يتميز منها الصحيح من السقيم إلاّ بنظر في الأصول، واعتماد النظر الذي يوصل إلي العلم بصحة المنقول.

فأمّا كتب أبي علي بـن الجنيـد فقـد حشـاها بأحكام عـمل فـيها علي الظنّ، واسـتعمل فيهـا مذهب المخالفين، والقياس الرذل، فخلـط بـين المنقول عن الأئمّة عليهم السلام، وبـين مـا قالـه برأيـه، ولـم يفـرد أحـد الصـنفين مـن الآخـر، ولـو أفـرد المنقور من الرأي لم يكن فيـه حـجّة لأنـّه لـم يـعتمد في النقـل المتـواتر مـن الأخـبار، وإنـّما عـوّل علي الآحاد.

و إن كـان فـي جملـة مـا نقـل غيـره مـن أصحاب الحديث ما هو معلوم (إلاّ أنّه لم) يتميـز لـه ذلـك، لعـدولهم عـن طريـق النظـر فـيه، وتـعويلهم عـلي النقـل خاصـة، والسـماع مـن الرجال، والتقليد دون النظر والاعـتبار.

فـهذا ما عندي فـي الـذي تضـمّنته الكتـب للشيخين المذكورين في الحـلال والحـرام مـن الأحكام.

و للشيعة أخبار في شرائع مجمع عليها مـن عـصابة الحـق، ومختلف فيهـا، للعاقـل المتـدبر أن يأخـذ بـالمجمع عليهـا، كمـا أمـر بـه الإمـام الصادق عليه السلام، ويقف فـي المختلـف فيـه مـا لـم يعلم حجة في أحد الشيئين منه، ويرده إلـي مـن هـو أعـلم مـنه، ولا يقنع منه بالقيـاس فيـه دون البيان علي ذلك والبرهان، فانّه يسلم بذلك مـن الخـطأ في الدين، والضلال إن شاء اللّه.

و قد أجبت عن كثير مـن الأخبـار المختلفـة فـي مسـائل ورد علـي بعضـها مـن نـيشابور، وبـعضها مـن الموصـل، وبعضـها مـن فـارس، وبعضها من ناحية تعـرف بمازنـدران، وكـل ذلـك تـتضمّن مـسائل مـختلفة جـاءت فيهـا الأخبـار عن الصادقين عليهما السلام.

و أودعت فـي كتـاب (التمهيـد) أجوبـة عـن مـسائل مـختلفة، جـاءت فيهـا الأخبـار عـن الصادقين عليهما السلام، وأفتيت بما يجب العمـل عليـه من ذلك بدلالة لا يـطعن فـيها، وجمعت معـاني كثيرة من أقاويل الأئمـة عليهم السلام، يظـن كثيـر مـن الناس أنّ مـعانيها تـتضاد، ويثبـت اتفاقهـا فـي المعنـي، وأزلـت شـبهات المستضـعفين فـي اختلافها.

و ذكرت مثل ذلك في كتاب (مصابيح النـور فـي علامات أوائل الشهور).

و شرعت طرقا يوصل فيها إلي معرفة الحـق فيما وقع فيه الاختلاف بـين أصـحابنا مـن جهة الأخبار.

و أجبت عن المسائل التي كان ابـن الجنيـد

جمعها وكتبها إلي أهل مصر، ولقبها ب (المسائل المصرية)، وجعل للأخبار فيها أبوابا، وظن أنّها مختلفة في معانيها، ونسب ذلك إلي قول الأئمة عليهم السلام فيها بالرأي، وأبطلت ما ظنّه في ذلك وتخيله، وجمعت بين جميع معانيها حتي لم يحصل فيها اختلاف... فمن ظفر بهذه الأجوبة، وبانصاف قرأها، وفكر فيها فكرا شافيا، سهل عليه معرفة الحق في جميع ما يظن انّه مختلف، وتيقن ذلك مما يختص بالأخبار المروية عن أئمتنا عليهم السلام...».

٢ - نص منقول من رسالته (جوابات المسائل الصاغانية) ص ١٠ يشير فيه إلي طريقته في الجمع بين النقل والعقل، وهو:

«إنّا نقول في الشريعة ما يوجب اليقين منها والاحتياط للعبادات، نعوّل علي الحكم في الأشياء بما يقتضيه الأصل إن كان يدل عليه داليل حظر أو إباحة من طريق السمع أو العقل».

٣ - نص منقول من كتاب (التذكرة) في أصول الفقه - وهو الأصل الذي اختصر منه كتابه (أصول الفقه) المقدم ذكره - ص ١٩٣ يحد ويحدد فيه الاجماع عند الامامية، وهو:

«و ليس في اجماع الأمّة حجّة من حيث كان اجماعا، ولكن من حيث كان فيها الإمام المعصوم، فإذا ثبت انّها كلها علي قول، فلا شبهة في أنّ ذلك القول قول المعصوم، إذ لو لم يكن كذلك كان الخبر عنها بإنّها مجمعة باطلا، فإنّما تصح الحجة بإجماعها لهذا الوجه».

٤ - نص منقول من رسالته (جوابات أهل الموصل في العدد والرؤية) ص ٢٥ - ٢٦ يوضح فيه المقصود من مصطلح (العامّة) المذكور في الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام في الترجيح بين الحديثين المتعارضين، وهو:

«و الحديث المعروف قول أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: إذا أتاكم عنّا حديثان مختلفان فخذوا بما وافق منهما القرآن، فإن لم تجدوا لهما شاهدا من القرآن فخذوا بالمجمع عليه، فإنّ المجمع عليه لا ريب فيه، فإن كان فيه اختلاف وتساوت الأحاديث فيه، فخذوا بأبعدهما من قول العامّة.

و الحديث في العدد يخالف القرآن فلا يقاس بحديث الرؤية الموافق للقرآن، وحديث الرؤية قد أجمعت الطائفة علي العمل به فلا نسبة بينه وبين حديث يذهب إليه الشذاذ، وهو موافق لمذهب أهل البدع من الشيعة والغلاة».

٥ - نص منقول من كتاب (أوائل المقالات) ص ١٥٤ يشير فيه إلي وفاء النصوص المروية عن أهل البيت عليهم السلام بتزويد الفقيه بالأحكام لكل الوقائع، فلا يحتاج معها إلي الرأي والقياس وأمثالهما، وهو:

«أقول: إنّ الاجتهاد والقياس في الحوادث لا يسوغان للمجتهد ولا للقائس، وإنّ كل حادثة ترد فعليها نص من الصادقين عليهم السلام يحكم به فيها ولا يتعدي إلي غيرها، بذلك جاءت الأخبار الصحيحة والآثار الواضحة عنهم عليهم السلام، وهذا مذهب الإمامية خاصة، ويخالف فيه جمهور المتكلّمين وفقهاء الأمصار».

٦ - نص منقول من رسالته (جوابات المسائل السروية) ص ٢٢٢ ينقد فيه مرويات الصدوق، يقول:

«و الذي رواه أبو جعفر رحمه الله فليس يجب العمل بجميعه إذا لم يكن ثابتا من الطرق التي تعلق بها قول الأئمة عليهم السلام، إذ هي أخبار آحاد، لا توجب علما ولسا عملا».

رحم اللّه الشيخ المفيد رحمة المجاهدين الأبرار، وجزاه عن عمله هذا خير جزاء المحسنين الأطهار

الهوامش

[*] ارتأت المجلة إعادة نشر مقالة الشيخ الفضلي لقيمته العلمية وأهميته المعرفية
[١] أنظر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام - فصل: أول من صنّف في أصول الفقه.
[٢] لمعرفة المزيد يرجع إلي كتابنا (تاريخ التشريع الإسلامي).
[٣] أنظر: كتابنا (تاريخ التشريع الإسلامي) عهد ابتداء الغيبة الكبرى

د. فارس على العامر
باحث واكاديمي من العراق

المَثَل في القرآن الكريم ومصاديق لمَثَل إخراج الحيِّ من الميِّتِ

خلاصة البحث

تناول البحث (المَثَل في القرآن الكريم)، وهو أحد الموضوعات المهمة التي شغلت مساحة واسعة من الآيات القرآنية؛ نظراً لما فيه من فوائد؛ كتقريب المعنى إلى الأذهان، بإلباس المعقول لباس المحسوس، والغائب بالشاهد، وغير ذلك.

والهدف من ذكر المَثَل في القرآن هو التذكّر والتفكّر، والتعقّل؛ وهي الطرق التي تؤدّي الى هداية الإنسان إلى سواء السبيل.

وقد اختار الباحث دراسة مَثَل (إخراج الحيّ من الميّت)؛ مركّزاً على أحد معانيه وهو (إخراج المؤمن من صلب الكافر)، ذاكراً له سبعة مصاديق؛ كنماذج لشخصيات إسلامية، مؤمنة، موالية لله، ولرسوله ولأئمة الهدى، أخرجت من أصلاب شخصيات كافرة أو منافقة أعلنت العداء والحرب لله، ولرسوله ولأهل بيته صلوات الله عليه وعليهم أجمعين حتى النفس الأخير.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعدُ: فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أنزل القرآن لإخراج الناس من الظلمات إلى النور؛ كما قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[1].

وأنزله هدىً ورحمة، قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً**﴾[2].

وجاءت الأحاديث لتؤكّد ذلك، منها: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أصدق القول، وأبلغ الموعظة، وأحسن القصص كتاب الله»[3]، وعن الإمام علي عليه السلام قال: «تعلّموا كتاب الله تبارك وتعالى؛ فإنَّه أحسن الحديث، وأبلغ الموعظة، وتفقَّهوا فيه؛ فإنَّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره؛ فإنَّه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته؛ فإنَّه أحسن القصص»[4].

وقد جاءت الآيات والسّور بأساليب متنوعة هي غاية في الجمال والإعجاز؛ كالإخبار، والإنشاء، والإستفهام، والتعجب، والقصص، والقَسَم، والأمثال، وغيرها، وجميعها يصبُّ في مصبِّ إرشاد الناس وهدايتهم للتي هي أقوم.

وهذا المقال يتناول «المَثَل في القرآن الكريم» من خلال المحاور التالية: تعريفه، فائدته، هدفه، ومصاديق لَمِثَل «إخراج الحي من الميت».

أولاً: تعريف المثل

المَثَل: «هذا «مِثْلُ» هذا أي نظيره. و«المِثْلُ»، و«المِثَال» في معنى واحد.

و «المَثَلُ»: «المِثْلُ» أيضاً، كشَبَه وشِبْه. و«المَثَل» المضروب مأخوذ من هذا»[5].

«المِثْل»: الشِّبْهُ والنظيرُ. «المَثَلُ»: المِثْلُ. و«المَثَلُ»: جملة من القول مقتطعة من كلامٍ، أو مرسلة بذاتها، تُنقل مِمَّن وردت فيه إلى مُشَابِهِه بدون تغيير[6]، مثل: «الصَّيفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ»[7]، و«الزَّائدُ لا يَكذبُ أَهْلَهُ»[8].

وجاء في مجمع البحرين: «المَثَل» بالتحريك: عبارة عن قول في شيءٍ يُشبه قولاً آخر بينهما مشابهة؛ ليبيِّن أحدهما الآخر، ويصوِّرَه، ويدني المتوهَّم من المشاهَد. وإن شئتَ قلت: هو عبارة عن المشابهة بغيره في معنىً من المعاني، وإنّه لإدناء المتوهَّم من المشاهَد، كقوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُم كَمَثَلِ الذي استوقدَ ناراً...**﴾[9].

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن:

«والمَثَلُ»: عبارة عن قولٍ في شيءٍ يُشبه

قولاً في شيءٍ آخر بينهما مشابهة؛ ليبيِّنَ أحدهما الآخر، ويصوِّرَه؛ نحو: «الصَّيفَ ضيَّعتِ اللبنَ»؛ فإنَّ هذا القول يُشبه قولك: (أهملتَ وقتَ الإمكانِ أمْرَكَ).

و «المَثَلُ» في القرآن عبارة عن المشابهة لغيره في معنىً من المعاني؛ كقولة تعالى: ﴿**مَثَلُ اَلَّذِينَ حُمِّلُوا اَلتَّوْرٰاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهٰا كَمَثَلِ اَلْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰاراً بِئْسَ مَثَلُ اَلْقَوْمِ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ اَللّٰهِ**﴾ الجمعة/ ٥.

أي إنَّهم في جهلهم بمضمون حقائق التوراة كالحمار في جهله بما على ظهره من الأسفار»[١٠].

ثانياً: فوائد المَثَل

للمَثَل فوائد مهمّة؛ بليغة؛ كالتذكير، والوعظ، والحثِّ، والزَّجر، وتقريب المعاني العقلية والمعنوية بتصويرها بصور حسّيّة، تصوير الغائب بالشاهد، والخفي بالجلي؛ بقصد التوضيح، أو الإقناع، أو البرهان، أو التأثير، أو التنفير، وغيرها.

وفي فوائد المثل قال:

١ ـ ابن المقفع (ت/ ١٤٢هـ): «إذا جُعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وأبين في المعنى، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث»[١١].

٢ ـ إبراهيم النظام (ت/ ٢٣١هـ): «يجتمع في المَثَل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام:

١ ـ إيجاز اللفظ ٢ ـ إصابة المعنى ٣ ـ حسن التشبيه ٤ ـ جودة الكناية، فهو نهاية البلاغة.

وقد ضرب الله ورسوله المثال للناس؛ لتقريب المراد، وتفهيم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مُثِّل به، فقد يكون أقرب إلى تعقّله وفهمه وضبطه، واستحضاره له باستحضار نظيره؛ فإنَّ النفس تأنس بالنظائر والأشباه، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير....»[١٢].

٣ ـ السيوطي (ت/٩١١هـ): «ضَرْبُ الأمثالِ في القرآن يُستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحثُّ، والزَّجْر، والإعتبار، والتقرير، والتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس؛ فإنَّ الأمثال تصوِّر المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنَّها أثبت في الأذهان؛ لاستعانة الذهن فيها بالحواسِّ، ومن ثَمَّ كان الغرض من «المَثَل» تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذَّمِّ، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر، أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله، قال تعالى: ﴿**وضربنا لكم الأمثالَ**﴾[١٣]، فامْتَنَّ سبحانه علينا بذلك؛

لما تضمَّنَتْه من الفوائد»[١٤].

ثالثاً: الهدف من المَثَل في القرآن الكريم

لقد أشار القرآن الكريم إلى الهدف من ضرب المثل بقوله تعالى ﴿وَ يَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثَالَ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١٥]، ﴿وَتِلْكَ اَلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٦]. ﴿وَ تِلْكَ اَلْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَمٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ اَلْعٰالِمُونَ﴾[١٧].

التذكُّر، والتفكُّر، والتعقُّل طرق تؤدي إلى الهداية إلى سواء السبيل، وذلك عِبْر الأمثال التي تقرِّب المعنى المراد بإلباس المعقول أو الغائب، إلباس المحسوس؛ إذ إنَّ الكثير من الأمور العقلية، أو الغيبية يصعب فهمها على أكثر الناس، فإذا قُوبِلت بأمثلة محسوسة سهل فهمها.

ومن ثَمَّ فإن كان من التذكُّر، والتفكُّر، والتعقُّل ازداد هدىً، وإلاّ ازداد بعداً وضلالاً، قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مٰا بَعُوضَةً فَمٰا فَوْقَهٰا فَأَمَّا اَلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وأَمَّا اَلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مٰا ذٰا أَرٰادَ اَللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمٰا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ اَلْفٰاسِقِينَ﴾[١٨].

رابعاً: مَثَلُ إخراجِ الحيِّ من الميِّتِ

قال تعالى: ﴿وَ تُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ اَلْمَيِّتَ مِنَ اَلْحَيِّ﴾[١٩]، ﴿يُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ اَلْمَيِّتَ مِنَ اَلْحَيِّ﴾[٢٠].

ومعنى خروج الحيِّ من الميِّت؛ من الحي ظهور الحياة في كائنات وموجودات لا حياة فيها، ومعنى خروج الميِّت من الحي بالعكس؛ أي ظهور كائنات وموجودات لا حياة فيها مما فيها الحياة.

ويدخل في هذا المعنى تفسير إخراج المؤمن من صلب الكافر، وإخراج الكافر من صلب المؤمن؛ لأنه تعالى سَمَّى الإيمان حياةً ونوراً، والكفر موتاً وظلمة كما قوله تعالى: ﴿أَ وَمَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ وَجَعَلْنٰا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي اَلنّٰاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي اَلظُّلُمٰاتِ لَيْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا﴾[٢١].

ذكر ذلك الطبرسي، معزِّزاً رأيه هذا بما روي عن الإمام أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام[٢٢].

وذكر صاحب الأمثل أنَّ بعض المؤمنين ـ وهم الأحياء الحقيقيون ـ يخرجون من بعض الكافرين ـ وهم الأموات الحقيقيون ـ وقد يحدث العكس حين يخرج الكفار من المؤمنين؛ وفي هذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «يخرج الحيَّ من الميِّتِ...» يخرج المؤمن من صلب

الكافر، والكافر من صلب المؤمن»[٢٣].

كما يصبُّ في هذا المعنى ـ وهو إخراج الحي من الميت، إخراج المؤمن من صلب الكافر وبالعكس ـ قوله تعالى: ﴿**وَ لَوْ لاٰ رِجٰالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسٰاءٌ مُؤْمِنٰاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اَللّٰهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشٰاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً**﴾[٢٤].

مَعَرَّةٌ: مكروه. تَزَيَّلُوا: تَمَيَّزوا.

أي: لكيلا يُقتلَ رجالٌ مؤمنون، ونساءٌ مؤمنات بمكة؛ لعدم تميّزهم عن الكفار، فيصيبكم من قتلهم وإهلاكهم مكروه كفَّ أيديكم عن قتل وإهلاك الكفار[٢٥].

وجاء في الأمثل ما خلاصته: ﴿**لوتَزَيَّلُوا...**﴾، لو افترقت وانفصلت صفوف المؤمنين عن صفوف الكافرين في مكة، ولا خطر هناك على المؤمنين لعّذبنا الكافرين بأيديكم عذاباً أليماً.

ويُستفاد من الروايات من طرق الشيعة والسنّة بأنَّ المراد من ذلك أفراد مؤمنون في أصلاب الكافرين، ولأجل هذا لم يعذّب الله الكافرين في مكة[٢٦]، روي عن الإمام الصادق عليه السلام قيل له: ألم يكن علي قوياً في بدنه، قوياً في أمر الله؟ قال عليه السلام: «بلي»، قيل: فما منعه أن يدفع أو يمتنع؟ قال عليه السلام: «سألت فافهم الجواب: منع علياً من ذلك آية من كتاب الله»، قيل: وأيُّ آية؟ فقرأ «لو تَزَيَّلُوا لَعَذّبْنا...»[٢٧].

وفي تفسير نور الثقلين، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «لوتزيَّلُوا لَعذَّبنا» قال: «لو أخرج الله ما في أصلاب المؤمنين من الكافرين، وما في أصلاب الكافرين من المؤمنين لَعَذَّبنا الذين كفروا»[٢٨].

ونفس المعنى أنّ رجلاً سأل الصادق عليه السلام بقوله: ألم يكن علي قوياً في دين الله؟ قال عليه السلام: «بلي»، فقال: فعلام إذ سُلِّط على قوم لم يفتك بهم، فما كان منعه من ذلك، قال عليه السلام: «آية في كتاب الله»، قال الرجل: وأيَّةُ آية؟ قال عليه السلام: قوله تعالى ﴿**لو تَزَيَّلُوا لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً**﴾، ثم أضاف عليه السلام: «إنَّه كان لله عزَّ وجلَّ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، ولم يكن علي ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع... وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عزَّ وجلَّ»[٢٩].

وعن الضحاك قال: لو لا مَن في أصلاب الكفار، وأرحام نسائهم من رجال مؤمنين، ونساء مؤمنات لم تعلموا أن تطؤوا آباءهم فتهلك

أبناؤهم[٣٠].

خامساً: مصاديق لِمَثَل إخراج الحيِّ من الميِّت

هناك شخصيات إسلامية بارزة خرجتْ من أصلاب قوم كافرين، أو منافقين نشير إلى مجموعة منها باختصار:

١ ـ حنظلة غسيل الملائكة:

لقد تزوّج حنظلة بن أبي عامر الراهب، وأُدخلت عليه زوجته في الليلة التي حدثت في صبيحتها معركة أحد، حيث استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت تلك الليلة مع زوجته، فأذن له ﷺ، فأجنب منها، ولم يغتسل، وقبل خروجه أشهدت عليه زوجته بأربعة شهداء من قومها على أنَّه دخل بها، ولما سُئلت عن سبب ذلك الإشهاد، أجابت بأنَّها رأت رؤيا فَسَّرَتْها بشهادته، فأنجبت منه عبد الله بن حنظلة.

فأخذ صباحاً سلاحه وذهب مسرعاً ليلتحق برسول الله ﷺ بأُحُد، ودخل في صفوف المجاهدين، وفي هذه الأثناء اعترض لأبي سفيان يريد قتله، فأخذ أبو سفيان يصيح، ولا يلتفت إليه أحد؛ لأنَّ القوم في هزيمة، حتى حمل على حنظلة الأسود بن شعوب، وضربه بالرمح فخرَّ شهيداً، وهرب أبو سفيان حتى لحق بقريش.

وسُمِّي بغسيل الملائكة؛ لما روي عن النبي ﷺ قوله: «إنِّي رأيت الملائكة تغسِّل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة»[٣١].

ولحنظلة الشهيد ابنٌ شهيد، وهو عبد الله بن حنظلة الذي أشرنا إليه آنفاً، وهو صاحب ثورة المدينة وواقعة الحرَّة ضد الأمويين أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

(وحنظلة) غسيل الملائكة هذا هو ابن أبي عامر الراهب، الذي ترهَّب في الجاهلية، ولبس المسوح، فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده، وحزَّب الأحزاب عليه، ثم هرب إلى الطائف بعد فتح مكة، فلما سمّاه النبي ﷺ «الفاسق»، ثم أنفذ إلى المنافقين أن استعدُّوا، وابنوا مسجداً، «وهو مسجد ضرار» ﴿**والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بينَ المؤمنين وإرصاداً لِمَنْ حاربَ اللهَ ورسولَهُ من قبل...**﴾[٣٢]، في قِبال مسجد «قبا» الذي أُسِّس على التقوى.

أنفذ إلى المنافقين ببناء ذلك المسجد، وأخبرهم بأنه سوف يذهب إلى قيصر الروم، ويأتي بجنود من عنده؛ لكي يُخرج محمداً ﷺ من المدينة، فكان أولئك المنافقون يتوقعون قدومه، فمات قبل أن يبلغ ذلك القيصر بأرض

يُقال لها قِنَّسرين، إحدى قرى سورية[٣٣].

ومن الأمور المهمة التي ينبغي الإشارة إليها ـ في قصة هذا الشاب المؤمن الذي لم يتجاوز عمره الرابعة والعشرين سنة ـ أنَّ زوجته كانت ابنة رأس المنافقين، وهي جميلة بنت عبد الله بن أبُي بن سلول، ولكنها كانت مؤمنة؛ لذا فهي مصداق أيضاً لإخراج الحي من الميت[٣٤].

٢ ـ عبد الله بن عبد الله بن أبَيّ بن سلول:

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٥].

أشارت المصادر إلى أنَّ هذه الآية وما قبلها من الآيات نزلت في المنافق عبد الله ابن أُبَيّ بن سلول وأصحابه بعد واقعة بني المصطلق الذين هُزموا فيها.

وقد حصلت مشادَّة بين شخصين، أحدهما من الأنصار من قبيلة الخزرج، والآخر من المهاجرين، من قبيلة بني غفار...

وأغضب عبدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ أحدُ المهاجرين المناصرين للغفاري، فقال عبد الله بن أُبَيّ: «... أَمَا والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ»، يعني بالأعزِّ نفسه، وبالأذلِّ رسول الله ﷺ.

سمع هذا الكلام زيد بن أرقم ـ وكان حدثَ السِّنِّ ـ فنقله إلى رسول الله ﷺ، وبعد أن تأكّد الرسول ﷺ من نقل زيد للخبر أرسل ﷺ إلى عبد الله بن أُبَيّ، فأتاه، فقال ﷺ له: ما هذا الذي بلغني عنك؟ فأقسم بأنه لم يقل، وأنَّ زيداً لكاذب، وقال مَن حضر من الأنصار: شيخنا وكبيرنا لا تصدِّق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار، فعذره رسول الله ﷺ، وذكر النبي ﷺ ما صدر من ابن أُبَيٍّ إلى أُسيد بن حُضير، فقال أُسيد: فأنت واللهِ يا رسول الله تخرجه إن شئتَ، هو واللهِ الذليل، وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ارفق به؛ حيث عند مجيئك كان قومه ينظمون له الخرز؛ ليتوِّجوه، وأنه يرى أنَّك قد سلبته ملكاً. ولعبد الله بن أُبَي المنافق هذا ابن مؤمن اسمه على اسمه، وهو (عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ).

ولما بلغ عبد الله (الابن) ما كان من أمر أبيه أتى رسولَ الله ﷺ، وقال: يا رسول الله إنه بلغني أنَّك تريد قتل أبي، فإن كنت لابدَّ فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرَّ بوالديه منِّي، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَي أن

يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار.

فقال له رسول الله ﷺ: بل ترفق به، وتحسن صحبته ما بقي معنا.

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة قال زيد بن أرقم: جلست في البيت لما بي من الهمِّ والحياء، فنزلت سورة المنافقين، وفيها تصديق لزيد، وتكذيب لعبد الله بن أُبَي، فعندها بلّغ النبي ﷺ معلناً تصديق زيد، وانَّ الله أنزل فيما قال قرآناً.

وكان عبد الله بن أُبَي بقرب المدينة، ولما أراد دخولها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله فمنعه من الدخول، فقال له أبوه: مالك ويلك؟

فقال له ابنه: واللهِ لا تدخلها إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلمَنَّ اليومَ مَنِ الأعزُّ، ومَنِ الأذلُّ. فشكا عبدُ الله ابنَهُ إلى رسول الله ﷺ، فأرسل الرسول ﷺ أن خلِّ عنه ليدخل، فقال عبد الله (الابن): أما إذا جاء أمر رسول الله ﷺ فنعم، فدخل، فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات[٣٦].

وهكذا ترى البون الشاسع ما بين الابن المؤمن الموالي لله ولرسوله على الرغم من حبِّه لأبيه وبِرِّه به، فإنَّه كان مستعدّاً لقتله، وحمله رأسه طاعة لله، ولرسوله ﷺ.

البون الشاسع ما بين الابن المؤمن وأبيه المنافق الخطير، كما ترى موقف رسول الله ﷺ بالنهي عن قتله، وأمره بالرفق بأبيه وإحسان صحبته، كرامة لذلك الابن الصالح.

وهذا مصداق لإخراج الحي من الميت.

٣ ـ العباس بن عتبة بن أبي لهب: ـــــ

كان أبو لهب بن عبد المطلب شديد العداء لرسول الله ﷺ هو وزوجته أمّ جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان، وعمة معاوية بن أبي سفيان، وقد أنزل الله عز وجل فيهما سورة المسد التي أخبرتهما بمصيرهما المشؤوم وهو نار جهنم.

ولأبي لهب من الأولاد عتبة، وعُتَيبة، ومتعب، ودرَّة.

وقد أسلموا جميعاً ـ ما عدا (عتبة) ـ بعد فتح مكة.

وقد شهد عُتيبة، ومتعب مع رسول الله ﷺ حنيناً، وكانا ممن ثبت ولم ينهزم، وذهبت عين معتب بحنين، وشهدا معه ﷺ الطائف.

وأما (عتبة) فلم يسلم، ودعا عليه النبي ﷺ بأن يسلِّط اللهُ تعالى عليه كلباً يأكله؛ لكفره، ولعدائه لله ولرسوله، فعدا عليه أسد في الزرقاء من بلاد الشام فقتله.

وقيل: الذي دعا عليه النبي ﷺ هو «عُتيبة».

العباس بن عتبة: لا خلاف في إسلامه.

تزوج بعد وفاة رسول الله ﷺ بأمينة ابنة العباس بن عبد المطلب، فولدت له الفضل.

قُتل العباس بن عتبة في واقعة الحرة، زمن يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ)، فذهب شهيداً.

الفضل بن العباس بن عتبة:

وهو أحد شعراء بني هاشم وفصحائهم المشهورين.

ومن شعره ما قاله في رثاء مَن استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام:

أَعينيَّ جودا من دموع عزيزة
فقد حقَّ اشفاقي وما كنتُ أحذرُ
أعينَّي هذا الأكرمون تتابعوا
وصلوا المنايا دار عون وحُسّر
مصابيح أمثال الأهلّة إذ هُم
لدى الحرب أو دفع الكريهة أبصرُ
بهم فجعتنا والفواجع كلّها
تميمٌ وبكرٌ والسكونُ وحميرُ
وهمدان قد جاشت علينا وأجلبت
هوازن..... وأعصرُ
وفي كلِّ حيٍّ نضحة من دماء
بنو هاشم يعلو سناها ويشهرُ
فللهِ محيانا وكان مماتنا
واللهِ قتلانا تُدانُ وتُنشرُ
لكلِّ دمٍ مولىً ومولى دمائنا
بمرتقب يعلو عليكم ويظهرُ
فسوف ترى أعداءنا حيث تلتقي
لأيِّ الفريقين النبي المطهر[٣٧]

وهذه مصاديق واضحة لإخراج الحي، وهم الأبناء المؤمنون، الموالون لله تعالى، ولرسوله ﷺ، ولأهل البيت، من الميت المعادي لله تعالى، ولرسول ﷺ، وهما أبو لهب، وأمُّ جميل بنت حرب.

٤ـ خالد بن سعيد بن العاص الأموي وأخواه عمرو وأبان:

خالد بن سعيد بن العاص بن عبد شمس الأموي، يُكَنَّى أبا سعيد، من المسلمين السابقين الأوائل؛ حيث كان الثالث، أو الرابع ممن أسلموا. وكان سبب إسلامه رؤيا رآها، وخلاصتها:

أنَّ النبيَّ ﷺ أنقذه من نار موقَدَة، يريد أبوه أن يرميه فيها؛ فقال: أحلف إنّها لرؤيا حقّ، فالتقي النبي ﷺ، وسأله عمّا جاء به، فأجابه أنَّه ﷺ يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد، ونبذ عبادة الأصنام، وإلى خير الدنيا والآخرة، فأعلن

إسلامه.

ولما سمع أبوه بإسلامه طلبه، فجاء به إخوته إليه، فسبّه، وضربه بعصا حتى كسرها على رأسه، وغضب عليه؛ لإصراره على إسلامه وعدم تراجعه عنه، فطرده، ومنعه القوت، فقال خالد: إن منعتني القوت فإن الله يرزقني ما أعيش به، بل ومنع حتى إخوته من أن يكلِّموه.

فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺ، وتغيَّب عن أبيه فترة، ثمَّ هاجر إلى الحبشة مع امرأته أميمة الخزاعية، وولد له منها في الحبشة ابنه سعيد بن خالد، وابنته أم خالد، واسمها (أمة)، وقيل: (آمنة).

قدم من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب على الرسول ﷺ يوم فتح خيبر.

شهد مع رسول الله ﷺ غزوة بني قريظة، وفتح مكة، وحنيناً، والطائف، وتبوك.

استعمله رسول الله ﷺ على اليمن، وبعد وفاة الرسول ﷺ تراجع عن عمله، وقيل: عزله أبو بكر.

وقد استعمله أبو بكر على أحد جيوش المسلمين حين بعثهم الى الشام، فقُتل في مرج الصُّفّر[٣٨]، وقيل: في غير هذه الواقعة أسلم معه أخواه، عمرو بن سعيد بن العاصي الأموي، وأبان بن سعيد بن العاص الأموي، الذي تأخر إسلامه عن أخيه عمرو.

وعمرو هاجر مع أخيه خالد إلى الحبشة، وقدم مع أخيه خالد، ومع جعفر بن أبي طالب على رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم فتح خيبر.

ولّى النبي ﷺ عمراً على تيماء، وخيبر، وقرى عربية، وولّى أبان على البحرين.

وبعد وفاة الرسول ﷺ تراجعا عن ولايتهما كما تراجع أخوهما خالد.

قُتل أبان يوم أجنادَين[٣٩] سنة (١٣هـ)، وقيل: غير ذلك.

هؤلاء الأخوة الثلاثة المؤمنون، المجاهدون كانوا من المخلصين لله، ولرسوله، ولأمير المؤمنين عليه السلام، رفضوا بيعة أبي بكر، وتكلّموا في ذلك، وبقوا على موقفهم الرافض، حتى بايع أهل البيت؛ حفاظاً على سلامة الإسلام، ووحدة المسلمين، وحينذاك بايعوا.

والد هؤلاء المؤمنين هو: «أبو أُحيحة، سعيد بن العاص بن أُميّة» الذي حادَّ الله وروسوله، حيث كان شديداً على المسلمين، هلك على شركه وكفره حتى آخر أيام حياته؛ حيث قال في مرضه الذي مات فيه: لئن رفعني الله من مرضي هذا لا يُعبد إله أبي كبشة بمكة. فقال ابنه خالد عند ذلك: اللهمَّ لا ترفعه، فمات في ذلك المرض[٤٠].

وهـذا مصـداق واضـح لإخـراج الحـي مـن الميـت؛ إذ خـرج مـن صـلبه رجـال مؤمنـون، والحمد لله ربِّ العالمين.

٥ ـ معاوية بن يزيد بن معاوية:

هو معاوية الثاني ابن يزيد بن معاوية بن أبـي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس.

لُقِّب بـ «الراجع» إلى الله عزَّ وجلَّ.

بُويع بالخلافة بعد هلاك أبيه يزيد بن معاوية سنة (٦٤هـ).

ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ هداه للإيمـان، ولمحبّـة رسول الله ﷺ، ولأهل بيته.

كان بصيراً، عارفاً بالحقِّ وأهله؛ لـذا اسـتنكر مـا فعلـه جـدُّه معاويـة، وأبـوه يزيـد مـن الظلـم والعـدوان، وسـفك الـدماء، وانتهـاك الحرمـات والمقدَّسـات، وخصوصـاً ظلـم أهـل البيـت، واغتصاب خلافتهم.

وبعد أربعين يومـاً مـن خلافتـه، وقيـل: بعـد شهرين، وقيل: غير ذلـك، قـام خطيبـاً بالنـاس، بعـد أن حمـد اللـه تعـالى، وأثنـى عليـه، وذكـر النبي ﷺ بأحسن ما يُذكر به قال: «أيُّها الناس، ما أنـا بالراغـب فـي الإئتمـار عليـكم لعظـيم مـا أكرهه منكم، وإني لأعلم أنَّكم تكرهوننـا أيضـاً؛ لأنّا بلينا بكم، وبُليتم بنـا، ألا وإنَّ جـدِّي معاويـة قد نازع في هذا الأمـر مَـن كـان أولـى بـه منـه، ومن غيره؛ لقرابته من رسـول اللـه ﷺ، وعظـم فضـلـه، وسـابقته، أعظـم المهـاجرين قـدراً، وأشجعهم قلباً، وأكثـرهم علمـاً، وأوّلهـم إيمانـاً، وأشرفهم منزلةً، وأقدمهم صحبة، ابنَ عمِّ رسول اللـه ﷺ، وصـهره، وأخـوه، زوّجـه ﷺ ابنتـه فاطمة، وجعله لها بعلاً، باختياره لها، وجعلها لـه زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة، وأفضل هذه الأمَّـة تربيـة الرسـول وابنـي فاطمـة البتـول مـن الشـجرة الطيبـة الطـاهرة الزكية. فركب جدّي منه ما تعلمون وركبـتم معـه مالا تجهلون، حتى انتظمت لجدّي الأمور، فلما جاء القدر المحتوم، واخترمته أيدي المنون بقـي مرتهناً بعمله، فريداً فـي قبـره، ووجـد مـا قـدّمت يداه، ورأى ما ارتكبه واعتداه.

ثـم انتقلـت الخلافـة إلـى يزيـد أبـي، فتقلَّـد أمركم لهوى كان أبوه فيه، ولقـد كـان أبـي يزيـد بسـوء فعلـه، وإسـرافه علـى نفسـه غيـر خليـق بالخلافـة علـى أمـة محمـد ﷺ، فركـب هـواه، واستحسن خطاه، وأقدم على ما أقدم من جراءته على الله، وبغيه علـى مَـن اسـتحلَّ حرمتـه مـن أولاد رسول الله ﷺ، فقلَّتْ مدَّتُه، وانقطع أثـره، وضـاجع عملـه، وصـار حليـف حفرتـه، رهـين خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته، وحصل مـا قـدّم، وندم حيث لا ينفعه الندم، وشغلنا الحزن له عن

الحزن عليه، فليت شعري ماذا قال؟ وماذا قيل له؟ هل عُوقب باساءته وجُوزي بعمله؟ وذلك ظنّي. ثم اختنقته العبرة، فبكى طويلاً، وعلا نحيبه، ثم قال: وصرتُ أنا ثالث القوم، والساخط عليَّ أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمَّل آثامكم، ولا يراني الله جلَّتْ قدرتُهُ متقلِّداً أوزاركم، وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم أمركم، فخذوه، ومَن رضيتم به عليكم فولّوه، فلقد خلعت بيعتي من اعناقكم، والسلام.

فقال له مروان بن الحكم، وكان تحت المنبر: أسنّة عمرية يا أبا ليلى؟

فقال له: أُغدُ عني، أعن ديني تخدعني؟ فواللهِ ما ذقت حلاوة خلافتكم فأتجرع مرارتها... واللهِ لئن كانت الخلافة مغنماً لقد نال منها أبي مغرماً ومأثماً، ولئن كانت سوءاً فحسبه منها ما أصابه.

ثم نزل، فدخل عليه أقاربه وأمُّهُ، فوجدوه يبكي، فقالت له أمُّهُ: ليتك كنت حيضة، ولم أسمع بخبرك، فقال: وددت والله ذلك. ثم قال: ويلي إن لم يرحمني ربي.

فاتَّهم الأمويون مؤدِّبه عمر المقصوص بأنه هو الذي علّمه ذلك وصدَّه عن الخلافة، وزيَّنَ له حُبَّ عليٍّ وأهل بيته، فثاروا عليه، ودفنوه حيّاً.

وبعدها دخل منزله، وتغيَّب حتى مات، وعمره إحدى وعشرون سنة.

واختُلف في سبب موته؛ فمنهم مَن يرى أنَّه مات مسموماً، ومنهم مَن يرى أنَّه مات طعناً، ومنهم مَن يرى أنَّه مات حتف أنفه، والرأي الأخير ضعيف[٤١].

ودُفن عليه رحمة الله ورضوانه في دمشق، وله مقام يزوره أتباع أهل البيت، وكثير من الناس.

وهكذا انطلقت صرخة الحقِّ بوجه الظلم والظالمين من حيث لم يحتسب الأمويون ذلك؛ إذ انطلقت تلك الصرخة من داخل البيت الأموي الظالم الذي سفك الدماء وانتهك الحرمات بشكل فظيع لا يمكن تصوّره، انطلقت من ذلك العبد الصالح، الشاب البطل معاوية الثاني.

ومعاوية في بني أمية كمؤمن آل فرعون؛ وهو أوضح مصداق لإخراج الحي من الميت.

٦ـ سعد الخير:

هو سعد بن عبد الملك، من أبناء عبد العزيز بن مروان، وكان يسمِّيه الامام محمد الباقر عليه السلام «سعد الخير».

عن أبي حمزة، قال دخل سعد بن عبد الملك ـ وكان الامام أبو جعفر عليه السلام يسمِّيه سعد الخير، وهو من ولد عبد العزيز بن مروان ـ علي أبي جعفر عليه السلام فبينا ينشج كما تنشج النساء، فقال له

أبو جعفر عليه السلام: «ما يبكيك يا سعد؟» قال: وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن؟ فقال عليه السلام له: «لست منهم، أنت أموي، منا أهل البيت، أما سمعتَ قول الله عزَّ وجلَّ يحكي عن إبراهيم عليه السلام: «فمن تبعني فإنَّه منِّي»[٤٢]

٧ـ كُشاجم الرملي:

أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك، من أهل الرملة بفلسطين، سافر إلى عدّة بلدان، ثم استقرَّ في حلب.

من شعراء القرن الرابع الهجري الفحول؛ نظير المتنبي، وأبي فراس الحمداني وأمثالهما من النوابغ.

كان شاعراً للحمدانيين، وله ديوان شعر معروف.

لُقِّب بـ «كُشاجم» وهو لقب منحوت من أوائل حروف مواهبة؛ حيث كان كاتباً، شاعراً، أديباً، جامعاً، منجماً، أو متكلماً.

وهو من شعراء أهل البيت، وله في مدحهم قصائد.

فهو إمامي، موالي لأهل البيت، يتضح ذلك من خلال شعره، الذي يذبُّ به عنهم، ويتفجّع لمصائبهم.

وهو من مصاديق قوله تعالى: ﴿**يخرج الحيَّ من الميت**﴾؛ فإنَّ جدّه السندي بن شاهك الذي نصب العداء لأهل البيت، وضيّق على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في سجن هارون الرشيد، وأرهقه بالسلاسل والقيود، وعامله معاملة قاسية، وقد كان جلاّداً فظّاً غليظاً قاسياً ـ وهو مدير شرطة الرشيد آنذاك.

وهو الذي نفّذ جريمة هارون بقتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بدسِّ السُّمَّ في طعامٍ قدّمه للإمام عليه السلام، فعرجت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد ثلاثة أيام من المعاناة والآلام.

وقد علّق السيد حسن الصدر بقوله: «قلت: وهذا مصداق يخرج الحي من الميِّت، فإنَّ جدَّه السندي بن شاهك قتل الإمام الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وهذا من أسباطه، من شيعة الكاظم عليه السلام».

توفي كشاجم سنة (٣٦٠هـ)، وقيل: (٣٥٠هـ)، وقيل: (٣٣٠هـ)[٤٣].

وفي الختام لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ مصاديق المَثَل القرآني: ﴿**إخراج الحيِّ من الميِّت**﴾ كثيرة لا يتسع المقام لذكر أكثر مما ذكرناه.

والحمد لله أوّلاً وآخراً.

المصادر

١ ـ الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ
٢ ـ الأميني، عبد الحسين، الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤٠٣ هـ
٣ ـ ابن الأثير الجزري، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٣٨٥ هـ
٤ ـ ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣١٥ هـ
٥ ـ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في معرفة الصحابة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ
٦ ـ ابن شهرآشوب، محمد بن علي، معالم العلماء، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦١ م
٧ـ ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، الأعلمي، طهران.
٨ ـ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الإصابة في تمييز الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩ ـ ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الفكر، بيروت.
١٠ ـ ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
١١ـ ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، الرضي، قم ١٣٦٣ش.
١٢ـ ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: سعيد محمد نمر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١م.
١٣ـ ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق: محمد أحمد، المكتبة التوفيقية، مصر.
١٤ـ ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ
١٥ـ أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله، جمهرة الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
١٦ـ الحائري، محمد بن إسماعيل، منتهى المقال في أحوال الرجال، مؤسسة آل البيت، لإحياء التراث، قم، ط ١، ١٤١٦هـ
١٧ـ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.
١٨ـ الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، الرضي، قم، ط ٢، ١٣٦٤ش.
١٩ـ الراغب الأصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢م.
٢٠ـ السيوري، المقداد، كنز العرفان في فقه القرآن، تصحيح: عبد الرحيم العقيقي، نويد اسلام، قم، ط ٢، ١٤٢٤هـ
٢١ـ السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، الرضي، قم، ط ٢ ١٤١١هـ
٢٢ـ شرف الدين، عبد الحسين، الفصول المهمة في تأليف الأمة، الرضي، قم، ط ٢، ١٣٦٤ش.
٢٣ـ الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم، ط ١، ١٤٢١هـ
٢٤ـ الصدر، السيد حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، الأعلمي، طهران.
٢٥ـ الصدوق، محمد بن بابويه القمي، علل الشرايع، الحيدرية، النجف، ١٩٦٦م.
٢٦ـ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الأعلمي، بيروت ط ١، ١٤١٧هـ
٢٧ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ
٢٨ـ الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى، الصافي في تفسير القرآن، تحقيق محسن الأميني، دار الكتب الإسلامية،

طهران، ط ١، ١٤١٩.
٢٩ـ القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العربية، بيروت، ١٤١٣هـ.
٣٠ـ القمي، عباس، هدية الأحباب، ترجمة: هاشم الصالحي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٣١ـ القمي، عباس، سفينة البحار، دار المرتضى، بيروت.
٣٢ـ القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تصحيح: السيد طالب الموسوي دار الكتاب، قم، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
٣٣ـ لويس معلوف، المنجد في الأعلام، إسماعيليان، إيران.
٣٤ـ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ناصر خسرو، طهران.
٣٥ـ المجلسي، محمد باقر، بحارالأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م.
٣٦ـ المدني، علي خان، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، بصيرتي، قم، ١٣٦٤ش.
٣٧ـ المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب، تحقيق: عبد الأمير المهنا الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
٣٨ـ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، بصيرتي، قم.
٣٩ـ المقريزي، علي بن أحمد، النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، مؤسسة أهل البيت، بيروت، ١٤٠١هـ.
٤٠ـ الواحدي، علي بن أحمد، أسباب النزول، الرضي، قم، ١٤٠٤هـ.
٤١ـ اليعقوبي، أحمد بن واضح، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير المهنا الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.

الهوامش:

[١] إبراهيم/١.
[٢] النحل / ٨٩.
[٣] المجلسي، بحار الأنوار، حـ٧٤، ص: ١١٤.
[٤] ن. م، ص: ٢٩٠.
[٥] ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، حـ٥، ص: ٢٩٦، باب الميم والثاء.
[٦] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، حـ٢، ص: ٨٥٤، حرف الميم.
[٧] أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال، حـ١، ص: ٤٧٣.
[٨] هذا المثل لمن يضيِّع أمراً، ثم يريد استدراكه.
[٩] ن. م، ص: ٣٨٥. الرائد: هو الذي يتقدَّم القوم لطلب الماء والكلأ؛ ويُضرب للناصح غير المُتَّهم.
[١٠] البقرة / ١٧.
[١١] الراغب الاصفهاني، الحسين، مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٧٥٩، حرف الميم.
[١٢] ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، ص: ٣٣.
[١٣] ن. م.
[١٤] إبراهيم/ ٤٥.
[١٥] السيوطي، عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن، حـ٤، ص: ٤٥.

[١٦] إبراهيم/ ٢٥.
[١٧] الحشر / ٢١.
[١٨] العنكبوت/ ٤٣.
[١٩] البقرة/ ٢٦.
[٢٠] آل عمران / ٢٧.
[٢١] الروم / ١٩.
[٢٢] راجع الطباطبائي، الميزان، حـ٣، ص: ١٥٦، وما بعدها. والآية ١٢٢: الأنعام.
[٢٣] الطبرسي، مجمع البيان، حـ٢، ص: ٢٧١، والكاشاني، تفسير الصافي، حـ٢، ص: ٢٦.
[٢٤] مكارم الشيرازي، الأمثل، حـ٢، ص: ٤٥٢، ٤٥٣.
[٢٥] الفتح / ٢٥.
[٢٦] الطباطبائي، الميزان، حـ١٨، ص: ٢٩٢، ٢٩٣.
[٢٧] مكارم الشيرازي، حـ١٦، ص: ٤٧٨، ٤٧٩.
[٢٨] القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، حـ٢، ص: ٣١٦، ٣١٧.
[٢٩] الحويزي، عبد علي جمعة، حـ٥، ص: ٧٠، ٧١، والمجلسي، البحار، حـ٢٩، ص: ٤٣٧، وحـ٥٢، ص: ٩٧، والصدوق، محمد بن بابويه، علل الشرايع، حـ١، ص: ١٤٦، باب ١٢٢العلة التي من اجلها ترك أمير المؤمنين مجاهدة أهل الخلاف، والفيض الكاشاني، تفسير الصافي، حـ٦، ص: ٥٠٥.
[٣٠] مكارم الشيرازي، ص: ٤٧٩.
[٣١] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، حـ١٦، ص: ١٨٨، والآلوسي محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، حـ٢٦، ص: ٣٧٤.
[٣٢] ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، حـ٤، ص: ٢٢، وابن عبد البر القرطبي، الإصابة في تمييز الصحابة، حـ١، ص: ٢٨٠، ٢٨١.
[٣٣] التوبة/ ١٠٧، ١٠٨.
[٣٤] الطبرسي، مجمع البيان، حـ٥، ص: ١٢٥، وما بعدها، والسيوري، المقداد كنز العرفان في فقه القرآن، ص: ١٠٦، ١٠٧، والطباطبائي، الميزان، حـ٩، ص: ٤٠٦، ٤٠٧، البحث الروائي، وناصر مكارم، قصص القرآن، ص: ٥٧٥ ـ ٥٧٧، والقمي، عباس، سفينة البحار، حـ٢، ص: ٣١٧، باب الغين،
[٣٥] الدين، عبد الحسين، الفصول المهمة في تأليف الأمة، ص: ١٩٣، وابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة حـ١، ص: ٢٩٠.
[٣٦] ابن الاثير، حـ١، ص: ٣٢٥، وابن حجر العقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، حـ٣، ص: ٤٥٤، وذكر المصدران بأنها أخت رأس النفاق، وليست ابنته، وسواء أكانت ابنته، أو أخته فإنها كانت مؤمنة.
[٣٧] المنافقون / ٨.
[٣٨] الطبرسي، مجمع البيان، حـ١٠، ص: ٢١ ـ ٢٤، والطباطبائي في ميزانه، حـ١٩، ص: ٢٩٥ – ٢٩٩، والآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، حـ٢٨، ص: ٤٢٨ ـ ٤٣٠، والواحدي، أسباب

النزول، ص: ٢٨٧، ٢٨٨، وغيرها من التفاسير، وكتب السيرة النبوية.

[٣٩] المدني، السيد علي خان، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ص: ١٩١، والطبقة الحادية عشرة، ص: ٥٥٦، وما وما بعدها والمجلسي، البحار، حـ١٧، ص: ٤١٢، وشرف الدين، عبد الحسين، الفصول المهمة في تأليف الأمة، ص: ١٩٧، والصدر، حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص: ١٨٨، ١٨٩.

[٤٠] مرج الصُّفّر: موضع بدمشق حدثت فيه معركة خاضها خالد بن سعيد الأموي مع الروم التي استنفرت بعض القبائل العربية، فهزم فيها المسلمون لقلة عددهم، واستشهد فيها البطل خالد بن سعيد الأموي سنة (١٣هـ) راجع: ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، حـ١، ص: ٣٠٥، باب الخاء، والحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، حـ١، ص: ١٠١، باب الميم والراء.

[٤١] موقع بالشام، ما بين الرملة وبيت جبرين في فلسطين، حدثت فيه معركة بين المسلمين والروم، انتصر فيها المسلمون، سنة (١٣هـ)، (٦٣٤م) انظر: الحموي، حـ١، ص: ١٠٣، باب الهمزة والجيم، ومعلوف، لويس، المنجد في الأعلام، ص: ٢٣، الهمزة.

[٤٢] ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، حـ٢، ص: ٤٢٠ـ ٤٢٤، حـ٣، ص: ٩٧٣، حرف الخاء، باب خالد، وابن الأثير الجزري، عز الدين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، حـ١، ص: ٣٠٥، باب الخاء. وابن حجر العقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، حـ١، ص: ١٦، ١٧، باب الهمزة بعدها الألف، وحـ٢، ص: ٢٣٦، ٢٣٧، الخاء بعدها الألف، والمقريزي، علي بن أحمد، النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، ص: ٣٧، ٣٨، وشرف الدين، عبد الحسين، الفصول المهمة في تأليف الأمة، ص: ١٩٠، ١٩٣، والصدر، السيد حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص: ٣٥٣ ـ ٣٥٥، والأميني، عبد الحسين، الغدير، حـ٨، ص: ٢٤١، وما بعدها، وابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، حـ٢، ص: ٢٩، ٢٥٥.

[٤٣] ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسية، حـ٢، ص: ١٣، وابن الأثير الجزري، علي، الكامل في التاريخ، حـ٤، ص: ١٣٠، والدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، حـ١، ص: ٨٨، ٨٩، واليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، تاريخ اليعقوبي، حـ٢، ص: ١٦٩، ١٧٠، والمسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب، حـ٣، ص: ٨٥، ٨٦.

[٤٤] المجلسي، البحار، حـ٤٦، ص: ٣٣٧، ٣٣٨، والحائري، محمد بن إسماعيل المازندراني، منتهى المقال في أحوال الرجال، حـ٣، ص: ٣٢٨، والقمي، سفينة البحار، حـ١، ص: ٦٢٠، ٦٢١، حرف السين.

[٤٥] ابن شهرآ شوب، محمد بن علي، معالم العلماء، في شعراء أهل البيت المهاجرين، ص: ١٤٩. وابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، ص: ١٩٢، والصدر، حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص: ٢٠٤، والقمي، عباس، هدية الأحباب، ص: ٣٠٥، ومعلوف، المنجد في الأعلام، حرف الكاف، ص: ٥٨٩، والمفيد، الارشاد، ص: ٣٠١، وابن الصَّبّاغ المالكي، علي بن محمد بن أحمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ص: ٢٤٠.

الشيخ العلامة غالب النّاصر
مفكّر إسلامي/ أستاذ في حوزة النّجف الأشرف

النقد الاجتماعي وخطاب العنف

بين نصوص نهج البلاغة والنظرية الاجتماعية المعاصرة

تمهيد:

إنَّ خطاب العنف هو الوسيلة من وسائل ارتقاء الجماعة في استكمال وسائلها، للوصول إلى الأهداف التي كان خطاب النقد الاجتماعي يتوخى تحقيقها في الواقع.

ومن ثم فأن في هذا الاتصال أو التواصل بين الخطابين، خطاب النقد وخطاب العنف، يمكننا بدرجة ما، من اعطاء التفسير الحقيقي للكثير من مظاهر العنف، إذ أن المجتمع ومنه النخب، والحكومة القائمة، وهو يتعامل مع عديد الأوضاع التي يمر بها، فإنما يستمد الرؤية والسياسات في التعاطي مع هذه الأوضاع الجديدة، سواء بالقبول أم الرفض، من رصيده الثقافي، والفكري، والتجارب السابقة، واستعادة السير في الدروب ذاتها، التي سلكها في المواقف القديمة، ولكن بطرق مطورة تتناسب مع المواقف الجديدة، ومنها الارتقاء إلى وسائل العنف والحرب في معالجة الحالات المستعصية، والاوضاع، والتخلص من التحديات.

من هنا كان لابد لهذه الدراسة من التطرق لخطاب العنف في المجتمع، وتحليل هذا الخطاب، كما هو عند الامام علي عليه السلام، الذي واجه الخطاب بالخطاب، ورد العنف بالعنف، والارهاب بالمقاومة،

سواء عل مستوى الدولة، أم على مستوى ارهاب الجماعات الخارجة على القانون، والشرعية.

وكل ذلك من خلال البحث أيضاً في مواقف النظرية الاجتماعية، ومن الواضح أهمية هذا البحث في زمن أنتشر فيه إلى جانب خطاب النقد وخطابات التكفير والارهاب، وما ترتب على ذلك من الاقتتال، وقد استعصى تفسير تعقيدات هذه الظاهرة على الكثير من المفكرين في العالم، لما فيها من التناقضات والحالات الشاذة التي لا تحكمها قاعدة، وقد جاء البحث فيها من خلال هذه المباحث.

من التفكير الناقد إلى التفكير بالعنف

إنّ من يراجع المعلقات الشعرية القديمة أو القصص للعربي قبل مجيء الاسلام سيلاحظ أن خطاب التغني بالحصول على الغنائم في المعركة، والتبجح بالعنف، واستسهال شن الغارات والحرب، أو التفكير بالقتال للنيل من الخصم، هذا الخطاب يشكل حيزاً كبيراً من الخطاب الأدبي العربي ونصوص التبجح الاجتماعي في المغالبة والانتصار، في العالم العربي القبلي القديم.

من هنا كان على الإسلام منذ المراحل الاولى للدعوة الاسلامية أن يواجه هذا النوع من التفكير في خوض الصراع، الذي لا يتورع عن الخوض في الدماء من أجل التخلص من الرسالة الجديدة، وما ترهص به من تغيرات اجتماعية، عرف المشركون أنها ستطال الكيانات الاجتماعية والقوى السائدة في ركابهم، والتراتيب الشرفية، وطرائق توزيع الامتيازات التي يعمل بها هذا النظام، وكانت نصوص القرآن الكريم، من الوضوح بمكان، ومنذ الطلائع الأولى للآيات القرآنية المنزلة على النبي الكريم صلى الله عليه وآله، في صور نقد هذا النظام الاجتماعي.

والثقافة الجاهلية، شأنها شأن أي ثقافة أخرى، سابقة أو لاحقة ستجد في نصوصها السابقة، وآدابها العتيقة، ومخزونها الفكري، ما يلهم أبنائها من الرافضين للرسالة الجديدة، ومن الناقدين لما جاءت به من الأفكار، والرؤى، والأخلاق، والاحكام، اللجوء إلى العنف، والتفكير بالحرب، واستعمال السلاح في قتال المؤمنين بهذه الرسالة.

وهكذا، صار من الواضح لنا، أن ظاهرة التفكير الناقد، والذي يهتم بقضايا المجتمع ومعالجة المشكلات والتحديات، التي تقف

بوجه تكامله المعنوي، ترتبط بمتغير اجتماعي آخر لصيق بظاهرة النقد الاجتماعي، والاشتباك الكلامي، أو الحواري، الجدلي، هو متغير العنف، أو التفكير بالاقتتال، أو استعال الارهاب، أو الاشتباك العسكري، ومن ثم استحالة علاج الموقف الاجتماعي للخصوم إلا من خلال الردع الأمني، واستعمال القوة في مواجهة القوة، وذلك من أجل وقف مظاهر الاجتياح والتصفية الجسدية التي يعتمدها العدو، واللجوء إلى قوة الحديد والنار، في التخلص من قوى التغير.

وهكذا تترابط ظاهرتي: النقد الاجتماعي، والتفكير بالمجتمع، مع ظاهرة العنف والاقتتال، وهو ترابط تاريخي، واجتماعي، ضارب في عمق التاريخ، إذ يشكل التفكير بالعنف، استكمال للوسيلة النقدية والتوبيخ من أجل الردع.

من المؤكد أن العنف والاقتتال، في المجتمعات المأزومة والمتصارعة، لا يتفجر دفعة واحدة، بل تسبقه مظاهر واسعة من الجدل والصراع اللغوي، والتراشق بالكلمات، أو استنفاذ العمل بالوسائل الإقناعية، والنقد الاجتماعي، أو الاحتكام إلى المنطق، وكذلك اعتماد الطرائق الحوارية في التسويات، وفي داخل هذا الفضاء من الجدل الاجتماعي، يجري باستمرار التلويح بالعنف الكامن، من قبل الاطراف المتصارعة، عنف الدولة من جانب وعنف الجماعات المتمردة أو الثائرة من الجهة الأخرى، مما يؤجج المزيد من الغضب، من الطرفين، كما حصل مع الخليفة عثمان، وقد القى الإمام باللوم على الطرفين:

(لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً؛ غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ؛ اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الجَزَعَ، وَللهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي المُسْتَأْثِرِ وَالجَازِعِ)[1].

وإذا ما تفجرت الاوضاع بالعنف والاحتراب، فهو ليس بالأمر الغريب في فضاء المجتمع المليء بالكراهية والغضب، بين الدولة والشعب، أو بين الجماعات المحلية المتنافسة، أو بين الأفراد أنفسهم في البدايات، ومن ثم فهو تتويج لكل ذلك السخط والغضب الذي تختزنه الكلمات النقدية والشحن اللفظي بين المتنازعين، والذي يتخطى الحدود الفردية في الفترات اللاحقة، إلى مجمل الفضاء الاجتماعي الواسع، وليتحول إلى حرب ضروس بين الفئات الواسعة من المجتمع:

(إنّ انتشار العنف الفردي، أدى ويؤدي إلى تسلط العوامل المرضية والنزعات العدوانية الفردية وتمكنها من التحكم بالعلاقات البينية وتسخيرها لهيمنة المنحرف والقوي على المواطن الأعزل، سوى من نصوص القانون، مما يؤدي إلى فقدان الاستقرار وإشاعة الفوضى ونشر آليات الصراع في المجتمع..... يتغلغل الفعل العنيف، عبر نماذجه المختلفة، في ميادين الحياة الخاصة والمجتمعات الدولية،.... فهو يتجاوز - الأطر الشخصية التي تشكل البدايات - ليطال قضايا ومشكلات لها طابع العمومية والشمول الكوني وأنظمته والهيمنة عليه، وهو ما يسمى باللاوعي الجمعي المخدر، وتكون النتيجة بتداخل هذه المستويات وخلط الأوراق والأوضاع، وإعطاء المبررات للتعميم وعدم التمييز في مواجهتها)[٢].

يحدثنا الإمام علي عليه السلام عن تاريخ العنف في الإسلام، وكيف جاء بفعل الرفض الذي نتج عن مواقف عامة القريشيين، وأهل مكة والقبائل المتحالفة مع قريش، رفض الرسالة التي جاء بها الرسول الأكرم، وكان العنف عبارة عن تتويج، متدرج في التصاعد، لخراب العلاقات الاجتماعية والتنازع، بين الأهل والأقارب، بشأن الاستجابة للرسالة الإسلامية، الذي أظهره البعض والتصديق بالدين الجديد، وخاصة من ابناء البيت الهاشمي، الذين شملهم الطرد، والحصار خارج مكة، ومحاولات الاغتيال المتتابعة من أجل قتل الرسول صلى الله عليه وآله:

(فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذلِكَ الأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ... وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جعفرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتَهُ أُخِّرَتْ)[٣].

وهكذا، يتحول التفكير بالنقد الاجتماعي، عند القرشيين، ضد المؤمنين بالرسالة، إلى مظاهر من الطرد العشائري، والحصار القبلي، مع تقادم هذه الوسائل، أو تآكلها، يتحول إلى

وسائل أخرى، أكثر قسوة، من أجل تحقيق الهدف الاجتماعي له، وهي العنف، ومحاولات الاستئصال للوجود والتصفية الجسدية كما هو واضح من كلمات الامام عليه السلام، في النص أعلاه.

في النظرية الاجتماعية المعاصرة، يجري التطرق باستمرار إلى الأصول الاجتماعية للاستبداد، من أجل فهم مصادر العنف في المجتمع وأسبابه، وبناء الأنموذج الشامل[٤]، والمفسر لهذا العنف سواء ذلك العنف الصادر من الدولة، وهي القوة الاساسية في احتكار العنف بموجب الأعراف والقانون، والدستور، قديماً وحديثاً، وهي من والأسباب الرئيسة في تأسيس هذا العنف، الذي يطال المستضعفين من جماهير الشعب والفقراء والرافضين لظلم الدولة.

وفي مقابل عنف الدولة، هنالك العنف الذي تتولاه القوى الشعبية، والجماعات المتمردة، أو الخارجة على القانون، أو الحركات الثورية، وقوى المقاومة في المجتمع التي تضطر في ظروف مختلفة، كما هو معلوم للتصدي للقوى المهيمنة في الدولة، أو ردع سلطة الدولة الغاشمة، ووقف جرائمها، وقد كتبت العشرات من الدراسات في هذين الشكلين من العنف، عنف الدولة، واستبداد الحاكم، أو عنف الجماعات المسلحة واصحاب الرؤى المخالفة للدولة، فيما ترى النظرية الاجتماعية فرصاً هائلة للتعايش، موجودة، وهي تكمن وراء الوضوح العلمي، والتنظيم في المفاهيم والاولويات مع وجود البحث:

(الواقع أن الفوضى المفهومية، لا النوايا السيئة فقط، هي ما يسهم بشكل كبير في الاضطرابات والبربرية اللتين نراهما حولنا، ويغذي وهم القدر، خاصة ما يتصل منه بهوية مفردة معينة أو أخرى، وكذلك مقتضياتها المزعومة، العنف في العالم عبر الإلغاءات والإضافات كذلك، لهذا يجب علينا أن نرى بوضوح أننا نمتلك انتماءات متمايزة كثيرة، وأن بإمكاننا أن نتفاعل بعضنا مع بعض، بطرق مختلفة، بغض النظر عما يقوله لنا المحرضون ومعارضوهم الهائجون، إن هناك متسعاً لنا لأن نقرر أولوياتنا)[٥].

لقد أسهب البعض سواء من الكتاب المحليين أو الباحثين المستشرقين في نسبة العنف إلى دور الدولة السلبي، والاستبدادي في نشر العنف ومن ثم في دورها المباشر وغير المباشر في التخريب الديني، والتخريب السياسي، والتخريب الاقتصادي، والتخريب الاجتماعي والثقافي في المجتمع، منذ المراحل الأولى لتأسيس الدولة الإسلامية والمجتمع:

(ويبدو من استقراء التاريخ الاسلامي، أنه صراع بين فكرتين أساسيتين، فكرة التكافل الاجتماعي، وفكرة سيادة الفردية، وهو صراع تدخل فيه عدة عناصر مكملة، فهناك فكرة العصبية العربية، في مقابل فكرة تساوي المسلمين امام الله وامام الشريعة، وفكرة الديمقراطية أو الشورى، أمام الملك المتوارث، والحكم المطلق)[٦].

فيما أسهب أخرون في نسبة العنف إلى الموروث القبلي، والاجتماعي، والديني، والثقافي، والذي يشكل باستمرار، مخزوناً، وشاحناً، وحافزاً، للأفراد، وللجماعات، والحركات، والقوى الاجتماعية، تستمد منه روح العنف والارهاب والكراهية، وكأنها من السنن والآداب التي لا ينبغي للمجتمع التخلي عنها، فهي تشكل الذاكرة، والهوية، والمحاكاة، والرمزية في هذا المجتمع، وهذه هي نظرية أكثر المؤلفين في علم الكلام، وشؤون الفرق الاسلامية وصراعاتها الدموية عبر التاريخ، وكذلك المتطرفين من المستشرقين:

(انتفعت قوى العدوان الخارجي بهذا التصور الذي وضعناه لمسالة الغلو والعنف في الحركات الاسلامية، لأنه كان يفيد هذه القوى أن تنسب موقف الغلو وفعل العنف إلى الفكر الاسلامي، وليس إلى رؤية معينة للواقع الفعلي، وإن نسبة فعل الغلو إلى الفكر الاسلامي من شأنه أن يبري قوى العدوان الخارجي من تهمة أنهم معتدون، وهو يساعدهم في تصوير الأمر على أن هؤلاء الذين يتصدون للعدوان الأجنبي في بلادهم، لا يتصدون له دفاعاً عن أوطانهم، وإنما يفعلون ذلك لأن لديهم فكراً عقيدياً يدفعهم إلى الإمساك بالسلاح وقتل الآخرين)[٧].

وفي ضوء، هذا الانقسام في النظريات الاجتماعية والنماذج المفسرة للعنف في تاريخ العالم الاسلامي، نستطيع أن نقرأ خطاب الامام علي عليه السلام، بشأن هذا العنف، كيف واجه الإمام عنف الدولة، من جهة، رغم أنها لا تزال فتية، لكنها سرعان ما تدرعت بالتحالفات، واستثمرت العداء، السابق للرسالة في تدعيم مواقفها، وكيف واجه الإمام عنف الجماعات المسلحة، من جهة أخرى، وذلك اعتباراً من الجماعات التي ثارت على الخليفة الاول، أو ما يعرف بحروب الردة، ومن ثم حصول الثور المسلحة على الخليفة عثمان بن عفان، والموقف المعلن من قبل الامام، منها، اثناء الثورة، أو بعد مقتل الخليفة، والذي أطلق العنان للعنف في داخل المجتمع الاسلامي بشكل غير مسبوق، وذلك من خلال استعادة القراءة في النصوص المروية عن الإمام عليه السلام، التي تحكي لنا

بطريق مباشر تارة، غير مباشر تارة أخرى، قصة مواجهة الإمام لهذين الصنفين من العنف منذ رحيل الرسول الأكرم ﷺ.

خطاب النقد الاجتماعي في مواجهة عنف الدولة

يرفض الإمام عليه السلام أن يكون التفكير بالعنف وسفك الدماء هو القاعدة أو الطريق إلى تثبيت السلطة أو تدعيم هيبة القانون في المجتمع، وفي الرسالة التي وجهها إلى مالك الاشتر كان واضحاً في رفض التفكير بالعنف وسفك الدماء إذ قال:

(إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمدِ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ)[٨].

لكن الامام عليه السلام، نفسه لم يسلم من عنف الدولة، المدعوم بالتحالفات الكبيرة، والسعي الدؤوب من قبل القوى من أجل الحفاظ على مصالحا، لكنه واجه هذا العنف بالحكمة، والحوار، والقاء الحجة، ولجأ إلى خطاب النقد الاجتماعي في مواجهة الخصوم، وتفنيد الحجج التي قالوا بها سواء في عقد اجتماع السقيفة، من دون حضوره، من أجل استبعاده من السلطة، أو في معالجة مشكلة مصادرة أرض فدك، من السيدة الزهراء، أو في أخذ البيعة بالقوة فيما بعد، أو في غير ذلك من المواقف والمشكلات ولاسيما، وأن قوة الدولة لا تزال في بدايتها، مما يثير الشهية والطمع لدى الاعداء في التسريع بالقضاء عليها، وقع الإمام في حيرة من أمر السلطة والمجتمع منذ اليوم، عنف الدولة وخطابها الاستفزازي من جهة، وعنف المجتمع وخطابه الاستفزازي من جهة أخرى:

(فَإِنْ أَقُلْ، يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي! وَاللهِ لابْنُ أَبِي طَالِب آنَسُ بالمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْي أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ البَعِيدَةِ)[٩].

لقد شكل اجتماع السقيفة أرضية كبيرة لبداية عنف الدولة، ولاندلاع الفتن الكبرى، والحروب في تاريخ المسلمين، ولم يستطع هذا الاجتماع كما هو واضح من مجمل تاريخ

المسلمين، أن يوفر الضمانات المعرفية، أو الضمانات المعيارية، أو التنفيذية، المطلوب توافرها في المجتمع لمنع الاستبداد أو الظلم، ومصادرة الآخر، أو العمل الجدي من أجل الحفاظ على وحدة الاسلام والمسلمين، وصيانتهم من الوقوع في الفتن، كما زعم المعارضون لوصول الإمام علي عليه السلام لقمة هرم السلطة، إذ كانت حجتم أن في اختيار علي بن أبي طالب، حصول مشكلة قد تعم المسلمين، وهم في بداية الطريق بعد رحيل الرسول، وذلك بالنظر لكونه قاتلاً للكثير من رموز التيار المعادي للرسالة، وابتكروا من أجل ذلك رواية سياسية، واقصائية، مهمة جداً بالنسبة لجميع أفراد البيت الهاشمي، وكذلك بالنسبة للطلقاء في مكة، إذ ترضي توجهاتهم الخفية للثأر أو الانتقام من العترة، وهي رواية: (لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد)[١٠] ، وكان من الصعب جداً مواجهة هذا التأسيس التعسفي بالعنف منذ اليوم الاول، لما في هذا السلوك من الخطر على مجمل الاوضاع الاجتماعية في المدينة:

(وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الحَلْقِ شَجاً، أرى تُرَاثِي نَهْباً... نَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ المَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى القَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الكَظَمِ، وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ العَلْقَمِ)[١١].

وقد ظهر موقف الإمام جلياً من العنف في الفتنة التي تفجرت في عهد الخليفة عثمان، إذ وجد أن السلطة قد تجاوزت على الحدود القانونية والدستورية المرسومة لها في الاسلام، كما أن الجماعة المسلحة التي ثارت على الوضع الاجتماعي السيء، قد تخطت هي الأخرى هذه الحدود بالاعتداء على السلطة، وقتل الخليفة:

(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ: إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَه، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ)[١٢].

ومثلما وجه الإمام خطابه النقدي، الاجتماعي، للدولة المستبدة في حال حضورها، عمل على إزالة آثار هذا الاستبداد والحيف

والفساد، بعد زوالها، فعمل الإمام على استرجاع الاموال التي وزعت في عهد عثمان بن عفان، في اطار خطاب نقدي واجتماعي واضح لهذه الجهات المستفيدة من النظام السابق:

(**وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ فِي العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ!**)[١٣].

وهكذا تحولت بعض القيادات في القوى الاجتماعية، من ممارسة الفساد من موقع السلطة، أمثال مروان أبن الحكم إلى ممارسة الاجرام في داخل المجتمع وضمن الحركات المسلحة، بعد أن وصل الإمام إلى السلطة، واعادة بناء الحكومة في ضوء أنموذج يحقق للناس والعامة من المجتمع أسباب الكرامة الإنسانية، ولم يأبه الإمام بهذه النخب المزيفة في تحريك الواقع الاجتماعي كما قال في عهده للأشتر:

(**وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ**)[١٤].

ومن الجدير بالذكر، قبل ختام هذا البحث عن عنف الدولة وخطاب النقد الاجتماعي، أن يقال، أن الأنموذج الإجرامي للدولة بعد رحيل حكومة الامام عليّ عليه السلام، والذي قام على أساس استجداء خطاب المديح، ودفع الأموال الطائلة من أجل صناعة هذه النصوص، صار يؤسس لقواعد النقد وقواعد التقويم، ففي المقابل الأجرة على المديح، كانت العقوبات تنتظر أي خطاب نقدي قد يصدر من كاتب أو أديب، أو شاعر هنا أو هناك، ومن ثم صار بعض النقاد للأدب عامة، والشعر خاصة، يضع القواعد النقدية في ضوء توجهات السلطة فقط، والحفاظ على صورة الخليفة وطبقته الاجتماعية، وصار:

(الناقد حين يؤصل للقاعدة النقدية، فانه لم يأت بها من الفراغ، وانما أتى بها من خلال درايته بما تريده السلطة الحاكمة، ويجب على الشاعر أن يلتزم به، طابق ذلك شخصية الخليفة أو خالفها..... وهكذا كان - مثلاً - الاهتمام

بتماسك صورة الخليفة في الشعر، وتحديد الصفات اللائقة بمديح كل طبقة، وبهجائها، وتكريس التمايز الطبقي، والاهتمام بمفاهيم اللياقة، ومراعاة الاعراف الاجتماعية، كان لكل ذلك أثره الواضح في تأصيل القاعدة النقدية)[١٥].

من خطاب النقد للدولة إلى خطاب الحرب على التمرد

الإمام الذي عانى كثيراً من عنف الدولة، ولم يغادر مستوى الخطاب النقدي الاجتماعي في مواجهتها، إلى استعمال العنف المسلح ضدها، كما شاهدنا في المبحث السابق، هو نفسه عليه السلام، عاد ليعاني من عنف الجماعات المسلحة، وإرهابها، وهي جماعات لا تريد للدولة أن تكون قوية، كما لا تريد التعايش بسلام مع المجتمع والأمة، وكأن هذه الجماعات ما هي إلا استمرار لوجود الدولة الغاشمة في المجتمع، وهنا يقع الشرفاء والمخلصون بين نمطين من العنف، عنف الدولة المستبدة في حال وجودها، وعنف الجماعات المجرمة في حال غياب الدولة:

(لكِنِّي أَضْرِبُ بِالمُقْبِلِ إِلَى الحَقِّ المُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ المُطِيعِ العَاصِيَ المُرِيبَ أَبَداً، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي؛ فَوَ اللهِ مَا زِلتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله، حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هذَا.)[١٦]

هذه الثنائية في توجيه الخطاب عند الامام، تارة للدولة المستبدة في قراراتها، وتارة أخرى نحو الجماعات المسلحة والحركات الثائرة أو المتمردة في مواجهة الشرعية والقانون، يجعل من خطاب الإمام أنموذجاً، ارشادياً، وملهماً تاريخياً، في مجال سلوكيات النقد الاجتماعي في المرحلتين، في فهم ظاهرة العنف في العالم الاسلامي، الأولى: في فهم عنف الدولة وتحالفاتها، وكيفية التعامل معها، والثانية: في فهم عنف الجماعات المسلحة والحركات المقاومة لبناء الدولة، وأسلوب التعامل مع هذه الجماعات، إذ وقع تحول جذري في سياسة الدولة على عهد الإمام، وأصبحنا أمام عنف الجماعات المسلحة وليس عنف الدولة:

(إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُوا حَيْفَ رُعَاتِهَا، وَإِنَّنِي الْيَوْمَ لأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي، كَأَنَّنِيَ الْمَقُودُ وَهُمُ الْقَادَةُ، أَوِ الْمَوْزُوعُ وَهُمُ الْوَزَعَةُ!)[١٧].

وفي إطار بناء الدولة، والحفاظ على المجتمع من الحركات المتطرفة، يلتقي التفكير بالعنف مع التفكير بضرورات المجتمع، وكيفية

الجمع بين التفكيرين، مع أولوية الحوار، والحلول السلمية، كما يذكر الامام مبعوثه جرير إلى أهل الشام، وتقديم محاولات الحل السلمي، أو عند ترسيم حدود العلاقات الاجتماعية، بالشكل الذي تنبثق منه عمليات التجييش والحرب والاعداد لها بشكل جيد، أو في مرحلة السير نحو القتال، حيث يصبح لابد منه، لإعادة ترسيم العلاقات غير المنسجمة في الفضاء الاجتماعي، بين الخصوم، تأتي قصة الامام، واستشعار المسؤولية في التأني، عند التفكير بالحرب على أهل الشام الذين، وقفوا مع معاوية

فلم تكن الحرب، بين الشام والعراق، لتاتي دفعة واحدة، أو قراراً متعجلاً، بل كانت الطريق الوحيد، بعد استنفاد الوسائل الاجتماعية، والحلول الممكنة بعيداً عن التضحية بالمبادي الاسلامية، والتحولات المطلوبة، لبلوغ دولة العدل الالهي، وسيرها في مراحل كمالها المنشود من قبل المؤمنين، وكذلك القواعد الجماهيرية المعدمة من كل امتيازات والفقيرة، والتي تضررت في المراحل السابقة بشكل كبير:

(إِنَّ اسْتَعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ، إِغْلاَقٌ لِلشَّامِ، وَصَرْفٌ لاِهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرادُوهُ، وَلكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِير وَقْتاً، لاَ يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلاَّ مَخْدُوعاً، أَوْ عَاصِياً، وَالرَّأْيُ مَعَ الأَنَاةِ، فَأَرْوِدُوا، وَلاَ أَكْرَهُ لَكُمُ الإِعْدَادَ، وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هذَا الأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ لِي إِلاَّ الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ. إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الأُمَّةِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً، وَأَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالا، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا)[١٨].

ومن النص يتضح الترابط بين الارادة الاجتماعية للخير العام والمصير إلى الحرب، وإرادة هذا الخير من جهة، وبين والدخول في السلم من جهة أخرى، في مقابل من يرفض العمل بالخير العام، الذي يعني الكفر بمبادئ الاسلام الذي يرى: ضرورة إيجاد الفضاء الاجتماعي العام، والمؤلف من مؤسسات الدولة، والتجمعات أو والأفراد، والجميع يسهم في بناء الفرد الصالح، ويعطي الأسوة الحسنة في تكوين الشخصية، وبناء الأسرة، ونشاط المؤسسة، وصولاً إلى بناء المجتمع ككل، حتى ورد الحديث المشهور: خير الناس من نفع الناس، ومن المؤكد أن من ولد وعاش في مقر قيادة العمليات ضدّ الرسول الأعظم والوحي، وضدّ الخير الذي جاء به الاسلام، لا يمكن أن يكون من أهل ارادة الخير العام، ومن الخطأ الكبير أن يسمح لهذا الشخص بإدارة جزء كبير وحيوي من بلاد المسلمين، أو الاسهام في تشكيل

هويته الثقافية غير السوية، ومنع تكامله الروحي:

(إن المجتمعات أساسية من أجل نمونا الكامل، يمكن أن نبقى أحياء بدونها، غير أننا لا نستطيع أن نصل إلى ما نسميه: إنسان يعمل بشكل كامل، أو نستمر في ذلك دون بعض الترابط مع المجتمع، المجتمعات الأكثف هي أيضاً تخدم تكويننا.... الهوية مرتبطة ارتباطاً عميقاً بالمجتمع)[١٩].

بدأت المشكلة مع القوى والجماعات المسلحة في الداخل، منذ طرح قضية محاكمة الذين قتلوا الخليفة، عثمان بن عفان، أتخذها كثيرون ذريعة لتوجيه خطاب الطعن بسياسات الإمام بعد الوصول إلى السلطة، فبعد ما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان! فقال:

(يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ! وهَاهُمْ هؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانِكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَة عَلَى شَيء تُرِيدُونَهُ! إِنَّ هذَا الأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّة، وَإِنَّ لِهؤُلاَءِ الْقَوْمِ مَادَّةً... إِنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الأَمْرِ ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَى أُمُور: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرقَةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى لا هذَا وَلاَ هذَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً ؛ فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً، وَسَأُمْسِكُ الأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّواءِ الْكَيُّ.)[٢٠].

وهكذا يتضح أن معالجة مشكلة العنف عند الجماعات المسلحة ليست بالأمر الهين، أو السهل، في جميع العصور، حتى أن أمير المؤمنين قال: (**وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي**)[٢١] وأن قمع الدولة أو قدرتها على صناعة العنف ليس مما يمكن توجيهه في أي وقت، أو في أي اتجاه، ولابد من قدر كبير من التوافقات، طالما أن هذه الجماعات قد جنحت نحو الاستقرار، والهدوء أو السلم والمصالحة:

(لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ، وَلكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بَالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا..... وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ،

فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي؛ فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ. وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ، وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ. يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا! وَإِلاَمَ أُجِيبَ! وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ.)[٢٢].

من الطبيعي أن يهيأ النقد الاجتماعي، والنقد المضاد، والتراشق اللفظي، والعنف الكلامي، وتوجيه الاتهامات، والتلويح بالتهديد أو العنف الكامن، الأجواء أو الفضاء الاجتماعي للتمرد والحرب بين القوى الاجتماعية المتعايشة في أجواء الغضب والاحقاد، والنزاعات، وصراع المصالح، والأهواء، مما يشكل ارضية واسعة لاستقطاب الجموع، والتحضير للحرب واندلاع الفتن:

(إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا، عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ؛ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ البَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ؛ وَلكِن يُؤْخَذُ مِنْ هذَا ضِغْثٌ، وَمِنْ هذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى).

ولعل جماعة الخوارج، هي المجموعة المسلحة الأكثر شهرة في تاريخ العنف الذي يبرز من داخل المجتمع على أسس غير وظيفية، ولا عقلانية، كما لا يعبر عن صراع طبقي محدد المعالم، وانما هو تعبير عن عبثية في التعامل مع الوجود، والدولة، والمجتمع، ولا ينتسب لأي طبقة اجتماعية ذات مصالح اقتصادية محددة في المجتمع، فيكون هذا التحرك أقرب إلى الانتحار الوجودي، والذهاب بالمجتمع جميعاً نحو الهاوية، والذي قد يترفع عنه حتى القاتل المأجور، أو اللص المسعور.

(أَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هذَا النَّهَرِ، وَبِأَهْضَامِ هذَا الْغَائِطِ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هذِهِ الْحُكُومَةِ؛ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَىٰ هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، وَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً، وَلاَ أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرّاً)[٢٣].

وهكذا كان عنف الخوارج ضد حكومة الإمام، من الصنف الأكثر خطورة في تاريخ

المسلمين، وذلك لأنه عنف واحتراب لا يستفيد منه الا الأعداء من خارج الفضاء الاجتماعي للمجموعة الصالحة في القيادة، والاعداء التقليديون للمقاومة، انتحار ذاتي للخوارج، قد افاد منه معاوية واتباعه واعداء التجربة العادلة التي جاء بها الامام في وصولهم إلى السلطة، بكل سهولة بعد أن تمكن هؤلاء العتاة من اغتيال الإمام عليه السلام.

والخلاصة في هذا المجال:

إن الإمام لم يكن يخشّ مواجهة العنف بالعنف، على نفسه، بقدر ما كان يؤسس لمنطق المقاومة، والنفس الطويل في الحفاظ على مصالح الاسلام والمجتمع الكبرى:

(وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ.... قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِب رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلْكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ. للهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ، وها أناذا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ!

وَلكِنْ لا رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ!.... فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ البَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ، وَمِنَ العَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ، وَأَنْ أُصْبِرَ لِلْجِلادِ! هَبِلَتْهُمُ الهَبُولُ، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالحَرْبِ، وَلاَ أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ؛ وَإِنِّي لَعَلَى يَقِين مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي).

وفي النتيجة النهائية، ورث المسلمون أدبيات الدولة الاسلامية، في صيغتين، الاولى هي صيغة الخلافة، متمثلة في أنموذج الخلفاء الثلاثة، التي وقف الامام عليه السلام منها موقف المعارض، وكان معاوية وريث عثمان في أنموذج هذه الدولة، والطالب بثأره، نقدها الامام بشدة في أكثر من نص كما رأينا، والصيغة الثانية، هي صيغة الجماعات المسلحة، التي قاتلها الامام، رداً على عدوانها، وصلافتها، وإجراميها، ولم يرث المسلمون صيغة الدولة الاسلامية كما أرادها الامام علي عليه السلام، دولة المساواة، والكرامة الانسانية، التي تم هدرها وسحقها في ظل النموذجين السابقين، وبذلك لم يعرف المسلمون - من غير شيعة الامام علي عليه السلام - شكلاً سليماً للدولة الاسلامية:

(متى أمعنّا النظر في مدلولات التقابل بين الدولة الحديثة، وبين دولة الإسلام السياسي،

أمكننا القول، في جملة واحدة، أن الدولة الأولى، تطمح أن تكون مجالاً رحباً للعيش المشترك بين جماعات، الأصل فيها التعدد والاختلاف، في حين أن دولة الإسلام السياسي لا ترغب في ذلك العيش، هي كذلك لأسباب موضوعية، نبذ التعدد، وإدانة الاختلاف، ورفض المساواة بين الناس)[٢٤].

ومن الواضح أن سياسة الامام هي سياسة الاسلام، وسياسة النبي ﷺ، القائمة على أساس الابقاء على الاديان الأخرى، وليس القضاء عليها، وتشريد أهلها، كما فعل الاخوان، والدواعش في ما بعد الربيع العربي، في سوريا، والعراق، ولبنان، من قتل عامة الناس، بتهم مختلفة وواهية، وقتل العلماء المخالفين، لهم كما فعلوا ذلك مع الشهيد البوطي، وأمثاله، وهي أفعال سبق أن تم رصدها، في الصدر الاول، من دولة الاسلام، مثل، قتل مالك نويرة، وتشريد أبي ذر الغفاري، واغتيال سعد بن عبادة، والتعرض بالضرب والاهانة، للعديد من الاصحاب، من أهل المكانة عند النبي الأعظم ﷺ. ثم جاءت بعدهم حكومة الأمويين، وأمثالهم من الجماعات أو الفرق، للحكم الاسلامي، لكي تكمل مشوار الهدر في الكرامة الإنسانية، من هنا جاء نقد الامام عليّ، لكي يثبت براءة الاسلام من سلوكيات هؤلاء، للأجيال القادمة.

الهوامش:

[١] نهج البلاغة، ج١، ص: ٧٦.

[٢] إشكالية العنف، العنف المشرع والعنف المدان، رجاء مكي، وسامي عجم، دار مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص: ٧.

[٣] نهج البلاغة، ج٣، ص: ٨

[٤] بارينجون مور، الأصول الاجتماعية للدكتاتورية والديمقراطية، ترجمة: أحمد محمود، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٧٢.

[٥] أمارتيا سين، الهوية والعنف، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار جداول، بيروت، ط١، ٢٠١٢، ص ٢٣.

[٦] أحمد عباس صالح، اليمين واليسار في الاسلام، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط٢، ١٩٧٣، ص: ١٣٥.

[٧] معتز الخطيب، العنف المستباح، الشريعة في مواجهة الأمة والدولة، تقديم: طارق البشري، دار المشرق، القاهرة، ٢٠١٧، ص: ١٣.

[٨] نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى ج٣، ص: ١٠٧.

[٩] نهج البلاغة: ج١، ص: ٤٠.

[١٠] ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٩، ص: ١٨٩

[١١] نهج البلاغة: ج١، ص: ٦٧.
[١٢] نهج البلاغة: ج٣، ص: ٢.
[١٣] نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ج١، ص: ٤٦.
[١٤] نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ص: ١٠٩.
[١٥] أحمد حلمي عبد الحليم، علاقة الأفكار النقدية بالسلطة السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٤، ص: ١٨٩.
[١٦] نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى، ص: ٤٢.
[١٧] المصدر نفسه، ج٣، ص: ١٩٨.
[١٨] نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، شرح الإمام محمد عبده، طبعة دمشق الاولى. ص: ٩٣.
[١٩] أميتاي إتزيوني، الخير العام، اشكاليات الفرد والمجتمع في العصر الحديث، ترجمة: ندى السيد، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ٤٢.
[٢٠] نهج البلاغة، ج٢، ص: ٨٠.
[٢١] نهج البلاغة: ج ١، ص: ١٨٨.
[٢٢] نهج البلاغة: ج١، ص: ٧٦ – ٦٠.
[٢٣] نهج البلاغة: ص: ٨٧.
[٢٤] سعيد بن سعيد العلوي، دولة الاسلام السياسي، منشورات مؤمنون بلا حدود، بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص: ١٥٢.